التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة المثنى
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

الهوية

في شعر فوزي كريم

رسالة تقدمت بها :

شهد منصور مجيد

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة المثنى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها

إشراف الأستاذ الدكتور:

علي هاشم طلاب الزيرجاوي

١٤٤٣هـ **٢٠٢٢ م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيُها الناس إنَا خلقناكُم من ذَكرٍ وأُنثى وجَعلناكُم شُعوباً وقبائِلَ لِتَعارفُوا إنَ أكرمَكُم عِندَ اللهِ أتقَاكُم إنَ اللهَ عَليمٌ خَبير ﴾[1]

صدق الله العلي العظيم

[1] - الحجرات / ١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(الهُوية في شعر فوزي كريم) التي قدمتها الطالبة (شهد منصور مجيد) قد جرى بإشرافي في قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة المثنى ، وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ ادب.

إمضاء المشرف

أ.د. علي هاشم طلاب الزيرجاوي

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

الإمضاء

أ.م.د. محمود عبد حمد اللامي

الإهداء

إلى اللذين لم يفلتوا يدي يوماً . . .

الباحثة

شكر وإمتنان

أحمدُ الله وأشكره لتوفيقه إياي في إكمال هذه المسيرة العلمية ولما سخره لي من أشخاص كان لهم دور كبير في رحلتي التي استمرت طويلاً، منذُ أول يوم في كليتي العزيزة كلية التربية للعلوم الانسانية ،إذ أتقدم بشكري الوافر لأساتذتي بدءاً بالسيد العميد والسيد رئيس قسم اللغة العربية وجميع الأساتذة الذين كان فضلهم عليَ عظيماً ،لما قدموه من علم وما بذلوه من جهد خلال مسيرتي العلمية ، بارك الله في جهدهم وعلمهم وزادهم من خير زاده ،وأتقدم بشكري وتقديري إلى الاستاذ الدكتور(علي هاشم طلاب) لقبوله تولي مهمة الإشراف العلمي والأدبي على رسالتي ولما قدمه لي من توجيهات ومعلومات قيمة ساهمت في إثراء موضوع الدراسة ، كما أتوجه بالشكر لموظفي كليتي التربية للعلوم الإنسانية والتربية الأساسية لمساعدتهم إياي في بحثي عن مصادر ومراجع الدراسة ، وشكري موصول إلى عائلتي الغالية لتحملهم توتري وقلقي وتعبي وتشجيعهم وإعانتهم إياي في رعاية أولادي طيلة هذه المدة ، إلى كل من سأل وساند وشجع بالكلمة والمساعدة له مني وافر العرفان.

الباحثة

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ – ب
التمهيد : الهُوية ،المفهوم والتأصيل	١
في الدراسات الفلسفية	٢
في الدراسات النفسية	٦
في الدراسات الاجتماعية	٨
في الدراسات النقدية والأدبية	١٠
الفصل الأول / الهُوية الذاتية المتشظية	١٧
مدخل	١٨
المبحث الأول: الاغتراب واثره في تشكيل الهُوية المتشظية	٢٠
الاغتراب الذاتي	٢٠
الغربة المكانية واثرها على الذات الشاعرة	٢٨
الاغتراب السياسي	٣٨
المبحث الثاني : هُوية الذات السلبية	٤٣
التشتت والإضطراب	٤٤
عزلة الذات عن وجودها الأني	٦٢
الفصل الثاني / الهُوية المجتمعية	٧٠
مدخل	٧١
المبحث الأول: العنف واثره في تكوين الهُوية المجتمعية	٧٣
الحرب هُوية قسرية	٧٤
الهجرة بوصفها هُوية مجتمعية	٨٣
عنف السلطة وقمعها	٨٩
المبحث الثاني: تمثلات الإرث المجتمعي في العراق	٩٧
١- الفقرنسقاً ثقافياً	٩٧
٢- الحزن هُوية عراقية	١٠٣
٣- الشعور بالخيبة واليأس	١١١
٤- الخوف من الآخر	١١٣
الفصل الثالث/ الهُوية التجييلية	١١٦
مدخل	١١٧

المبحث الأول : التراث الثقافي	١١٩
الاسطورة فكراً تجييلياً	١٢٠
أسطرة الحكاية	١٣١
استحضار الشخصيات التاريخية	١٣٥
الاندماج مع الشخصيات الادبية	١٣٩
المبحث الثاني : التوظيف الرمزي	١٤٥
العنونة	١٤٦
الطبيعة	١٤٩
اللاوعي :	١٦١
أ- الخمر	١٦١
ب-الحلم	١٦٧
الخاتمة	١٧٢
المصادر والمراجع	١٧٤

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن والاهم إلى يوم الدين وبعد...

شغل مفهوم الهوية أوساط الدراسات الأدبية والفلسفية والنفسية والاجتماعية لما يحمله من دلالات تكشف عن الأبعاد المكونة للذات والمجتمع وما يلعبه هذا المفهوم من تحديد العلاقة بين الأنا والآخر والفرد والجماعة بالشكل الإيجابي أو السلبي ،حيث يؤثر أحدهما في الآخر ومن ثمَ يحدد شكل الهوية الخاصة بكليهما، إذ ثمة تحديات تواجه المجتمعات المنقسمة أثنياً مع دينامية الصراعات والاضطرابات والتحولات في شكل الأنظمة السياسية لعل أبرزها الهُوية الجمعية التي تراجع حضورها بفعل الازاحات السياسية والايديولوجية المختلفة التي تسعى إلى إلغاء الآخر والهيمنة واستغلال السلطة، مما إنعكس على الأفراد والجماعات التي أخذت تلجأ إلى بيئات حامية تمثلت بهُوياتهم الفرعية التي يزخر بها المجتمع العراقي المفعم بثنائية الهُوية المذهبية ، الدينية ، القومية، القبلية، ونحو ذلك، الأمر الي أدى إلى تفكك المجتمع وإضطرابه مما إنعكس على سلوكيات الأفرد، لاسيما الأدباء الذين عانوا من حالات التغرب والتشظي فكرياً ونفسياً، وتجسدت في نتاجاتهم في شتى ضروب الأدب ، إذ إتجه كثير منهم إلى إصلاح وتغيير الواقع والتأثير على المجتمع الذي عانى من تلك الصراعات التي شهدها البلد منذ تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١، فقد كان لظهور القوى السياسية والحزبية بوصفها جهات مناظرة لقوى تقليدية سائدة مدخلاً لصراعات لم تزل قائمة بسبب إختلاف وتباين الأيديولوجيات في بيئة مضطربة ،عمدت إلى تسييس الأثنية مع تحولات الأنظمة خلال العقود المنصرمة التي كان الشاعر فوزي كريم جزءاً منها بوصفه أديباً، بمعنى أنه طرز بكلماته مخاضاة ومعاناة الجمهور، وغدت تلك القصائد وثائقاً تاريخية من جهة، وصورة أدبية لواقع إجتماعي وسياسي من جهة أخرى ، فقد كان يكابد أمواجه التي أفرزت الحرمان والغربة والتهميش ، وغياب حرية التعبير عن الفكر والرأي حيث قمعت بأشكال وأساليب أسهمت بوقوع نزيف أو هجرة العقول لاسيما الفكرية والأدبية والعلمية التي وجدت في المنفى ملاذاً آمناً بعيداً عن بلدهم الذي أضحى هاجساً يرافقهم، وقد تجلى ذلك في ثنايا قصائده ، إذ حاول بوساطتها أن يكشف الصراعات والنزاعات والحروب وقضايا القمع والتهجير التي سادت على هذا الوطن وشعبه بدءاً من فترة الانقلاب على الحكم الملكي وما أعقبه من ويلات وظروف اجتماعية وسياسية مرتبكة حتى يومنا هذا . زد على ذلك المعاناة الذاتية التي كان يعيشها الشاعر وظروف تغربه وفقدان الاهل والاحبة، الامر الذي أدى إلى تكوين هُوية ذاتية متشظية ومغتربة وهُوية مجتمعية مقموعة ومقهورة مع ظهور انتمائه الواضح إلى جيله الشعري واتجاهه الثقافي.فقد استحوذ إثبات الهويات للمتلقي وإظهارهاعلى الغالبية العظمى من الادباء والشعراء المتماهين مع قضايا الوطن والشعب ،لأن هذا المفهوم يرتبط مع إحساس الانسان بوجوده ومعناه .

من هنا كان اختياري لموضوع (الهوية في شعر فوزي كريم) الذي إقترحه الأستاذ الدكتور علي هاشم طلاب إذ وجد صداه في داخلي لأمرين مهمين:الأول مكانة الشاعر الكبيرة في الاوساط الأدبية والثقافية والنقدية، والثاني:لظروفه التي تتناسب وموضوعة البحث الذي يسعى لإثبات هُويته بفعل نصوصه المتجانسة والمكثفة، التي جمعت بين الذاتية والموضوعية وهي غاية البحث التي يروم إثباتها . لقد مثلت الهُوية عند الشاعر وعياً معرفياً متنوعاً بين الذات التي تشعر بهامشيتها بسبب ظروفها وغربتها ومعاناتها وانكساراتها، وبين وعيه بالمآل الذي وصل إليه المجتمع .

كشفت الرسالة بمتبنياتها هُوية الشاعر ودوره في الساحة المعرفية للجيل الستيني ،إذ مثّل الظروف الذاتية والمجتمعية بشكل واضح ، منطلقاً من التغيرات السياسية والاجتماعية التي رافقت رحلته . ولابد من الإشارة إلى إن هناك مجموعة من الرسائل والأطاريح التي تناولت أعمال الشاعر فوزي كريم منفردا أو في ضمن شعراء الجيل الستيني ومن بينها رسالة الماجستير التي أنجزت في كلية الآداب جامعة الكوفة للباحث (مازن عبد الحسين مشكور) بعنوان (أنساق التعبير في شعر فوزي كريم) والرسالة التي انجزت في كلية العلوم الإنسانية في جامعة المصطفى العالمية الايرانية للباحث (عدنان حميد ياسين) بعنوان (شعرية القصيدة القصيرة عند شعراء البيان الشعري- فوزي كريم إنموذجاً)، والرسائل التي تناولت أعماله ضمناً منها الرسالة التي أنجزت في كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة المثنى للطالبة (دعاء حسين عودة) بعنوان (خطاب السلطة في الشعر العراقي الستيني) إضافة إلى العديد من الكتب التي أفردت في قضايا متنوعة أوردت فيها أعماله الشعرية.

تقوم خطة الرسالة على ثلاثة فصول يسبقها تمهيد يتناول (الهُوية المفهوم والتأصيل) حسب ما جاء في الدراسات الفلسفية والنفسية والاجتماعية والنقدية ، أما الفصل الأول فقد كان (الهُوية الذاتية المتشظية) لمدى هيمنتها على أغلب النصوص الشعرية ،واقتضت طبيعة الموضوع حصره في مبحثين الأول :(الاغتراب وأثره في تشكيل الهُوية المتشظية) والثاني: (هُوية الذات السلبية) بينما يتجه الفصل الثاني إلى دراسة (الهُوية المجتمعية) وقد تشكل على مبحثين ، الأول:(العنف وأثره في تشكيل الهُوية المجتمعية) ، والثاني :(تمثلات الإرث المجتمعي في العراق) أما الفصل الثالث فقد كان خاصاً بدراسة (الهُوية التجييلية) أي القضايا الأدبية التي يتماهى بها الشاعر مع شعراء جيله ، وقد قسم إلى مبحثين،الأول: (التراث الثقافي) والثاني : (التوظيف الرمزي) ، ثم تأتي خاتمة تلخص أهم النتائج التي توصلنا اليها ، تعقبها قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت الدراسة عليها .

ومن الجدير بالذكر أن المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التحليلي الذي يقوم على تفكيك المعنى ودراسة الجزئيات بدقة واستنباط الغاية من النص. ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي المشرف (أ.د. علي هاشم طلاب) الذي خص البحث بعنايته منذ اللحظة الأولى عندما إقترح الموضوع وحتى خاتمة العمل وتمامه ، فله مني وافر العرفان وجعل ذلك في ميزان حسناته ، كما ألتمس العذر منه إن ظهر تقصير في عملي لأن الكمال لله وحده.

الباحثة

التمهيـــــــــد

الهُوية ، المفهوم والتأصيل

أخذت الهوية بعداً كبيراً في الدراسات الفلسفية والنقدية والأدبية في نهاية القرن العشرين، بل أصبحت من المواضيع التي شغلت الساحة الأكاديمية بشكل واسع ، وهي عملية إبداعية متطورة ومتجددة يدخل في تحديدها الفلسفة وعلم النفس والاجتماع وغيرها من التخصصات إذ قلما تجد مفهوماً آخر تمت دراسته من زوايا مختلفة، وهذا ما جعل المفهوم براقاً ومشحوناً[١]، ومرد ذلك إلى إنها السمة التي يتسم بها الأشخاص أو الأشياء ، وهي ليست عربية من حيث الأصل إنما اضطر بعض المختصين إلى تفصيل محمولاتها وتعريفهاعلى أنها ((الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة))[٢] وورد في المعجم الوجيز على أنها ((الذات وبطاقة يثبت بها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى أيضاً البطاقة الشخصية))[٣] وتُشتق من (هو) بضم الهاء ،وتفيد في الاشارة إلى من هو؟ وما هو؟ [٤]، وهذا المصطلح تراثي قديم قد ترجمه المحدثون بلفظ (اغتراب) وفي التراث العربي يستعمل ما يقابله وهو مصطلح (اختلاف)[٥]، وإنه ((لا يمت بصلة إلى جوهر اللغة العربية فهو طارئ عليها))[٦]،لذا يُعد من المفاهيم الحديثة التي يربطها الفلاسفة والعلماء والنقاد بالوجود والذات والتراث الثقافي كما ترتبط بالتغيرات الاجتماعية [٧] ، وهي في معناها المجرد مجموعة من العلامات والخصائص المختلفة تستقل بها الذات عن الآخر وتغيب بغياب هذه العلامات والخصائص وبحضورها تحضر[٨] ، وتثبت وجودها.

الهوية في الدراسات الفلسفية:

فرض المصطلح نفسه بوصفه مصطلحاً فلسفياً وقد تنوعت التعاريف حول ماهيته وتمثلاته في المنظومة الفلسفية ، فعرفه الفارابي على أنه: ((هُوية الشيء وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له))[٩] وجاء في المعجم الفلسفي إنها ((اسم مشتق من حرف الرباط أي الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره))[١٠] ويعبرعنها

---

[١]- ينظر: البحث عن الهوية (الهوية وتشتتها في حياة ايريك ايريكسون وأعماله)، peter cozon، تر: سامر جميل رضوان ، دار الكتاب الجامعي – الامارات ، د.ط، ٢٠١٠: ٩٢

[٢]- التعريفات ، العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير- القاهرة، د.ط ، د.ت : ٢١٦

[٣]- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية – مصر، ط١، ١٩٨٠م- ١٤٠٠هـ :٦٥٤

[٤]- ينظر: منابع الذات وتكون الهوية الحديثة، تشارلز تايلور، تر:حيدر حاج اسماعيل، مراجعة:هيثم غالب الناهي ، المنظمة العربية للترجمة- مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠١٤: ٢٠

[٥]- ينظر: الهوية، حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط١، ٢٠١٢ :١٧

[٦]- محنة الهوية مسارات البناء وتحولات الرؤية، رسول محمد رسول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط١، ٢٠٠٢، :١٧

[٧]- ينظر: الشخصية العراقية ، البحث عن الهوية، ابراهيم الحيدري،التنوير للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- مصر-تونس، ط١، ٢٠١٣: ٢٣٠

[٨]- ينظر: اللغة والهوية في الوطن العربي –إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، مجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات-بيروت، ط١، ٢٠١٣ : ٤٩

[٩]- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ، جميل صليبيا، دار الكتاب اللبناني ، بيروت-لبنان، د.ط ١٩٨٢: ٥٣٠/٢

[١٠]- المعجم الفلسفي،جميل صليبيا: ٥٢٩/٢ ، وللأستزادة ينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، عبد المنعم حنفي،مكتبة مدبولي- القاهرة ، ط٣ ٢٠٠٠م- ١٤٢٠هـ:٩١١

بالصيغة الرمزية أ=أ أي إنها الماهية في علاقتها مع ذاتها ،[١] وإن معناها في الاصطلاح الفلسفي قد استقر ليدل على ((ما به الشيء هوهو بوصفه وجوداً منفرداً متميزاً عن غيره))[٢]، غيره))[٢]، ويذكرها بعض المختصين بوصفها علامة ما هو متماهٍ – أي متماثل- فهي ميزة للفرد ، أو كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه بآخر يقال عنه أنه متماهٍ أي (هو ذاته)[٣]، و أبسط تعريف يمكن من خلاله فهم المصطلح فلسفياً هو ((ما يكون الشيء به هو هو))[٤] هي حالة الانتماء إلى الشيء و استقلال الذات بشكل تام[٥] ،إذ تقوم على علاقة تطابق مع الذات ، حيث تتعلق بكون شخص ما أو جماعة ما تمتلك القدرة على البقاء ذاتها وليس شيئاً أو شخصاً آخر،[٦] آخر،[٦] وقد ربطها افلاطون مع حديثه عن الثبات والتغير حيث يرى أن كل شيء مؤسس لذاته وأنه (هوهو) وكل واحد مختلف عن الآخر لكنه مطابق لذاته [٧] ، أما ارسطو فينظر إليها إليها بوصفها ظاهرة بقاء النفس أي بقاء الأشياء كما هي أو على صورتها الحالية ، فالأشياء تبقى على جوهرها مهما تقادم الزمن حيث ترتبط بالسمات المميزة والدائمة [٨]، ويعطي للنفس صفة الجوهر ، أي الماهية المرتبطة بالصفات المتعددة للجسم[٩] ،وترتبط أيضاً بالإحساس والتفكير والعمل وغيرها[١٠]، وتفسر بأنها ((خاصية مطابقة الشيء لنفسه أو لمثيله))[١١] ويقسمها أغلب الفلاسفة إلى أصل ثابت ، حيث تكون مرتبطة بجوهر الذات ، والثانية متغيرة وهي حين تكون انعكاساً للمجتمع أي تكون إما تصور موضوعي يجعلها جوهراً ثابتاً أو تصور ذاتي ناتج عن الشعور بالانتماء أي التماهي مع الجماعة[١٢]، وقد ربطها ديكارت بالجوهر وأخذ المفهوم لديه ينزاح من الشيء المفكر إلى فاعلية الأنا بالتفكير[١٣]، واستعمل مقولته الشهيرة (أنا

---

[١]- ينظر: موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١- ١٩٨٤: ٣٠٢/١

[٢]- موسوعة الفلسفة العربية / بأشراف: معن زيادة/معهد الإنماء العربي/ ط١ ١٩٨٦: ٨٢١

[٣]- ينظر: موسوعة لالاند الفلسفية / اندريه لالاند/ منشورات عويدات، بيروت – باريس / ط٢ ، ٢٠٠١/ المجلد المجلد الأول: ٦٠٧

[٤]- أزمة المفاهيم وإنحراف التفكير/عبد الكريم غلاب/ مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت/ ط١، ١٩٩٨: ٣٥

[٥]- ينظر: مستويات تشكل الهوية الإجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين- دراسة ميدانية/فريال حمود/ مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٧ ، ملحق ٢٠١١: ٥٦٣

[٦]- ينظر: مفاتيح اصطلاحية جديدة ، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت- لورانس غروسبيرغ- ميغان موريس، تر: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت،ط١، ٢٠١٠: ٧٠٠

[٧]- ينظر: الفلسفة ، الهوية والذات ، مارتن هايدجر، تر:محمد مزيات ،مراجعة :محمد سبيلا، كلمة للنشر والتوزيع، أريانة- تونس، ط١، ٢٠١٥م – ١٤٣٦هـ : ٣١

[٨]- ينظر: البحث عن الهوية (الهوية وتشتتها في حياة ايريك ايريكسون وأعماله) ، peter cozen :٩٣

[٩]- ينظر: النفس ، ارسطو طاليس، تر: احمدفؤاد الأهواني، مراجعة:الاب جورج شحاته، تصدير ودراسة: مصطفى النشار، المركز القومي للترجمة – القاهرة، ط٢، ٢٠١٥ :٤٢

[١٠]- ينظر: المصدر نفسه: ٤٧

[١١]- أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية ، عبير بسيوني رضوان، دار السلام للطباعة والنشر، مصر – القاهرة، ط١، ٢٠١٢م – ١٤٣٣هـ :٨٥

[١٢]-ينظر: اللغة والهوية في الوطن العربي – إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية ،مجموعة مؤلفين ، المركز العربي للابحاث ودراسات السياسات، الدوحة – قطر ، ط١، ٢٠١٣: ٥٠

[١٣]- ينظر: الهوية والزمان تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن، فتحي المسكيني ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠١ :٧

أفكر إذاً أنا موجود) وبناءً عليه يؤكد على إن للذات وجودا نفسيا ووجداناً ووعياً حين تفكر[١]، ويفسرها (كانت) بالذات الموجودة في الوعي التي تتميز بالتفكير عن باقي الاشياء[٢]، فلغة الهو الهو بدلاً من لغة الأنا الديكارتية [٣]،تتخذ عنده طابعاً عقلياً له سمة التطور والتنوع والاختلاف [٤]، بينما يقر (هيغل) بأن التنوع والاختلاف من أبرز سماتها، لأن مفهومها لا يبقى في صورته صورته المحضة ولا المجردة[٥] ، فإن (الهو) عنده ليس ماهية عاطلة أو ساكنة ،بل هي تشير إلى مالا نهاية ، وهذا ما يعطي لكل مضمون هُواه ولكلِ أمة هُواها [٦]، ولكونها مرتبطة بالذات بمعنى (الهو) لذا تحتمل الجوهرية والكلية[٧]، ويمكن عدها تجربة إنسانية تتخلق بالحرية وترتبط بالوعي حيث يُعرَف الأخير بوصفه الأنا المحض أو الكيان المباشر للروح[٨] ، ومن ثم ثم لكل ذات هوية تحميها من الانقسام وهي تنخلق من جوهر الوجود[٩] ، فجوهر الإنسان عنده عنده روح والروح لها جانبان الأول شعور والآخر حرية ومن أهم مراحل الروح هي ادراك الفرد لذاته [١٠]، ويرى (شلنج)* بأن الروح أو الذات تنبعث من تفاعل العقل والإرادة ومن هذا التفاعل تقوم حياة الانسان وتاريخه ، فلا توجد الذات من دون موضوع يظهرها ولايوجد موضوع من دون ذات تتصوره[١١]، كما ربطها الفلاسفة بالمطلق الخالي من كل نسبة أو إضافة، الذي لا يتوقف وجوده بالمعنى الوجودي الأنطولوجي[١٢]، وعنه يقول هيغل: ((إن المطلق هو هوية ذاتية للعقل بوصفها هوية الباطن والخارج))[١٣] لذلك ترتبط بالجوهر الذي يكون وجوده وجوداً مستقلاً[١٤]، ويفسرها بعضهم بالبدن المرتبط بالوجود، ويتبنون مقولة أنا موجود على مقولة أنا أفكر[١٥] ، الامر الذي يجعلها مندمجة مع الوعي بوصفه مكملاً للوجود

---

[١]- ينظر: التأملات في الفلسفة الأولى،رينيه ديكارت ، تر: عثمان امين ، تصدير:مصطفى لبيب ، المركز القومي للترجمة- القاهرة ، د.ط، ٢٠٠٩ : ١٦

[٢]- ينظر :موسوعة العلوم الفلسفية ،هيغل ، تر:إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، ط٣ ٢٠٠٧: ١٦٠

[٣]- ينظر: الهوية والزمان تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن: ٧

[٤]- ينظر: محنة الهوية مسارات البناء وتحولات الرؤية: ٢٧

[٥]- ينظر: المصدر نفسه:٧٩

[٦]- ينظر: فنومينولوجيا الروح، هيغل، تر: ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية- الحمرا- بيروت،ط١، بيروت،ط١، ٢٠٠٦: ١٠٧

[٧]- ينظر: المصدر نفسه: ٨٣

[٨]-ينظر: الهوية والحرية نحو أنوار جديدة، فتحي المسكيني،جداول للنشر والتوزيع ، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١١: ١٣٥

[٩]- ينظر: اللغة والهوية في الوطن العربي اشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية ،مجموعة مؤلفين: ١٩٤

[١٠]- ينظر: المثالية ، مفهومها، أنواعها وفلاسفتها، محمود كشانه ، المركز الاسلامي للدراسات الاسلامية- العتبة العباسية المقدسة، ط١، ٢٠١٨م – ١٤٣٩هـ : ٧٩

* فيلسوف ألماني درس اللاهوت والعلوم الطبيعية ورسم أول مذهب في فلسفة الطبيعة، ينظر: للإستزادة : تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، كلمات عربية للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت: ٢٨٣

[١١]- ينظر: المثالية مفهومها أنواعهاوفلاسفتها، محمود كشانة: ٢٨٤

[١٢]- ينظر: الموسوعة الفلسفية،عبد الرحمن بدوي: ١/ ٣٠٧، وللأستزادة ينظر: المعجم الفلسفي ، مراد وهبه : ٦٦٧، والمعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم حنفي، مكتبة مدبولي – القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م – ١٤٢٠ هـ : ٩٠٩

[١٣]- الموسوعة الفلسفية، عبد الرحمن بدوي: ٣٠٨/١

[١٤]- ينظر: مدخل إلى الفلسفة، ويليام جيمس، تر: عادل مصطفى، مراجعة:يمنى طريف الخولي، المجلس الاعلى للثقافة- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥ : ١٣٥

[١٥]- ينظر: الهوية: ١٣

وموجوداً بذاته فلا يمكن القول بعدم وجود وعي قبل الوعي [١] ، وبما أن الوعي هو المطلق بسبب التماهي فيه بين المظهر والوجود فيمكن فهمه على أنه الذاتية نفسها أي تلازم الذات مع ذاتها[٢] ،ولكون الأنا ضرورية في تكوين الوعي فهي ترقى إلى المطلق[٣] ، وتعد ((مصدراً للوعي، وإن مصدر الوعي لن يكون إلَا الوعي ذاته))[٤] ، وكثيراً ما يستعمل مصطلح الكوجيتو الفلسفي في الحديث عنها [٥]، إذ تقوم فلسفة المتبنين لهذا المصطلح على التفريق بين الهوية الذاتية والعينية فالثانية تنتمي إلى الوجود الذي يمكن ان نتصرف فيه ونتساءل حوله ، بينما الأولى فلا يمكن التساؤل حولها حيث تكون ثابتة ومتأصلة في الفرد و من أصل تكوينه [٦]، حيث تأتينا من الماضي ثم تتشكل وتنضج بفعل الجماعات المتقاربة[٧] ،ويفسر هذا المصطلح بوصفه ذات الكائن وما تتفرد به عن غيرها[٨]، فالذات هي الوحدة الاستعلائية للانا أو هي التسمية الأخرى للانا[٩]، ويربط معظم الفلاسفة بينها وبين الذات والماهية ، لكون لفظ الهوية يماثل لفظ الماهية إلا أنها ((تماثل بين الأنا والهو في حين إن الماهية تماثل بين الشيء ونفسه... ويستعمل لفظ الماهية في التعريف في حين إن لفظ الهوية يستعمل في الوجود))[١٠] ، ويرى بعضهم أن ماهية الذات تعني (أنا أستطيع) وليس أنا المجتزءة [١١]، فالهوية أخص من الماهية حيث تختص بالجزئي في حين ترتبط الماهية بالكلي[١٢] في حين يربطها آخرون بالأخلاق وذلك لكون الأخلاق هي تعبير عن واجباتنا تجاه الآخرين[١٣]، كما أنها ((ليست كياناً يعطى دفعة واحدة.. بل هي حقيقة تولد وتنمو وتتكون وتتغاير وتشيخ وتعاني من الأزمات الوجودية ومن الاستلاب))[١٤].

يرجع الفلاسفة قتلها أو استلابها إلى التنافر بين جماعة و أخرى مثلما حدث بين المسلمين والهندوس من شغب في الأربعينيات ، حيث ينمو العنف بين الجماعات بفرض هويات مفردة

---

[١]- ينظر: الكينونة والعدم ، بحث في أنطلوجيا الفنومينولوجية ، جان بول سارتر ، تر: نقولامتيني ،المنظمة العربية للترجمة- الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠٩: ٣٣

[٢]- ينظر: المصدرنفسه: ٣٤

[٣]- ينظر: تعالي الأنا موجود، جان بول سارتر، تر: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر-بيروت، ط١، ٢٠٠٥ : ٥٨

[٤]- المصدر نفسه :٦٦

[٥]- الذات عينها كآخر ، بول ريكور ، تر: بول زيناتي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الحمرا- بيروت، ط١، ط١، ٢٠٠٥ : ٤٩

[٦]- ينظر: المصدرنفسه: ٥٠

[٧]- ينظر:الهوية والسرد-دراسات في النظرية والنقد الثقافي،نادر كاظم، دار الفراشة للنشر والتوزيع – الكويت ط٢ ، ٢٠١٦ : ١٣١

[٨]- ينظر:مرايا الهوية(الأدب المسكون بالفلسفة) جان فرانسوا ماركيه ، تر:كميل داغر، مراجعة: لطيف زيتوني/ مركز دراسات الوحدة العربية ، الحمرا- بيروت/ ط١، ٢٠٠٥: ٤٣٤

[٩]- ينظر: المصدر نفسه :٤٣١

[١٠]- اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية: ١٨٦

[١١]- ينظر:أحادية الآخر اللغوية،جاك دريدا ،تر: عمر مهيبل،منشورات الإختلاف – الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ : ٤٠

[١٢]- ينظر: موسوعة الفلسفة العربية: ٨٢١

[١٣]- ينظر: منابع الذات وتكون الهوية الحديثة:٥٦

[١٤]- صورة الآخر في قصص سناء الشعلان- دراسة تحليلية، سناء جبار العبودي، أمل الجديدة للنشر والتوزيع ،سورية- دمشق، ط١، ٢٠١٨: ٨٤

وعدوانية يعتنقها متشددون على آخرين بسطاء وساذجين[١] ، ولكن الهويات ليست شراً مطلقاً إذ إذ يمكن أن نواجه الهويات العدوانية بهويات منافسة إنسانية وواعية[٢] ، ويشير البعض إلى إن التعالي مصدر الاستلاب حيث يظهر حين يحرم الأفراد حقوقهم الشخصية فيصبح شكلاً من أشكاله [٣].

تربط بعض الآراء بين الهُوية وبين الـ(أنا) وتؤكد على أنه ((لا توجد أنا معزولة تماماً عن الظروف الاجتماعية لنشوئها ، لاوجود لـ(أنا) لا تكون موجودة ضمناً داخل مجموعة من المعايير الخُلُقية تحكمها وتتجاوز المعنى الشخصي أو الخاص المحض لكونها معايير تمتلك طبيعة اجتماعية))[٤] فكل إنسان يولد ضمن جماعة يكتسب منها القواعد والقيم ومعايير مختلفة وتسمى عملية الانتماء والاكتساب هذه بالتثقف[٥]، ولا يخرج المفهوم الفلسفي الحديث عن كونها كونها تميز الفرد عن باقي الأفراد او مجتمع عن باقي المجتمعات لما يمتلكه من خصائص ومقومات وقيم تمنحه صفة التفرد والتميز.

الهوية في الدراسات النفسية:

إن الهوية مرتبطة بالنفسية الإنسانية ولها أثر فعَال في نجاح المجتمع ، فمتى ما كان توجه الأنا مشابهاً لتوجه الجماعة التي ينتمي إليها كانت ردود فعله السلوكية نموذجية وبنَاءة ؛لأن((المجتمع هو الذي يقرر ماهي الأفكار والإحساسات التي يمكن أن تمر في وعي الفرد وتلك التي من الضروري أن تبقى غير واعية))[٦] وعند البحث في الدراسات النفسية عن جذورها نجدها ترجع إلى البدايات الأولى التي أسس لها سيجموند فرويد في دراساته حيث شرَع للفكرة القائمة على أن ((الأنا هو ذلك القسم من الهو الذي تعدَل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثيراً بواسطة جهاز الإدراك الحسي))[٧] فيرى بأنها تتكون من تقمصات ناتجة عن التأثيرات النفسية الصادرة عن الهو [٨]، ويشير فرويد في دراساته حول الغريزة إلى أن حب الذات هي غريزة إنسانية إلى جانب الغريزة الجنسية ، كما كان فرويد حازما إزاء فكرة الصراع ، وبأن النفس الإنسانية تنطوي على قطبين هما الميول الجنسية وميول المحافظة على البقاء[٩]، وتشكل المحافظة عليها شكل من أشكال الصراع من أجل البقاء ، أي بقاءها نقية حية.

---

[١]- ينظر: الهوية والعنف ، وهم المصير الحتمي، إمارتيا صنو تر: سحر توفيق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت،د.ط ، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ: ١٨

[٢]- ينظر: المصدر نفسه: ٢٠

[٣]- ينظر: الكينونه والعدم: ٥٤٦

[٤]- الذات تصف نفسها ، جوديث بتلر،تر: فلاح رحيم ، التنوير للطباعة والنشر- بيروت،ط١، ٢٠١٤: ٤٥

[٥]- ينظر: مدخل إلى الفلسفة: ٢٧٨

[٦] -الأنا والنحن،التحليل النفسي لإنسان مابعد الحداثة، رااينر فونك،تر:حميد لشهب،جداول للنشر والتوزيع- بيروت/ ط١، ٢٠١٦: ٢٨

[٧]- الأنا والهو، سيجموند فرويد، إشراف:محمد عثمان نجاتي، دار الشروق –بيروت- القاهرة، ط٣، ١٩٦٦: ٤٢

[٨]- ينظر: المصدر نفسه :٧٨

[٩]- ينظر: مافوق مبدأ اللذه، سيجموند فرويد، تر: اسحاق رمزي، دار المعارف ، ط٥، د.ت: ١٥

يشير أدلر إلى أن ((أول ما نكتشفه عن أنفسنا هو إننا نسعى نحو تحقيق هدف ما وهذا يجعل من المستحيل تخيل الروح معزولة أو كوجود ساكن وغير متحرك))[١] وهذا راجع إلى تأثير المجتمع في تكوين الشخصية الذاتية للفرد فتعد أحسن طريقة للتأثير على الآخرين هي منحهم الشعور بأن حقوقهم آمنه ومحروسة ، ولكن غالباً ما ينسحب الفرد من مجتمعه وهذا لا يحدث إلا بسبب دافع نفسي مكبوت في الفرد من ماضيه أدى به إلى أن يحل كل الروابط التي تربطه بالعالم فيتخذ موقف العداء من مجتمعه، و إن شخصية الفرد تتحدد منذ الطفولة وعليها تتحدد هويته وتفاعله مع مجتمعه فالطفل الذي يشعر بالكبت من بيئته ولا يستطيع التعبير بحرية عن رأيه، لا يستطيع التفاعل مع مدرسيه والمحيطين به وحين يصل إلى مرحلة الطاعة يصبح فرداً غير صالح لأي مهمة؛ لأن الطاعة العمياء تجعله غير قادر على التصرف باستقلال أو حرية مايؤدي إلى معاناته من الاستلاب والقمع[٢]، وترتبط من خلال الدراسات النفسية بالوعي فتكون ال(أنا) شرط من شروط الوعي بوصفه (ذاتاً تفكر)[٣]، فالأنا ((هي أصل فعَال ... وإن إحساس الأنا هذا هو ما يجعل شخصاً ما هو ذاته محدداً بوصفه (ذاتاً حرة) أي واعياً لنفسه، غير قابل للتجزيء ومتماهياً مع كينونته))[٤] وترتبط أيضاً بالرغبة ، فهي التي تمكن الذات من من أن تمتد وتحلم وتتطلع إلى حياة مثالية[٥] ، ولعل البدايات الأولى التي أعطت المصطلح حضوره بوصفه مصطلحاً نفسياً قدمت أربعة معان مهمة له: وعي الفرد بوجوده ، ومعرفته بوعي الاخرين ومعرفتهم بوجوده، ووعيه بفرديته ووجوده، وتوافق أسلوبه الشخصي مع أساليب الآخرين في مجتمعه[٦]، ويقوم التحليل النفسي على ((هوية نحن- أنا ، فلا توجد هوية أنا بدون هوية نحن))[٧] فهي عملية انتقال البشرية من هيمنة النحن إلى التفرد ، حيث يصنف الفترة التي تمتد من أواخر العقد الثاني في بدايات البلوغ بأنها مرحلة أزمة في تكوين الهوية ففيها يعدل البالغ ويختبر الهويات والأدوار فبعض الهويات تبقى وتستقر وتُنبذُ أُخرى حسب مساندة المجتمع أو تأييد الثقافة من عدمه [٨] ، فهو ((ينظر إلى أزمة الهوية بوصفها أزمة نمائية تنشأ عن التغيرات الفسيولوجية وتوقعات المجتمعات .....وهي موقف نمائي يقتضي تجاوزه تحديد هوية الأنا ،أما إذا فشل الفرد في إنجاز هذه المهمة فأنه يعاني من التشتت والارتباك))[٩] فالهويات تتأسس وتتشكل من خلال العلاقات المتغيرة بين الهويات فهي تستمد تمايزها من خلال الفروق والاختلافات بينها [١٠]، وإن كل إنسان يحتاج إلى أن يمتلك سمة

---

[١]- الطبيعة البشرية، الفريد إدلر، تر: عادل نجيب شري، المجلس الاعلى للثقافة- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥ : ٣١

[٢]- ينظر: المصدر نفسه: ٧٣

[٣]- ينظر:أنا أُسيلفي إذن أنا موجود،تحولات الأنا في العصر الأفتراضي ،إلزا غودار، تر: سعيد بنكراد،المركز الثقافي للكتاب- الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠١٩: ٧٥

[٤]- المصدر نفسه:٧٦

٥- ينظر:المصدرنفسه: ٩٨

[٦]- التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي الحديث، احمد ياسين،إشراف : جابرأحمد عصفور ، دار الزمان للطباعة والنشر ، دمشق- سوريا، ط١، ٢٠٠٩ : ٤٠٦

[٧]- أزمة الهوية والثورة على الدولة :٨٥

[٨]- ينظر: السرد والهوية، دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة،جينيز بروكمبير، دونال كربو، تر: عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٥: ٣٣٥

[٩]- أزمة الهوية والتعصب ، دراسة في سيكلوجية الشباب ، هاني الجزار، هلا للنشر والتوزيع- الجيزة ط١، ٢٠١١م – ١٤٣٢ هـ: ١٦

[١٠]- ينظر: مفاتيح اصطلاحية جديدة ،معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت-لورانس غروسبيرغ- ميغان موريس: ٧٠٣

تميزه وهذه السمة هي الهوية التي حددها علماء النفس بثلاثة مستويات هي الفردية والاجتماعية والإنسانية[١] وإن الحاجة إليها تنبثق من رغبة الفرد العميقة بتقدير الذات فيمكن للفرد أن يكون عضواً في مجموعات عدة فيتمكن من تبديل هوياته، أما هوية الجماعة فتكون أقل قدرة على التبدل والتغير[٢]، فهي صفة تفرد الكائن الانساني عن غيره ولا يمكنه التفريط فيها لأن ذلك يعني اختزال وجوده وتقويض مكانته في الحياة .

الهوية في الدراسات الاجتماعية:

ركز معظم علماء الاجتماع على مسألة الانتماء عادين إياها صورة من صور الهوية ، وهي من وجهة نظر الدراسات الاجتماعية شعور فردي ناشئ من اندفاع الفرد نحو الجماعة من أجل تطوير صورة إيجابية لذاته[٣]، فإننا إذ نقوم بالتوحد مع جماعة ما نتقاسم معها الإحساس بالانتماء والشعور بالهوية المشتركة، فهويتنا الاجتماعية تستمد من كوننا أعضاء في جماعة داخلية[٤]، وقد عُرفت بأنها ((جزء من مفهوم ذات الفرد نابع من وعيه بكونه عضوا في في جماعة أو جماعات ،مضافة اليه الاعتبارات القيمية والانفعالية التي تحال إلى تلك العضوية))[٥] فإن ما يمنح حياة الفرد ميزة الشعور بالتماهي مع باقي الأفراد ، وأيضا ميزة الشعور بالتمايز عن أفراد المجتمعات الأخرى هي الثقافة إذ تكون بدورها هوية لهم [٦]، فترتبط فترتبط مع الثقافة بوصف الأخيرة هي ((الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والاعتقاد والفن والحقوق والأخلاق والعادات وكل قدرات وأعراف أخرى أكتسبها الإنسان كفرد في مجتمع))[٧] إذن هذا الكل المعقد هو هوية المجتمع يمنحها لأفراده، و لا يمكن أن تكون للفرد أو المجتمع مالم تكن هناك ثقافة ، لأن الثقافة مظهر للوعي الذي لا يمكن خلقه إلا عبر المجتمع والجماعة فمن خلالها يصبح الوعي الذاتي جماعياً ويصبح الواقع ذاتياً [٨]، فالشخصية الإنسانية الإنسانية تشكلت نتيجة تراكمات سابقة سواء من المجتمع أو من حياة الفرد نفسه وهذا ما يفسر بأن ((الذي يعمل على توجيه سلوكنا ليس هو هذه الطائفة من الأفكار التي تشغل في الحاضر انتباهنا ، وإنما هو كل الرواسب المتروكة في حياتنا السابقة ، إنها العادات المألوفة والأحكام السابقة وهذه الميول التي تحركنا دون أن نلقي بالاً إليها))[٩] وهذا التفسير يشدد على دور المجتمع في مكتسبات الفرد الذاتية والتي تحدد هويته والتي تميز فرداً عن الآخر وجماعة عن الأخرى، فلكل جماعة صفات محددة تحديداً واضحاً ولكل شعب صفات خاصة تسوده وعلى

---

[١]- ينظر: الشخصية والهوية ، الشخصية التسلطية والهوية الوطنية العراقية،لؤي خزعل جبر،دار مسامير للطباعة والنشر، العراق- السماوة، ط١. ٢٠١٩: ١٨١

٢- ينظر : المصدرنفسه: ٢٠٤

[٣] -ينظر:العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات،علي طاهر الحمود،سلسلة دراسات اجتماعية-مؤسسة مسارات ، بغداد-بيروت، د.ط، ٢٠١٢م- ١٤٣٣هـ:٦٤

[٤]- ينظر: أزمة الهوية والتعصب: ١٢٤

[٥]- الشخصية والهوية: ١٨٤

[٦]-ينظر: العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات:٦٥

[٧]- إغتيال العقل-محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية ،برهان غليون، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت-لبنان، ط٤، ٢٠٠٦ : ٧٣

[٨]- ينظر: المصدر نفسه: ٧٧

[٩]- علم إجتماع وفلسفة، إميل دوركايم ، تر: حسن أنيس، المطبعة الفنية الحديثة، الناشر:مكتبة أنجلو المصرية- القاهرة، ط١، ١٩٦٦ : ٢٥

هذا الأساس تقضي محاكمه ويصوغ الرأي العام الخاص به معاييره للأمور وتقديره وأحكامه عليها [١]، وإن مسألة الكشف عن هوية هذا الشعب هو اكتشاف من قبل الدولة أو المجتمع يتضمن لغة رسمية ولهجة شبه رسمية ومناهج موحدة في المدارس ، ومن خلال هذا كله ينشأ مفهوم المواطنة الذي يدمج الخصوصيات ليخلق الهوية السياسية [٢] ، كما تلعب الحروب والصراعات السياسية التي يتعرض لها المجتمع دوراً في خلق الهوية الوطنية [٣]، التي تنطلق ((من الإحساس الواعي للإنسان بالتفرد والتضامن مع قيم الجماعة ...فهي مجموع عمليات تقع في الشخصية وفي مركز ثقافتها الاجتماعية وترتبط بالعوامل المجتمعية وتتعدد وفق التيارات الفكرية داخل المجتمع))[٤] وتحدد الانتماءات الهوية الشخصية للأفراد التي يظهرها سلوكهم ،أما سلوك الجماعات فيظهر الهوية الاجتماعية [٥]، أما الهوية القومية فقد تأسست رمزياً على وجود جماعات أصيلة ونقية غير متخيلة فإن الأمم ليس لها وجود حقيقي وإنما هي تخيل الأفراد على وجود مشتركات فيما بينها، لأن الوقائع تثبت بأن قليل من الجماعات بقيت نقية وأصيلة مع وجود الاتصال الثقافي والهجرة والحروب وغيرها [٦]، وبحسب نظرية علماء الاجتماع فإنها مرتبطة بالحداثة، فالبشرية جزء من سلسلة طويلة للوجود ومع الحداثة تتغير المفاهيم والهويات وبعدها فرد عن الآخر[٧] ، فالوجود الواعي ينفتح على الآخرين ولا يظهر تمايزه إلا بالاحتكاك بهم؛لأنه يحتاج إليهم ، لكن حضوره ومشروعه وقوة وجوده كل ذلك يتجلى بوعيه لخصوصيته- هويته- التي تحفظ له ذلك التمايز[٨]، ويتأثر هذا التمايز بالتأثيرات السياسية والاجتماعية إما بالسلب أو الإيجاب حسب نوع التأثير، وهذا التأثير قد يتحول إلى استعباد فيؤدي إلى خلق مشاكل داخل المجتمع وهذا ما يسبب الإنفصال بين الذات والآخر فتسود ثقافة الانغلاق ورفض الآخر[٩]، وهو ليس موضوع مصطنع بل هو جوهر العلاقات داخل المجموعات ويتحكم في بناء الدول وتفككها وهو على الأغلب يشكل صراع داخل الدولة والأفراد المكونة لها [١٠].

أثار هذا مصطلح إشكالية تتعلق بعلاقة الأنا الفردي بالآخر الفردي أو الجمعي فتبرز الأنا الفردية مدافعة عن خصوصيتها إزاء محاولة الآخر لنفيها[١١]، وهذا ما يخلق حالة من انفتاح

١- ينظر: علم إجتماع وفلسفة: ٧٣

٢- ينظر: سؤال الهوية ، الهوية وسلطة المثقف في عصر مابعد الحداثة،شريف يونس، ميريت للنشر والمعلومات – القاهرة ،ط١، ١٩٩٩: ٧٩

٣- ينظر: المصدر نفسه: ٨٠

٤- مستويات تشكل الهوية الإجتماعية وعلاقتها بالمجالات الإساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين – دراسة ميدانية في المدارس الثانوية العامة في مدينة دمشق، فريال حمود: ٥٦٣

٥- ينظر: الهوية العربية، برهان زريق، دار حوران للطباعة والنشر ، سورية – دمشق ، ط١، ٢٠١٢: ١٦، ١٧

٦- ينظر:إغتيال العقل: ٦٦

٧- ينظر: سوسيولوجيا الهوية - جدلية الوعي والتفكك وإعادة البناء،عبد الغني عماد ، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠١٧: ١٧٠

٨- ينظر: الهوية العربية: ٦٤

٩- ينظر:مقالة: التميز القبطي وإستعباد الدولة في مصر ، مي مسعد ، مجلة عمران للعلوم الإجتماعية والإنسانية والإنسانية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد ١ ، المجلد الأول، ٢٠١٢: ٢٠٠

١٠- ينظر: أزمة الحداثة في المجتمع العربي والدولة في فكر برهان غيليون،،يسري توفيق محمد خالد ، رسالة ماجستير في جامعة بيرزيت- كلية الآداب- فلسطين، ٢٠١١ : ١٤٩

١١- ينظر: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي الحديث: ٤٠٤

الذات على الآخر، وهذا الانفتاح يكسب الذات معارف أخرى تمنحه رؤية خاصة فهو ينفتح على العالم ليخرجها من حيز الجمود [١] ، فإن للآخر وجود فاعل حيث يمكن أن ((يتعين معنى أو هوية أو نوعاً أو طبيعة))[٢] ، فمن وجهة نظر الدرس الاجتماعي نستشف بأن المصطلح يقوم على علاقة الأنا بالآخر وعلاقة الفرد بالجماعة التي تمارس تأثيرها فيه ليتحدد من خلال استقباله لهذا التأثير انتماؤه وتآلفه أو غير ذلك.

الهوية في الدراسات النقدية والأدبية:

بدأ المصطلح يظهر في القرنين التاسع عشر والعشرين بوصفه مصطلحاً اجرائياً في ((التداول السياسي والديني والأيدلوجي والثقافي...فظهرت له تفريعات لانهائية تتوالد باستمرار))[٣] ومن خلال تتبعه في الدراسات الأدبية والنقدية يظهر جلياً أن الفكر العربي الحديث يستعمل له سؤال (من نحن؟)، إذ من خلاله ((يطرح مباشرة قضية العروبة والإسلام، قضية الدين والدولة، قضية الوحدة والتجزئة، قضية السلفية والحداثة...الخ))[٤] كل هذه الأمور جاءت رد فعل للتحديات التي كانت سائدة في الأزمنة القديمة ،حيث تجمع بين الإقتصادي والسياسي والثقافي[٥]، ويمكن أن نقول عنها : إنها ظاهرة حديثة تختلف من شخص لآخر، فهي فهي الأمة بالنسبة إلى بعضهم والدين أو الطبقة بالنسبة إلى البعض الآخر وبكل الأحوال لا يوجد انتماء بالمطلق[٦].

توصف عند الكتاب والمفكرين بما يكون مجمله جوهر الشيء وبه يُعرف أي الثوابت التي لا تتغير فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان[٧]، كما تمثل أيضاً ((مجمل السمات التي تميز شيئاً عن غيره أو شخصا عن غيره أو مجموعة عن غيرها كل منها يحمل عدة عناصر في هويته يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى))[٨] وهو بهذا التعريف يمنح المصطلح مفتاح الحرية التي بدوره يعطيها للذات ويمنع خضوعها لإستعباد الهُوية الواحدة السائدة والمهيمنة .

يقول الكاتب أمين معلوف : ((إن هويتي هي التي تعني أنني لا أشبه أي شخص آخر))[٩] آخر))[٩] وبناءً عليه يمكن عدَها سمات مشتركة بين الأفراد المنتمين إلى أمة أو جماعة واحدة،

---

[١]- ينظر:صورة الآخر في قصص سناء الشعلان: ٨٣

[٢]- الآخر في الشعر العربي الحديث ، تمثل وتوظيف وتأثير، نجم عبد الله كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط١، ٢٠١٠ : ٢٢

[٣]- المصدر نفسه: ٢٤

[٤]- إشكاليات الفكر العربي المعاصر،محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، ط١، ١٩٨٩، ط٢ ١٩٩٠: ١٠٢

[٥]- ينظر:القبيلة والقبائلية أو هويات مابعد الحداثة،عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب، بيروت –لبنان، ط٢ ٢٠٠٩: ٥٢

[٦]- ينظر: الهويات القاتلة، امين معلوف، تر: نهلة بيضون ، دار الفارابي-بيروت- لبنان ، ط٣ ٢٠١٥ : ٢٤

[٧]- ينظر: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، محمد عمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر- مصر،ط١، ١٩٩٩م: ٦

[٨]- أزمة الهوية والثورة على الدولة: ٨٥

[٩]- الهويات القاتلة: ٢٠

تجعلهم يُعرفون ويتميزون بها عن غيرهم ، كما يمكن فهمها على إنها وعي الإنسان وإحساسه بالانتماء إلى جماعة أو أمة او طائفة ،كما إنها تشكل وعي الإنسان ومعرفته بما يريده لنفسه وموقفه من علاقات مجتمعه وصراعاته وتناقضاته [١].

يشير المسدي إلى إنها حقٌ من حقوق الانتماء وجوهره ((والانتماء مضمون وإبلاغ فأما المضمون فعقيدة تكفل له الإيمان وتقيه شر الضياع ، أما الإبلاغ فلغة تؤمن له التواصل الإنساني الخلاَق))[٢] ويوضح ذلك نزوع الأفراد إلى التوحد مع جماعة ما والاشتراك معها بالإحساس بالانتماء حيث تسمى الجماعة ب(النحن)وتنشأ هويتهم الاجتماعية من كونهم أعضاء في هذه الجماعة[٣].

يؤكد البعض على إنها نتاج التماهي والانتماء مع الجماعة [٤]، فالانتماء هو ((حالة موضوعية يفرضها واقع الحال كأن ينتمي الإنسان إلى قومية معينة كالقومية العربية فمن يتكلم العربية ويعيش على أرض العرب هو عربي بالضرورة ولا يمكن له الخروج من دائرة هذه الهوية))[٥] ويربطها آخرون بالأصالة والمعاصرة، ويعرفونها : بالصفات التراثية الثابتة[٦]، فهي الثوابت الجوهرية في الشخصية الإنسانية ،وأيضاً كل ما هو مشترك ومتأصل في المجتمع الواحد، ويركز على التراث في حديثهم عنها ، بوصفه تراثاً قومياً وإن أول مشكلات المثقف العربي هي شعوره بانفصال تراثه الثقافي القومي عن الفكر العالمي[٧]، وإن الحديث عنها يحيلنا إلى المقومات التي تميز الفرد الواحد عن الآخر المختلف ، وهذه المقومات تتحدد بالعرق والدين والفكر والمكان وغيرها التي تشكل ملامحها[٨] ، فالجماعة مفهوم صانع لها يمتلك صيغ متعددة تتمثل: بـ(العرقية) وهي المشتركات الثقافية مثل التاريخ والنسب والمعتقد واللغة والدين، و(العنصرية) ويراد بها العناصر البيولوجية المشتركة أي الحدود المادية الحسية، و(القومية)أي التاريخ المشترك والممارسات واللغة والدين المرتبطة بالدولة أي ما يميزها عن العرقية هو ارتباطها بالدولة ، (واللغوية) التي تتضمن اللغة واللهجة واللكنة السائدة في مجتمع ما[٩]، وبتعبير أدق هي ((إحساس الفرد بنفسه وفرديته وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكياته وأفكاره في مختلف المواقف))[١٠] كما ترتبط بمحاولات إثبات الذات في صراعاتها ضد التهميش

١- ينظر: الهوية والمواطنة البدائل المتلبسة والحداثة المتعثرة، عبد الحسين شعبان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠١٧: ٢٠

٢-الهوية العربية والأمن القومي، عبد السلام المسدي ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة- قطر، ط١، ٢٠١٤ :١٩٩

٣- ينظر: أزمة الهوية والتعصب: ١٢٤

٤- ينظر:طروحات عن النهضة المعاقة، عزمي بشارة، رياض الريس للكتب والنشر ،ط١، ٢٠٠٣ :١٧٥

٥- الهوية العربية، صراع فكري وأزمة واقع-دراسة في الفكر العربي المعاصر ، عهد كمال شلغين، منشورات منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،وزارة الثقافة- دمشق ،٢٠١٥ : ٤١

٦- ينظر:الهوية العربية: ٥٩

٧- ينظر:إشكاليات الفكر العربي المعاصر: ٤٧

٨- ينظر:صورة الآخر في قصص سناء الشعلان: ٨٣

٩- ينظر: القبيلة والقبائلية أو هويات مابعد الحداثة:٥٣، ٥٤

١٠- معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عمر ، عالم الكتب للطباعة والنشر – القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، المجلد الأول : ٢٣٧٢

والإقصاء ، فتعبر عن الأنا في محاولتها التمرد على الواقع [١]، وهذا ما يجعل اشكالية الأنا والآخر تتشابك مع إشكاليتها ، إذ لا تعبر هذه الأنا عن هوية شخصية فحسب ، بل لتعلن المواجهة وتلغي الاحتقار إذا ما تعرضت للتهميش أو الإقصاء من قبل الآخر[٢]، وعلى هذا الأساس لا يمكن معرفة الأنا إلا من خلال معرفة الآخر، حيث أن انفتاح الأنا على الآخر تساعد الأول على تكوين رؤية خاصة تسهم في إخراج هويته من حيز الجمود[٣]، وهنا تكمن هذه الإشكالية ،لأن الأنا الحديث إذا ما خضع لهيمنة الآخر أو أخضع الآخر لهيمنته عدَّت العلاقة بينهما علاقة غزو وقهر[٤]، الأمر الذي يؤدي إلى التشبث بها ، ويأتي ((مستوى استلهام الآخر وتوظيفه للتعبير عن القضية الفردية أو الأزمة الذاتية دون أن تبتعد في فرديتها عن الوطن والمجموع))[٥] فكان ظهورها استجابة لدواعي العصر وظروفه حيث تخضع للقوانين الحياتية مثل التغيير والتطور وتسهم الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية في نموها أو وأدها.

يلعب الدين دوراً هاماً في تكوين الإطار العام لبعض أنواع الهويات ،إذ شكل عند البعض أساساً لها[٦] ، وذلك ((لكون معظم التيارات الدينية الإصلاحية التقليدية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين كانت تكرس الدين وتدافع عنه كرؤية معيارية...لأنها ترى الدين كثابت تدور حوله كل الدوائر))[٧] ولأن المغالين من التراثيين يرون إن نفي الدين هو نفي للهوية القومية[٨] القومية[٨] ((فإن الهوية الدينية يمكن أن تكون واحدة من الهويات التي يراها الشخص كهوية مهمة (ربما أيضا حاسمه) ولكن من دون أن ينكر أن هناك هويات أخرى ربما تكون مهمة أيضاً))[٩].

يؤكد كثيرون على إن للدين دوراً مهماً في تماسك الجماعات وتوزيع الأدوار داخلها، فهو يقدس حياة الجماعة وتاريخها الذي يشكل هويتها ويمنحها وجودها[١٠]، حيث يقوم ((ببلورة جماعة ما ورسم حدودها عبر الطقوس الجمالية والفرائض والمحرمات والزمن المقدس المتداخل مع الحياة اليومية في الأعياد ورزناماتها المقدسة))[١١] وترتبط عند البعض باللغة فيقول المسدي: ((إذا ما فقد أي شعب استخدام لغته الأم فإن ذلك سيؤدي إلى طمس ذاتيته الثقافية وفقدان هويته المميزة))[١٢] فإن الإنسان يفقد معناه من دون اللغة ، وإن النضال من أجل

---

[١]- ينظر:خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني التلقي والتأويل، د. علي هاشم طلاب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٤م :٢٢٨

[٢]- ينظر:الهوية والآخر – قراءات في ضفاف النص الشعري، صالح زامل،مكتبة عدنان للطباعة والنشر ،ط١، ،ط١، ٢٠١٢ : ١٢٩

[٣]- ينظر: صورة الآخر في قصص سناء الشعلان: ٨٣

[٤]- ينظر: الأنا والآخر من منظور قرآني،السيد عمر، تحرير:منى ابو الفضل ، نادية محمود مصطفى ، دار الفكر-دمشق ، ط١، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩ هـ : ١١٧

[٥]- الآخر في الشعر العربي الحديث:١٦٩

[٦]- اغتيال العقل: ٢٩

[٧]- محنة الهوية، مسارات البناء وتحولات الرؤية: ٧١

[٨]- إغتيال العقل: ٢٩

[٩]- الهوية والعنف وهم المصير الحتمي: ٧٠-٧١

[١٠]- ينظر: الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة، عزمي بشارة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات-قطر، ط١، ٢٠١٨: ١٦٥

[١١]- الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة:٢١٣

[١٢]- الهوية العربية والأمن القومي: ٨١

الحفاظ عليها يعيد تشكيلها لينتج هوية جماعية[١] ،يربطها معظمهم بالإرث الثقافي والأدبي وخاصة في أدب السيرة الذاتية حيث يربطون بينهما في محاولة لنقل الأفكار وعرض القضايا المرتبطة صميمياَ في المجتمع ، وهذا ما أطلق عليه فريمان وبروكمبير بـ(مفاهيم الحياة الجيدة) ((لافتين الانتباه إلى حقيقة أن بناء السرد للهوية ليس له بُعد نفسي واجتماعي فقط لكن له بُعداً خلقياً أيضاً....وهما يرون بأن الأفكار الثقافية عن الحياة الجيدة تؤثر على درجة التكامل السردي المتأصل في القصص التي يحكيها الناس عن حيواتهم وعن هوياتهم في النهاية))[٢] فهي كشف عن ماضي الأمة ، ووثائقها ووقائعها،الأمر الذي يرهن وجودها بوجود تحبيكها أو سردها الثقافي الخاص[٣]، ومن هذا المنظور يمكن عدَها سردية ترتبط بالتاريخ، أي كيان يتشكل أو يُشكل وتكون عرضة كأي حدث تاريخي للتغير وهذا التغير يخلق فهمين مختلفين لها: الأول يصفها بأنها سردية الأمة التي تشكلت عناصرها في مجرى التاريخ ، والثاني: يصفها بأنها كيان جوهري لا تاريخي[٤]، فالسرد ملتصق بالتحولات الاجتماعية ،وإن لكل عمل عمل فني بعدان :بعد اجتماعي يقوم على الواقع المعيش وبعد فردي ينطلق من خيال الفنان[٥]،حسب هذا يمكن فهمها بوصفها ((خيالاً يُراد منه أن يضفي نموذجاً أو سرداً منتظماً....فصارت الذات في السيرة الذاتية تنحو إلى الانتظام حول مجموعة من الصفات الثقافية الأخرى كالخاصية والشخصية والتجربة والموقع الاجتماعي واسلوب الحياة))[٦].

نلحظ من هذا إن القضية تطرح العديد من الأسئلة التي تسهم في الكشف عن المواضيع الاجتماعية والتاريخية التي ترصدها وتؤكد على اختلافها وتغيرها المستمرحيث ((تنتمي في نهاية المطاف للعوالم الرمزية : عوالم الصورة واللغة ، وعوالم الإدراك والفعل ...فالحديث عن ثقافة في شكلها المختلط سيظهر بطريقة خاصة في الحديث حول الهوية))[٧]، وهذا ما يمنحها القدرة على توجيه الذات نحو العالم الأكثر مقاربة لها، ففي تاريخ وجود الأمم نجد قصصها تقوم في الأساس على الرمز الذي يجمع بين ما هو فطري وواقعي وما هو خيالي وهما مكونان لأي قصة سواء كانت تاريخية أو إبداعية[٨]، وهذا يجعل تشكلها عملية تأويل للماضي والتاريخ والثقافة، وهذه العملية التأويلية لا تخلو من صراع من أجل سيادة هوية سردية معينه [٩]، ويعي ويعي الروائيون بأن السرد حين يشتبك بتاريخ الهويات لا يعطي تاريخاً حقيقياً لها ولا يتوخى الدقة في الرصد والتوثيق ، لأن قدرته محدودة على تحبيك تاريخها وجعل التعايش بينها ممكناً[١٠]، ولكن يجب الإقرار بأن المرور من التاريخ الجماعي إلى السرد يمنح الكاتب المصداقية ،حيث تندفع أغلب الجماعات نحو سرديات متخيلة قصص وأساطيرثم تحبكها مع

---

[١]- ينظر: الهوية العربية والأمن القومي ١٧٧
[٢]- السرد والهوية دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة: ٣٥
[٣]-ينظر: الهوية والسرد:١٣٠
[٤]- ينظر: المصدر نفسه : ١٣٩
[٥]-ينظر: الشغف بالهوية، دراسات ومقالات في السرد، صالح زامل، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر-العراق-بغداد/ط١، ٢٠٢٠: ٨٩
[٦]- مفاتيح اصطلاحية جديدة ،معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت-لورانس غروسبيرغ-ميغان موريس: ٧٠١
[٧]- الثقافة المختلطة والهوية الثقافية،اوسفالد شفيمر، مجلة الأوان الألكترونية https://www.alawan.org
٨- ينظر : القبيلة والقبائلية أو هويات مابعد الحداثة: ٢٢
٩- ينظر: المصدر نفسه: ١٣٢
[١٠] ينظر: القبيلة والقبائلية أو هويات مابعد الحداثة: ١٣٧

سردياتها التاريخية وتكَون لنفسها هوية خاصة تزودها بحس جمعي لفهم ذاتها[١] ، وعلى هذا يمكن عدَها نوعاً من أنواع التصورات حول الذات والمجتمع ، حيث يتطلب فهم هوياتنا الخاصة فهماً لسردياتنا ، فمثلما ينقل السرد أخبار الماضي ينقل كذلك تصورات الهوية[٢].

ينظر كثيرون إلى أن ((السرد يمنحنا حياة هي حياتنا ... وإن الأنا التي تبدأ برواية قصتها لا تستطيع أن تفعل لك إلَا بحسب قواعد معروفة لسرد الحياة))[٣] فالأنا يجب أن تكون شاهدة على أمور لا يمكن أن تكون حاضرة فيها، وهذا أمر مستحيل لاختلاف الأزمنة، وهذا يؤدي إلى التفريط بالمعرفة الحقيقية[٤]،لذا يمكن وصفها بأنها ((تشكيل عالم متخيل ،تحاك ضمنه استراتيجيات التمثيل وصور الذات عن ماضيها وكينونتها))[٥].

يربط كذلك النقاد بينها وبين المواطنة في الدولة من ناحية الجنسية ،وترتبط بالأبعاد الثقافية للشخص وانتمائه السياسي[٦]، فالثقافة ((أنماط السلوك والتفاعل في حياة الناس اليومية العادية ومن خصائصها البارزة كونها ثقافة متعلمة ومعلومات وخبرات حياتية تنتقل مع الأفراد من جيل لآخر))[٧] كذلك طريقة الحياة وتفاصيلها مثل اللغة والزي والطعام وغيرها ، وفي حقيقتها تمثل ((نتاج تاريخي عام يحاول الفرد عن طريقها معرفة نفسه ومعرفة الآخرين عبرها ، وتتكون من تجمع عناصر عديدة منها ثقافية ومنها اجتماعية))[٨] ومحاولة المعرفة هذه جعلت النخب المثقفة تفكر بالهوية من حيث الفطرة ، ويشار إلى إن ((الهوية القوية والفعالة ليست ما يملكه المرء أو يعطى له ...هي ثمرة الجهد والمراس والاشتغال على المعنى الوجودي بكل أبعاده من أجل تحويله إلى أعمال وإنجازات))[٩] ويؤكدون على ارتباطها بالأعمال النقدية الفعَالة، لأن هوياتنا لاتقف عند حد ما نتذكره أو ندافع عنه وإنما هي ما ننجزه ونحسن فعله وما تسهم علاقتنا مع ال(غير) في صنعه[١٠]، وتسهم في التعبير عن كيان حسي يكشف عن التحولات الواسعة في حياة المجتمعات، كما تحيل إلى السمات الثقافية التي تميز الناس مثل العرق والقومية والجنس والمعتقد[١١]، وهذه الخصائص لا تحضر كلها دفعة واحدة ، إذ ليست سبباً بل نتيجة تنشأ عن حس بضرورتها فتكون الضرورة هي نسقها العام [١٢]،كما يربطون بينها وبين الأدب والذاكرة ، لكون الأدب لا يعكس فقط الواقع وإنما ينشئ معانٍ أخرى من أجل

---

[١]- ينظر: الهوية والذاكرة الجمعية، إعادة إنتاج الأدب العربي قبل الإسلام- أيام العرب إنموذجاً، عبد الستار جبر، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ، ط١، ٢٠١٣: ٧٦- ٧٧

[٢]- ينظر: المصدرنفسه: ٧٨

[٣]- الذات تصف نفسها: ١١١

[٤]- ينظر: المصدر نفسه:٨٦

[٥]- سرديات ثقافية ،من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، محمد بو عزة، دار الامان للنشر والتوزيع – الرباط، ط١، ٢٠١٤م- ١٤٣٥هـ: ٣٤

[٦]-ينظر:الشخصية العراقية، البحث عن الهوية: ٢٣٢

[٧]- أنعام كجه جي بين أزمة الهوية وخطاب السخرية، محمد عبد الحسين هويدي، دار مسامير للنشر والتوزيع ، ، العراق- السماوة، ٢٠٢٠ : ٣٧

[٨]- المصدر نفسه: ١٥

[٩]- حديث النهايات ،فتوحات العولمة ومآزق الهوية، علي حرب، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب،ط٢، ٢٠٠٤: ٢٣

[١٠]- ينظر: المصدر نفسه: ٢٥

[١١]- ينظر: القبيلة والقبائلية أو هويات مابعد الحداثة: ٤٨

[١٢]- ينظر:المصدرنفسه: ٤٩

تنميط صورة معينة لهذا الواقع[١] ، ولكونه متورط غالباً مع السلطة الحاكمة التي تلجأ إليه من أجل توفير غطاء شرعي لهيمنتها من خلال صياغة آيديولوجيا خاصة بها وتشكيل الهويات الجمعية والوعي الجمعي ،فتعمل تلك الآيديولوجيا بوصفها آلية مركزية لتعزيز التماسك والتضامن بين الأفراد والجماعات التي ينتمون إليها[٢]، وإن اشتباك الأدب مع السلطة يقوم بتحرير الذاكرة ، ويطرح التخيل منظوراً مخالفاً لواقع السلطة فيتفاعل الحوار التخيلي مع التاريخي وتتواجه الذات والجماعة ،القامع والمقموع[٣].

يبين الكاتب أمين معلوف بأنها تتشكل منذ سنوات الطفولة الأولى حيث تقوم العائلة بتشكيل الطفل وتكوينه وتلقينه المعتقدات والمذاهب واللغة فضلاً عن الانتماءات، وقد يتعرض بعض البشر للتجريح والاضطهاد بسبب الفقر أو لون البشرة أو الدين أو غيرها من الاختلافات التي ترسم ملامح الشخصية وتحدد السلوك ، وهذا التجريح يحدد موقف البشر من إنتماءاتهم فقد ينزع الفرد إلى التماهي أو قد يخفي هذا الإنتماء ليظهر فجأة للانتقام[٤]، ولهذا يستعمل معلوف مصطلح الهويات القاتلة لأدانة المفهوم الذي يختصرها في إنتماء واحد يحصر البشر في موقف متحيز ومتعصب ..بل إنتحاري في بعض الأحيان فيحولهم إلى قتلة أو أتباع قتلة فتتشوه رؤيتهم للعالم وتنحرف[٥] .

ويوافق عبد الله الغذامي أمين معلوف في نظرته للهُوية ويصرح بأنها ((ناتج للتحديات ومتولدة عن الحاجة للدفاع عن الذات ضد أي عنصر مهدد سواء كان التهديد حقيقياً أو إفتراضياً، وردود فعل الإنتماء قد تكون إيجابية وبناءة كما فعل السود في أمريكا وقد تكون عنيفة ودموية كما يجري في معظم حوادث التاريخ والثقافات))[٦] كما يؤكد على إنها ولدت من رحم أزمة الانتماء التي شاعت في العصر الحديث لتردم الفجوة بين ما عليه المرء وما هو جدير به ولترتقي بواقعه[٧]، فحالات الاستغلال والقمع والاضطهاد وجدت من يتصدى لها بعد أن شاعت ثقافة الحرية بين الأوساط المثقفة والمتمردة ، ويُطلق على الهويات الناتجة عن شكل هذا الصراع ب(الأقلية) التي تنمو لتبرز المواطنة الشوهاء القائمة على دونية الآخر في حين إنها يجب أن تقوم على الكمال بينما الشوهاء تقود إلى التراتب بين الأفراد ويتجلى اليوم في صراع الهويات الثقافية والتي تعجز عن بناء مواطنة حقيقية[٨]، وهذا ما يمنح الأمة شكلها الحقيقي حيث ((ينقسم المجتمع إلى طبقات وفئات في حركية مجتمعية دائمة ، هذه الحركية تجعل المجتمع كله يتفق على بعض القضايا بالإجماع مثل صيانة الهوية والوطن من أي عدوان خارجي ومثل الاحتكام إلى العقل والعمل من أجل الرقي والعدل))[٩] وهذا يجعل شكليتها

---

[١]- ينظر:الهوية والذاكرة الجمعية، إعادة إنتاج الأدب العربي قبل الإسلام- أيام العرب إنموذجاً، عبد الستار جبر: ٤١

[٢]- ينظر: المصدرنفسه: ٤٢

[٣]- ينظر: سرديات ثقافية: ٩٩

[٤]- ينظر:الهويات القاتلة: ٣٨

[٥]- ينظر: المصدرنفسه: ٤٣

[٦]- القبيلة والقبائلية أو هويات مابعد الحداثة:٦٠

[٧]- ينظر :المصدرنفسه: ٤٦

[٨]- ينظر: الشغف بالهوية:١٠٧، ١٠٨

[٩]- الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، أحمد بعلبكي ..وآخرون، تحرير: رياض زكي قاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠١٣ : ٣٦

المميزة هي الإقرار بالتنوع وحماية الكيان الذاتي والاجتماعي والسياسي والديني وغيرها من الكيانات المرتبطة بهذا المفهوم ، وعليه فأن الهُوية متعددة الرؤى ومتباينة الاتجاهات،تحدد بعلاقتها مع المجتمع والذوات ، فهي سمة يتميز بها الفرد والمجتمع وتشكل خصوصيته ووجوده وبما أن الشعر هُوية الشاعر، فهو الممثل الحقيقي لما يمتلكه من هُويات عدة سوف يقف البحث عليها ،فهي تمثل هُويته وهُوية الجيل الذي ينتمي اليه والمجتمع الذي يحيا به،

الفصل الأول

الهُوية الذاتية المتشظية

مدخل:

تشكل الهُوية سمة مهمة من سمات الشخصية الذاتية للفرد ، بها يُعرف ويُحدد إنتمائه وثقافته ودينه وقيمه في الحياة ، وتُستعمل على إنها ((الارتباط المنسجم بين الذات والعالم))[١] فذات الشاعر((هي أنا الشاعر ، الماهوية، أي الحقيقة أو الموضوعية))[٢] التي تعمل على بيان توجهاته وانتمائه واستقلاله وعلاقته مع الأفراد الذي ينتمي إليهم، فيتكون جوهر وجوده المتمثل بهُويته الذاتية ،فهي التي تضع الحدود المميزة للأفراد وترسم الملامح المميزة لأنفسهم ولعلاقاتهم مع العالم من حولهم[٣] ، وإن الإحساس السليم بالهُوية يتمثل في التعبيرِ عن الإحساس الإحساس بالمشاركة والتجذر في البيئة التي ينتمي إليها[٤]، و شعور الفرد بوصفه ذاتاً مؤثرة بصورة إيجابية في هذه البيئة يعزز هُويتهُ ويرسخها وحين يتم عزله أو إقصائه فإن هذا يخلق لديه شعوراً بالعزلة والعجز وتدخل الذات في دوامة الشعور بالكآبة والكبت أو تحولها إلى مشاعر عدوانية تجاه المجتمع وأفراده، وهذا ما يطلق عليه بأزمة الهوية ، وهي ليست أزمة بمعنى تهديد أو محنة بل موقف نمائي ينشأ عن التغيرات الفسيولوجية وتوقعات المجتمعات يقتضي تجاوزه تحديد هُوية الأنا[٥] ،وهذا الفكر مركب من مشاعر مادية ومشاعر الانتماء والتكامل والإحساس بالوجود ، ومن هنا يمكن القول : بأن أزمات الهُوية تولد تحت تأثير عمليات كبت تنال جانباً أو جوانب متعددة من مشاعر الإنسان[٦]، فلم يعد الاستقلال الفردي يمنح شعور الانتماء إلا بمقدار الشعور بالخيبة والصدمة من هذا الواقع المتردي ، فتسلل إحساس الاغتراب للنفوس وتشظيها يجعلها أسيرة للوحدة والقلق لأن أزمة الهُوية في العراق((هي قبل كل شيء أزمة حرية ، وأزمة وعي بها ، وأزمة تفاهم وحوار مع الآخر بمعنى آخر هي أزمة مواطنة لم تتبلور، وأزمة دولة لم تكتمل ويتم نضجها ، وأزمة نظام سياسي تجاوز على حقوق المواطن وإنسانيته))[٧] فتجربته في أغلبها نابعة من أزمتهِ النفسية التي عانى منها، إذ رسمت الصراعات والتناقضات الداخلية الإطار العام لهُويته الذاتية بما احتوته من تشتت وشعور بالانسلاخ واللاإنتماء ، وهذا التوتر يؤدي إلى شلل في طاقة الفعل و شعور بالقلق الدائم[٨] ، من الماضي والحاضر، من الوطن والمنفى ، من الذات والآخر، هذا ناتج عن الحرمان الذي يسبب ارتباك في هُوية الذات ، الأمر الذي يشيع اضطراب النفس وتوترها وقلقها ويمزق الطاقة ويبددها ويشتت الإنتباه ويوقف الإنتاج و يعرقله وهذا كله يمثل قيوداً بالنسبة للذات فينقسم فيها العقل إلى قسمين ، قسم تدفعه النزعات الطبيعية ، وقسم يرضخ

---

[١]- ينظر: البحث عن الهوية-الهوية وتشتتها في حياة ايريك اريكسون وأعماله: ١٠٥

[٢]- الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، عبد الواسع الحميري، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع والتوزيع ، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩م- ١٤١٩هـ :١٢

[٣]- المواطنة والهوية الوطنية، علي وتوت،عامر عبد زيد،سعدون محسن ضمد،ثامر عباس، الناشر الحضارية للطباعة والنشر،العراق- بغداد، ط١، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ : ٢٤

[٤]- ينظر: المصدر نفسه : ١٠

[٥]- ينظر: أزمة الهوية والتعصب- دراسة في سيكلوجية الشباب:١٦

[٦]- ينظر: الهوية، اليكس ميكشيللي، تر: علي وطفة ، دار الوسيم – دمشق، ط١، ١٩٩٣ : ١٤٦

[٧]- الشخصية العراقية : ٢٤١

[٨]- ينظر: الهوية ، أليكس ميكشيللي : ١٣٤

للبيئة ويحسب حساباً لإعتباراتها المكتسبة ، وإذا تعذر التوفيق بينهما حدث نزاع بين المشاعر الإنسانية بما تضمه من غرائز وعواطف وبين عاطفة الذات، الامر الذي يؤدي إلى شتى أنواع الانحرافات والأمراض النفسية والعقلية المعروفة[1] ، وعليه فالهوية الذاتية عند الشعراء تتمثل في صورهم الشعرية ومعاناتهم ولاسيما من عاش غربة الذات وإغترابها ، وفي نصوص فوزي كريم* العديد من الإشارات إلى هذه الصراعات التي تثور بها نفسه وتشكل أواصر هُويتهِ الشعرية والشخصية في آن.

[1]- ينظر: علم نفس الشخصية، كامل محمد محمد عويضة، مراجعة: محمد رجب البيومي، دار كتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٦م- ١٤١٦هـ : ٨٣

* فوزي كريم: من مواليد ١٩٤٥ من محلة العباسية في جانب الكرخ التي تحولت فيما بعد للمنطقة الخضراء، تخرج من كلية الآداب – جامعة بغداد ،وارتحل إلى بيروت بعد تخرجه ثم إلى لندن حيث استقر فيها حتى وفاته في ١٧ آيار عام ٢٠١٩،وهو أحد الموقعين على البيان الشعري الستيني الذي أصدرته مجلة شعر ٦٩ الذي نسف القواعد الثابتة في الأدب وعُد مظهراً من مظاهر روح الجيل الجديد. للاستزادة ينظر: إضاءة التوت وعتمة الدفلى، حوار مع فوزي كريم، حسن ناظم، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت- الحمرا، سورية –دمشق، بغداد- أبو نؤاس، ط١، ٢٠١٣: ٢١، و: البنى الاسلوبية في شعر فوزي كريم، سامي ناجي ،منشورات ايكار- بغداد، ط١، ٢٠٢٠ :٤١، و: أنسنة الشعر(فوزي كريم مدخل إلى حداثة أخرى)، حسن ناظم، جامعة الكوفة سلسلة دراسات فكرية،ط٢ ، ٢٠٢٠: ١٣

المبحث الأول

الاغتراب وأثره في تشكل الهُوية المتشظية:

أصبح مفهوم الاغتراب في العصر الحديث ينتشر بشكل واسع ويقصد به : تعبير الذات الفردية عن شعورها بالعجز في علاقتها بالمجتمع ومؤسساته[١] ، ويعود سببه إلى عوامل ذاتية واجتماعية تؤثر على الفرد ويستمد منها الشاعرمادة شعره ، فالقصيدة التي تقوم على اغتراب الذات وتشظيها هي ((محاولة تعبير عن مأزق روحي إزاء سطوة التاريخ والأيديولوجيا معاً، سطوة دكتاتورية الحزب الواحد والزعيم الواحد ...مأزق الكائن الإنساني الذي يجد نفسه ماإن يدخل مرحلة أول الشباب في محنة حرمانه من هُويتهِ كإنسان))[٢] مما يشعره بالإغتراب والغربة ، فعاش الصورتين معاً صورة المشرد الغريب عن وطنه بفعل النفي والمغترب داخل وطنه بفعل القمع السلطوي ،وهما بطبيعة الحال أبرز أُطر تشكيل الهوية الستينية التي كان لها دور مهم في تكوين الشخصية الإنسانية التي اختلفت بين ظرف و آخر ، فالغربة تؤثر على الذات إذ تتغير بتغير العالم المحيط بها وهذا ما يجعلها مدعاة للمغايرة [٣] ، وهذا كله ألقى بظلاله على ذات الشاعر ولون أغلب نصوص قصائده.

الاغتراب الذاتي:

مثلت نصوصه معاناته الخاصة، إذ كانت مليئة بالتشظي الذي أصبح ملموساً فيها؛حيث يوحي في مواضع عدة بالتمرد والرفض فكل شاعر يحمل في شعره بذرة الرفض والثورة، وهي من أهم عوامل الشعور بالاغتراب لديه[٤] ، وهذه العوامل تمثل الغربة الذاتية بامتياز:

يغادرُ كل الضيوف

وترجعُ عبر النوافذ رائحة البحر

تثقلني بالرطوبة،

وفوق الرفوف تحط النوارس،

في الأسطوانة أسمعُ صوت ارتطامِ المياه،

---

[١]- ينظر: الاغتراب في الثقافة العربية-متاهات الانسان بين الحلم والواقع، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠٦ : ٣٥

[٢]- إضاءة التوت وعتمة الدفلى : ١٤٩

[٣]- ينظر: خطاب الهوية-سيرة فكرية، علي حرب،الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ: ٦٣

[٤]- ينظر: الإغتراب في الشعر العربي الرومانسي، محمد هادي بو طارن ، دار الكتاب الحديث- القاهرة ، د.ط، ٢٠١٠م- ١٤٣١هـ:٥٠

تُرى يدخلُ البحر ؟

هل تستجيب النوارس للموجةِ العابرة؟

وتسقُطُ ثانيةً قطراتُ الندى؟

ويُلبي ندائي النخيلُ البعيد؟[1]

أراد بهذا المقطع من القصيدة أن يكون مفكراً يليق بعمق معتركه الداخلي واغترابه والتباس متاهته، حيث يجمع بين الفلسفة والتخيل وهذه ليست حداثوية جديدة بل هي سمة جوهرية في الشعر[2]،فشعوره بالاغتراب يتضح من حيرته، فهل تسمع النوارس في دجلة الموجة المرتدة من بحر الغربة -حيث أراد الشاعر من البحر رمز الحرية - وهي تحمل لوعته وهل سيلبي النخيل ندائه كناية عن الوطن ، هو يهدف من خلال شعره إلى ((منح الظاهرة دلالتها الحقيقية فعينهُ المدربة لا تتغشاها البهرجة والضوء الساطع ...ينفذ إلى العمق فيرى بهذه العين البؤس هذا البؤس هو الدلالة الحقيقية للظاهرة التي يعالجها))[3] وهذا البؤس الذي يعيشه الشاعر يفصح عن ذات محقونة بشعور واضح بالاغتراب والقلق الوجودي الذي أدى به إلى استعمال اللغة للإفصاح عنه ، ما جعله يعطي للمفردة دلالة أعمق من معناها الظاهر فمفردة (الرطوبة) توحي في دلالتها على الاختناق وعدم القدرة على التنفس بصورة مريحة وشعور عام بالانزعاج والتوتر وعدم التآلف مع الجو ومحيطه وهذا ما أراد أن يوصله للمتلقي حتى يستشعر معه معاناته الواضحة وشعوره بالغربة وعدم الانتماء.

ضبابٌ كثيف

وبيني وبين دخان الحرائق

بذاكرتي ، واحتراق الدقائق

بهذا الجسد،

ضبابٌ كثيفٌ ولا شيء غيرُ الضباب[4]**.**

يستشعر القارئ في هذا المقطع بالغربة والخوف الذي استفحل بروح الشاعر حتى لم يبقَ منه سوى شبح خائف من المجهول فيؤثر الهرب من واقعه إلى الذاكرة ويستعمل الزمن الماضي في إشارة إلى غربته، فحين يشتد به الحنين تصبح كلَ جزيئات الحياة أقنعة ورموزاً يصنعها

---

[1]- الأعمال الشعرية، فوزي كريم ، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا - دمشق،ط١، ٢٠٠١ :١ / ٣٢٥

[2]- ينظر: شاعر المتاهة وشاعر الراية- الشعر وجذور الكراهية، فوزي كريم ، منشورات المتوسط، ميلانو- ايطاليا، ط١، ٢٠١٧ : ٥٠

[3]- إضاءة التوت وعتمة الدفلى:١٤

[4] -الأعمال الشعرية: ١/ ٣٢٥ - ٣٢٦

ليشاهد من ورائها ذلك المدى الذي يغطيه الدخان[١]، لذا يمكن عدَ الدخان بأنه ((التجربة الاجتماعية الواسعة التي تحيط بنا... الدخان الفعل الحياتي اليومي الذي ينتجه موقد أو شعلة المجتمع بأحداثه وأفكاره وقضاياه فيثير دخاناً))[٢]،و(الضباب) دلالة على تشتت الرؤية وعدم القدرة على التركيز، فهو سيد الموقف وهو الذي يتملك الشاعر ويسيطر على كل جزئيات كيانه الداخلية الحسية مثل الذاكرة ، والخارجية المادية مثل الجسد كأنه يغلف ذات الشاعر ليشكل هُوية له توحي بعجزه عن الانتماء وشعوره بالاغتراب، وبهذا المعنى تكون هذه الهُوية مرادفة للجمود على الحال والتقوقع في الماضي انغلاقاً[٣] ، ليهرب بعد ذلك إلى عالم آخر –عالم الذاكرة- ليحصي خساراته في هذه الحياة ويظهر له بؤسه في عتمته، وما هذه الرؤية التي تبناها في خطابه إلا تأكيد على تشتته وغربته في الوجود، الذي يعني في نهاية الأمر تشتت هويته أيضاً:

سأدخلُ في الذاكرة

وأهجرُ آخر فجرٍ ظمئتُ إليه

وعلقتُ آمالي الخاسرة.

هنا أتلمسُ في عتمتي حجمَ بؤسي

ومقدارَ خطوتي العاثرة،

وأُحكم إغلاق بابي،

وأُطفئ ضوئي.

وأهدأ مُستسلماً للرقاد[٤].

يوظف مفردة (العتمة) ليرسم لنا صورة تشاؤمية كئيبة تتوافق مع إحساسات الخيبة التي عاشها ، بالمقابل يرسخ مقدار الاغتراب النفسي الذي لا يمكنه من الاندماج مع محيطه بدلالة غلق الباب التي تعني الوحدة وقد تكون ضمنياً وحدة نفسية تفصح عن عدم التوافق مع الآخر الذي كان سبباً في خساراته لنستشعر بأن إحساسه بالاغتراب مرتبط بالماضي الذي لا يستطيع الخلاص من متعلقاته، ويمكن التعبير عن ذلك بفكرة ((العودة العكسية التي تمض ذهن المغترب إلى حيث لا يريد وعيه الظاهري))[٥] فيفضل أن يهرب من ذاكرته أيضاً ليستسلم للرقاد ، ويبحث عن سبيل للتحرر والانطلاق، ويبحر في زحام الصور والتشبيهات للإيحاء بتحقيق هذه الرغبة:

---

[١]- ينظر: المرايا والدخان- دراسة في شعر فوزي كريم ، ياسين النصير، ،الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق- بغداد، ط١، ٢٠١٧: ٣٤

[٢]- المصدر نفسه: ١٠

[٣]- ينظر: بول ريكور الهوية والسرد، حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، د.ط ،٢٠٠٩ : ٣٠

[٤]- الأعمال الشعرية: ١/ ٣٢٦

[٥]- السيرة والعنف الثقافي، محمد غازي الأخرس. ، سلسلة دراسات فكرية جامعة الكوفة ، ط١، ٢٠١٧: ٢٥٤

أنا مبحرٌ

تتجاوب في خطوهِ زهرةُ البحرِ

تمحو خطاياه، تُعطيهِ سحر النبوة

فإذا مسهُ الجنُ

أو رعشةٌ للبكاء

تعوذَ في عظمةٍ من حنين النساء.

رأسهُ كوكب هصرتهُ النجومُ

أحالت مفاتنهُ مومياء

وأطرافَ ليلٍ...[1]

يتشكل النص من فضاء متنوع من الصور والاستعارات التي يحيا بها الشاعر ، فهو المبحر إلى المجهول المنسلخ عن أرضه، يطهره البحر ويهديء نفسه المضطربة ، والبحر يدل على الارتباك والقلق والمشاعر المضطربة، ولكنه أيضاً يدل على الولادة وتطهير النفس من الآثام العالقة بها فيمنحه (سحر النبوة) .

يستعمل (الجن) لإحالة المشاعر التي تعتريه إلى ما يفوق طاقة البشر لكون الجن يملك قدرات تفوق قدرات البشر فالارتباك والحنين يفوق احتمالاته ولكنه يصارعه بكبرياء متذرعاً بأن الحنين صنو الضعف وهومن صفات النساء لا الرجال التي يجب أن تتحلى بالقوة والصبر على تحمل المشقة والغربة ، ويستعير رمزية الكوكب الذي كونته النجوم ليشبه أفكاره وخياله، والنجوم هي كل ما يهتدي به في طريق غربته المظلم من ذكريات وصور وأحلام مستلبة التي خلقت هُويتهُ المُغتربة، فيقوم نصه على التخيل ويحشد في ضمنه تمثلات عن ذاته كما هو يشعر[2].

تستحيل مفاتنه من التعب مومياء وأطراف ليل الذي يعد ((وسيلة الذات للإبحار في عالم الخيال الخطابي (الحلم) لملء الرغبات المكبوتة والتنفيس عن النفس في البحث عن الواقع المثالي))[3] الأمر الذي يوحي بالسكوت والجمود ، وهذه الصفات تحيل إلى ما تعرض له من ظلم وقهر أسلماه إلى اللاحياة واللاأمل وهذا ما جعله يفرد شراعه للغياب ويعبر عن ترحاله عبر تقنعه بشخصية(السندباد) دلالة على التغرب وعدم الإستقرار، وهو بذلك يضفي على قصيدته نبرة موضوعية تتحدث عن شواغله وهمومه ومحنته الاجتماعية :

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٤٦

[2]-ينظر: بول ريكور الهوية والسرد:٧٨

[3]- خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: ٢٥٦

أنا ذلك السندبادُ بلا رايةٍ.

حملتهُ الظهيرة

زوارقَ أشلائِها،

حنَط تلك الزوارق،

أوحى لها أن تكون:

سِراجاً توقدُ من نخلةٍ

جذرها ثابتٌ وأطرافُها في سماءِ الفصول[١].

يصور الشاعر حالة من الحنين تنتابه لمنطقته ومسقط رأسهِ (العباسية) وبيت والده ومرتع صباه على ضفاف دجلة وذلك ما توحيه دلالة ألفاظ: (الظهيرة، الزوارق، النخل) التي بقيت على الرغم من سنين البعد وتعدد المنافي شعلة متوقدة في روحه تثير فيه حنيناً لا يخمد، حتى أحالت إحساس الحرية إلى إحساس بغربة مأزومة ، فحين تنقسم الذات على نفسها وتتحول الحرية إلى خضوع للظروف الخارجية والذي يتحول في النهاية إلى اغتراب مصاحب بمشاعر الاحباط وضعف الإرادة وخيبة الامل[٢] .

يظهرشعور الاغتراب من خلال حالة الرحيل التي يوحي بها الزورق ويحمل أيضاً دلالة الراحلين والمغتربين الذين استأنفوا حياتهم وهم يحملون الوطن في أرواحهم يضيئهم كما السراج ، فالنخلة رمز من رموز الوطن والمدينة، ونلحظ إنه في قوله: **(سِراجاً توقدُ من نخلةٍ)** عمد إلى التناص من القرآن الكريم في قوله تعإلى **{الزُجاجة كأنها كوكبٌ دُري يوقَدُ من شجرَةٍ مُبارَكة زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ}** [٣] فهي محاولة لتوثيق مخياله بالنص الديني لكونه ركيزة من ركائز الإبداع ،و((يخدم هدفاً ويقوم بمهمة سياقية ليثري من خلالها النص ويمنحه عمقاً ويشحنه بطاقة رمزية لا حدود لها))[٤] كما أراد أن يؤكد على قداسة النخلة/ الوطن التي عمَقت صورتها الراسخة في ذاته شعور الحزن والاغتراب ، وهذا يوحي بأن قصائده تتميز بكثافة صورها الشعرية حيث يحاول أن يوصل من همه الفردي:

لقد كنتَ وحدكَ ، والأرضُ دارت

فدرت،

---

[١]- الأعمال الشعرية: ١٤٨/٢- ١٤٩

[٢]- ينظر: الهُوية:٢٤

[٣]- سورة النور /٣٥

[٤]- التناص في الشعر العربي الحديث، حصة البادي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع- عمان، ط١، ٢٠٠٩م- ١٤٣٠هـ : ٢٣

وها أنت تسكنُهم واحداً واحدا.

وأقسمت فيهم ، بأنكَ سوف تنامُ لوحدك،

أقسمت أن تختفي في تضاريس أحلامكَ الموجِعة

وأن تنتهي طرفاً في الرياحِ

وفي النورِ،

أقسمت!!

كانت جِراحُكَ بين يديكَ السماواتِ

والمدنَ الجائعة[١].

يرسم الشاعر صوراً مكثفة لمشاعر الوحدة والغربة والفراق حيث يكون في خطاب مباشر مع ذاته المغتربة (لقد كنت وحدك) ، فالإحساس بالوحدة يعمق شعوره بالاغتراب (فدارت الارض فدُرت) دلالة على الهجرة وتغير مستقره ولكنه على الرغم من ابتعاده بقيت روحه وتفكيره تسكن الوطن ومن تركهم فيه من الأهل والأصدقاء يسكنهم واحداً واحداً، ويشتهي النوم حتى يغادرهم ويختفي في أحلامه الموجعة ، إذ تختزن روحه كثيراً من المعاناة التي يحاول تجاوزها بالحلم الذي يمثل هرباً من هذه المعاناة ومحاولة لتجاوزها.

تترسخ فكرة الهرب والتخلص من المعاناة باستعماله لمفردة الرياح (ينتهي طرفاً في الرياح) التي توحي بالاضطراب النفسي والاجتماعي الذي يعيش فيه ،مما أدى إلى تشكيل هُوية مغتربة له تمثل نواتها جراحاته الشخصية ومدنهُ المنتهكة والمستلبة، فيتخذ موقفاً محاولاً استرجاع هُويته المستلبة بفعل الاغتراب ، لأن الفرد الباحث عن هُويته في بلد يعاني من القمع والانتهاك من قبل الآخر يكون دوماً حيث لا يكون الآخر ،يقف في الصف المعارض ويختار المعسكر المضاد ويتبنى الطروحات المناهضة ، وهذا يدل على إن هُوية الأنا لا تستقيم من دون الآخر وإن الوعي بالذات يوحي بالضرورة عبر الـ(غير)[٢] ولكون الآخر الدكتاتور كان يمارس شتى وسائل القمع والتكميم أدى ذلك إلى أن تكون هُوية الفرد العراقي مغتربة ومشتتة ،تبحث عن وجودها من دون الحصول على ذلك ، فهو يستقي مادة شعره من الصراعات التي مر بها في حياته ، فالفرد وما يحيط به من ظروف في علاقة متبادلة ، وهما اللذان يصنعان الفكر والشعور الذي يُعبر عن الهُوية الفردية[٣]، وهذه الصراعات أسهمت بشكل ملحوظ في خلق هويته المغتربة التي عززت من شعور الوحدة واللإنتماء :

الدارُ داري، ويدي مكيدةٌ

---

[١] الأعمال الشعرية: ٧٧/٢

[٢] ينظر: خطاب الهوية: ٤٣

[٣]- ينظر: الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية: ١٧٠

ولغتي حصارُ

للشِعرِ إذ ينمو ، وللجذور

إذ تنهشُ تربةَ الجسد.

أضيءُ لا يعرفني أحد[١].

يظهر من خلال عنوان القصيدة (ديك الجن) إنه هدف إلى الإندماج مع الاغتراب النفسي للشاعر (ديك الجن) وتقمصه للحالة الشعورية التي كان يعانيها الأخير مثل الضياع والتغرب والنهايات المأساوية بعد قيامه بقتل زوجته (ورد) ونهاية قصتهما المأساوية وما عاناه بعد ذلك من عدم استقرار، ويريد بذلك تعرية الواقع وكشف ملابساته، حيث ينطق بلسان (ديك الجن) متحدثاً عن غربته في داره فهو القلق المرتاب (ويدي مكيدةٌ) إشارة لفعل آثم قامت به هذه اليد وينمو شعره لكن لغته تحاصره وتقيده، لأن الشعر تعبير عن عواطف الانسان وأفكاره المعقدة ، والغموض الشعري دلالة على صراعات الروح الانسانية وإن الألم والإحساس بالخزي يطلق عنان الشعر من معتقله[٢]، لكن اللغة تكون عاجزة عن التعبير عنه، وجذوره هي مدينته التي استفحلت فيها عثة الفساد حتى أصبحت تكبله وتقيده وتخنق روحه وتنهش جسده فحملت دلالة القمع الذي يعانيه ، مما رسخ فكرة التشظي المتولد عن شعوره بالاغتراب عبر استعماله لمصطلح (المرايا) للدلالة على التشتت والضياع فكأنه يقف أمامها متطلعاً أن يكون شخصاً آخر في مكانٍ آخرولكن لا تظهر له سوى ذاته :

لم أكن عظة لأحد

لم يكن وطني يوم غادرت ، غير القميص الذي أرتدي

واحتمالات أن لا أعود.

ولأن الذي أستعيد شظايا

أحاول ترميمها فتعود مرايا

توزع وجهي في كل وجه

لم يعد أحدٌ عظةً لأحدٌ.

هذه الأرضُ قد خضِبت من تزاحم من قُتلوا

---

[١] الأعمال الشعرية: ٢/ ٢٤٥

[٢] ينظر: ثياب الامبراطور- الشعر ومرايا الحداثة الخادعة، فوزي كريم، منشورات المتوسط- إيطاليا، ط٢، ٢٠١٧: ١٠٩

وسيأكلُ من ريعها من حصد[١].

تظهر الذات المتشظية لديه بشكل واضح،فهو يصفها باللاجدوى واللانفعية فلم يكن (عظة لأحد) في زمن القهر والقمع، رحل هارباً من سطوة سلطة الاستبداد والظلم ، لم يحمل معه سوى قميصه وأفكاره ، وهو يعضد هذه الفكرة بإستعماله الزمن الماضي حيث تقوم العلاقة بينه وبين نفسه على القلق وهواجسه المنبعثة من الراحة غير المتحققة في الوجود الحالي[٢]، ويستعمل المرايا في إشارة إلى عدم استقراه وألفته مع المكان والواقع وهي أيضاً انعكاس لما اعتمل في هذا الوطن وكأنه يتحدث عن اختلاطات الزمن العراقي فتكون قصيدته حمالة أنين [٣]، ويدخل الشاعر في حلم اليقظة إذ يتطلع إلى ذاته مستعملاً المرآة إشارة إلى ذاته المغتربة حتى عن ثيابه:

هادئ الطبع أدخلُ مرآتها الصافية.

عارياً من ثيابي ومن هاجسٍ

كان يثقلني في طريقي إليها.

((كن ثيابي)) ، تقول

وصغيران بين يديها

يربكاني بداء الفضول:

((يا أبانا ألذي يتطلع للعودةِ الثانية

كم تراها تطول؟))

وعزائي رياحٌ تهش قطيعَ السحب[٤].

يمثل النص حلم الشاعر بأمرأة وأطفال، فهو يدخل مرآتها الصافية في إحالة إلى ذاتها المتميزة بالنقاء، فيأتيها عارياً دلالة على تخلصه من همومه وما كان يثقله من قلق وأسى، وحين يلقاها تقول له :(كن ثيابي) المقصود من الثياب الغطاء الذي يستر عورتها فكأنها تريده أن يكون ستراً لها وأمناً، و(صغيران بين يديها) رمز للعائلة / الحلم، أو رمز للوطن الذي يسأله عن موعد عودته وجوابه بالعودة مثل رياح تبعد سحب النكد والقلق عن هذه العائلة ((حيث تعمل آليات يوتيوبيا الحلم الولوج إلى مدينة فاضلة ومكان حالم جميل ليس له وجود في عالم

---

[١] الأعمال الشعرية: ٣٠/١

[٢] ينظر: خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: ٢٤١

[٣] ينظر: المرايا والدخان: ٢٣

[٤]- الأعمال الشعرية: ٢٣٧/١

الممكن))[1] فهُويتهُ المغتربة تدفعه للبحث عن الاستقرار والأمان في الأحلام لاستحالة تحقق ذلك في واقعه الذي يعيش فيه.

الغربة المكانية وأثرها على الذات الشاعرة:

يرسم لنا الشاعرحالة إغتراب الذات عن المكان ، فهو المسافر الأبدي، إذ يبلغ من التعبير عن اغترابه هذا درجة عالية من الصدق[2]، و يتعدى مجرد الإحساس بالعجز إنما يشعر باللاإنتماء للمكان والمجتمع معبأة بفيض من لواعج الحنين والشوق والوحشة ، وبما أن المكان يعدَ جزءاً من الواقع الذي يشكل مفهوماً إجماليا لكل الفعاليات الحياتية[3] فقد ارتبطت نصوصه إرتباطاً وثيقاً به ؛ لأنه المنبع والطيف الواسع الحقيقي لإحساس الفرد بإنتمائه أو إغترابه:

ما أضيقها كلماتُ الشعر على الشاعر

وحدودُ الوطن على وطنِ المنفي

وظلامُ الليلِ على المصباح(٤).

مثل النص غربة الذات بعد أن ضاقت به البلاد؛ وذلك نظراً للأوضاع التي كانت تسود الوطن ،هذه الأوضاع التي أفقدت الأخير هويته التي هي جزء من تماسكه ووحدته بل كان فريسة للانشقاق ونهباً لتفرق الأهواء [5]، مما انعكس على المثقفين من أبنائه حتى باتوا يعيشون اغترابا نفسياً حاداَ جعلهم يفقدون شعور الألفة مع هذا الوطن على الرغم من كونهم يعتزون به إلا أنه أصبح منفىً، فالمرء قبل أن يكون مهاجراً يكون مغترباً في أرضه والمرء الذي يضطر لمغادرة بلده ليحط به الترحال في بلدٍ آخر ما هو إلا هروب من مرارة الحياة فيه وبسبب أشياء رفضها مثل القمع وعدم الأمن والفقر وانعدام الفرص[6]، ومثل ما تضيق اللغة عليه عند محاولته التعبير عن ذاته تضيق حدود الوطن على المنفي فيه، و يتراكم الظلام على ضوء المصباح، إذ يشبه نفسه بالمصباح الذي يضيق عليه ظلام هذا الكون دلالة على التشاؤمية من هذا الواقع الجامد، وهذا الأمر جعله يعلن عجزه وانكساره الذي بانت ملامحه، فتظهر هُويته المغتربة بعد مواجهته ظروف قاسية ألقت بظلالها على ذاته وأربكتها ، وتحتشد معاني الاغتراب في شعره مثل الغياب والصمت والموت والغربة والليل وغيرها :

---

[1]-خطاب الاخر في الشعر العراقي السبعيني: ٢٤٣

[2]- ينظر:جماليات الحرية في الشعر، صلاح فضل، اطلس للنشر والانتاج الاعملامي- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥: ٦٧

[3]- ينظر:تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، محمد عبد الحسين هويدي، دار شهريار،العراق- البصرة، ط١، ٢٠١٨ : ٢٥٩

[4]- الأعمال الشعرية: ١/ ٣٣

[5]- ينظر:خطاب الهوية:٣٦

[6]- ينظر: الهويات القاتلة : ٥٨-٥٩

إنه شاعر الغياب

ومأوى الصمت،

والموت،

والنداءِ الغريب.

يتحاشى فداحة الخطراتِ الجوفِ في رأسهِ برأسٍ عصيب.

ويرى الليلَ طيةً في عباءتهِ السوداء،

والأفقَ سحنة المستريب[1].

يسرد النص بلغة ذاتية يتوارى فيها خلف قناعه هو ، إذ يصف نفسه بشاعر الغياب، والغياب دلالة على التغييب والتهميش من قبل الآخر ((ويفيد الآخر مفهوماً متعلقاً بكل ما يقع خارج الذات لأن التصور الذي يكَون مفهوم الذات يستدعي وجود الآخر))[2] (ومأوى الصمت) لا يقصد بالصمت الابتعاد عن الكلام إنما هو دليل على الذات المنكسرة المتأثرة بقضاياها ، وتتساوق نغمة القصيدة الحزينة مع فكرة (الموت) نتيجة الغربة التي يشعر بها الإنسان وما توحيه المفردة من ضياع معنى الحياة بفعل الواقع السيء والصراع الذي كان يسوده ، فيتصدى لإحساسه بعدم الأمان وما يرافقه من أفكار موحشة بقوة وصمود، فمشاعر الاغتراب تستعرض آلامه الشخصية وتوجساته من مستقبل لا يعرف مآله فهو الليل الحالك المنطوي على الارتياب والقلق ، إذ إن أحد أسرار الإبداع تكمن في العلاقة المتوترة بين الذات والعالم فيصبح الشعور بالاغتراب سمة لازمة ، ويوظف عدداً من الصور اللافتة كي يصل إلى إنتاج دلالته التي يريد أن يقتنصها عن غربة الروح في الوطن[3]. و إن شعوره بالأسى المتأتي عن غربته المرة دفعه إلى أن يصف أدق تفاصيلها ليحمل للقارئ مكابداته ولتكون متنفساً له:

ولي صفوةٌ من جراحٍ تزاحمني ، وتعبئ ظلي إغتراباً

ولي طائرٌ حاولَ الشمسَ حتى احترق

فلي منه نار الأغاني التي لا تموت

تراني أحجُ إلى ((ساعةٍ))في المدينة؟

أم أني أحجُ إلى الوقتِ فيها وقد هجَرَتهُ السكينة،

فأصبح أملس مثل الحصاة، يحررني من ردائي

---

[1]- الأعمال الشعرية: ١/ ٣٩

[2]- تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي: ٩٩

[3]- ينظر: جماليات الحرية في الشعر: ١٧٢

ومن أول الخيطِ مُلقىً ورائي ، لكي لا أعود![1].

يظهر جوعه للمباهج من عمق وحشته واغترابه ويظهر من رغبته بالتحرر ، ففي زحمة الآلام والمعاناة يتحول حتى ظله إلى شيء مغترب، ويعود اختياره لمفردة الظل بوصفه ((شيئاً مهماً وفاعلاًفي الخطاب ...وثيمة رئيسة في قراءة الإنساق اللغوية بفكرة الغياب وهو أيضاً صورة الذات التي لا يمكن لها مواجهة ذاتها بشكل مباشر وواعٍ))[2] فكأنه طائر حاول أن يطلق العنان لجناحيه ويطير إلى موطنه الذي يرمز إليه بلفظة (الشمس) فيحترق بلظى واقعه القاسي لتبقى أغاني موطنه أنيسه في غربته ، ويبقى يفكر في مدينته كأنه يحجُ إليها إشتياقاً ، إلى ساعةٍ فيها مع أهلهِ وصحبه والوقت الذي كان يقضيهِ فيها، الذي لم يبقَ منه سوى الذكريات ((فهو شاعر المدينة الحلم ، المدينة الصورة ....قد تكون بيته الذي أُحتل و أُغترِب عنه ، فهو شاعر الأمكنة المتخيلة المنبثقة من حيثيات واقعية))[3] وهو يبرع في استعمال المفردة ويحسن توظيفها لإظهار مشاعر اللوعة لتضع القارئ أمام صورة شاملة لمعاناته:

آه ما أضيقَ العيشَ داخل بيتي

وما أوسع الشرفات!

آه من طائر يتلاشى مع الأفق دوني!

آه من قلةِ الزاد،

من بُعدِ هذي الطريق![4]

تبث حسراته اغتراباً فالتأوه دليل على اللوعة والألم والشعور بالضيق من بيتٍ يضم جسده ولكن روحه توَاقة إلى التحرر فيكرر التأوه مرةً أخرى حين يرنو إلى مصاحبة الطيور ومعانقة هذا الأفق الواسع فيرحل من هذا البيت / الوطن / المكان الذي حكم عليه بالغربة فيه والاغتراب حتى فقد شعوره بانتمائه إليه، فإن مفردة مثل البيت يمكنها أن تذهب بنا إلى استعارات كثيرة من قبيل : المأوى، العش، الرحم، الوطن، الأرض، الأم وغيرها، فالبنية البيتية مقترنة بخيال السكن والاحتواء، فهو يتفرع إلى دلالة سياسية واجتماعية[5]، فالدلالة العامة للقصيدة توحي إلى عالم الطيور عالم الحياة والجمال والبهجة وهو ما تتوق إليه روحه للخلاص من مفردات حياته القاسية، وما الزاد الذي يقصده سوى صبره لتحمل هذا الاغتراب، وإن ما يميز تجربته احتوائها على شخصيات وأزمنة وأمكنة مختلفة:

هادئ الطبع أدخلُ لندن ، أدخلُ مكتبةِ المتحف.

---

[1]- الأعمال الشعرية: ١/ ١٦١-١٦٢

[2] -خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني:٣٢٣

[3]- المرايا والدخان: ١٥

[4]- الأعمال الشعرية: ١/ ٨٨

[5]- ينظر: المرايا والدخان: ١٤- ١٥

أردية الراهبِ تعلو بعيداً على السقف،

منحنياتُ القبابِ تليقُ بها

((آه من جسدٍ لا يليق))

ثم تهبطُ مثل مذاق النبيذِ العتيق.

صفحاتٌ تقلبها في الرواقِ اليدُ الباردة.

وصدى خطواتي يلاحقني

((آه من خطوةٍ لاتلين))

ويحيطُ صداها السنين[١].

تختزل هذه الأبيات أزمته الوجودية التي تترافق من المنظور النفسي والاجتماعي مع الإحساس بعدم الأمان والإرهاق والتشرد والاغتراب[٢]، فهو المنبهر بالرهبنة التي تليق بها القباب –في إشارة إلى العلو وارتفاع المقام- وهو بإنبهاره هذا يستشعر وضاعته حيث لا يليق جسده بهذا المقام ، فهو غريب عنه فيؤثر الانسحاب ولا يسمع سوى صدى خطواته في إشارة إلى خلو المكان إلا منه فلا يسمع إلا صداه ، وهذه محاولة للتصريح عن شخصيتهِ المركبة وبأنه كائن معقد ،كما يوحي الإطار العام للقصيدة بأنه لا يشعر بالانتماء حتى للأمكنة التي تستهويه ويبقى شعور الاغتراب حائلاً بينه وبين التآلف والاندماج ، فكل شعور يمر به يعيده إلى نقطة واحدة وهي إحساسه بغربته واضطهاده وتوحده مع آلام مجتمعه ووطنه ، وهذا أهم ما يتميز به الشاعر،حيث يرتبط بأحداث عصره وقضاياه لا ارتباط المتفرج الذي يصف ما يشاهد وينفعل بما يصف وإنما يعيش تلك الأحداث وتصبح جزءاً من ذاته وما يقدمه من نتاج إبداعي في محاولة لاستكناه الحياة لا مجرد الانفعال بها[٣].

يلجأ إلى أنسنة مدينته/ بغداد فيصورها على إنها العشيقة بمفاتنها التي تغري عقله وتسلبه ، فتجربته الشعرية واحدة من التجارب التي نرى من خلالها الشعر العراقي وهو يتجدد وهذا التجدد مرتبط بالمدينة[٤]، نظراً للحالة النفسية التي خلفتها مشاعر الاغتراب وحنينه اليها بصورتها القديمة قبل أن تتغير معالمها الاجتماعية بفعل الآيديولجيا التي تحكمها:

كما يرى النائمُ في جزيرة نائية ،

رأيتُ وحدتي على طبق

---

[١]- الأعمال الشعرية: ٢٣٣/١

[٢]- ينظر: البحث عن الهوية : ١١١

[٣]- ينظر: الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهرة الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٣، د.ت: ١٣

[٤]- ينظر: المرايا والدخان:٢٥- ٢٦

من فضةٍ ، كرأسِ معمدان

والزمنَ الراقصَ حولي امرأة

تشبه سالومي، وما المكان

إلا ضريحُ نفيي.

فأقتلعي يا ريحُ جذري

من قبضةِ الطينِ،

لكي أستريح[1].

تولد القصيدة نتيجة مؤثرات لامحدودة قد تكون مؤثرات زمانية أو مكانية في الأعم الأغلب ، وكثيراً مايربطها بالخيال لينتج نموذج حكائي- شعري مكثف المعاني والدلالات.

أراد الشاعرمن خلال إستعماله لشخصية سالومي أن يضفي على السياق طابعاً شعرياً بمعنى أنه يكون أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف وتحديد أبعاده النفسية[2]، وسالومي هي زوجة هيرودس الثاني التي طلبت منه رأس يوحنا المعمدان بعد أن قامت بإغرائه برقصها المثير فكان لها ما أرادت ، فيشبه وحدته برأس يوحنا المقطوع في دلالة على الخذلان وما يتعرض له من قمع ، والمكان الذي يقصده ما هو إلا الوطن الذي أغترب فيه الذي يؤكد عليه قوله (اقتلعي يا ريح جذري) ليؤكد على رغبته في الرحيل عن هذا الواقع، فقد شكلت سطوة الأنا الأعلى في هذا الوطن مشاعر مشبعة بالانكسار[3]، وليس المقصود هنا حاكم أو سلطة بعينها إنما جميع أشكال الطغيان والدكتاتورية وقمع الحرية، فيودع هذا الوطن على مضض ويأخذ معه الذكرى والألم :

وداعاً

وأخفيت عنها الظما والسؤال

وأودعت تقويمةً لاختناقك في طيةٍ من هواها

وغادرت،

رطباً مكانك،

موحِلةً قدماكَ،

---

[1]- الأعمال الشعرية:١/ ١١٨

[2]- ينظر: الشعر العربي المعاصر: ٢٠٠

[3]- ينظر: تهافت الستينيين- أهواء المثقف ومخاطر الفعل السياسي، فوزي كريم، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا-دمشق، لبنان- بيروت،العراق- بغداد، ط١، ٢٠٠٦م : ٢٢٤

ودامية ً كلمة ٌ لا تقال[١].

يصور حالة الشجن التي تسيطر عليه عند وداعه المدينة / العشيقة ، فإن أغلب ما يميز قصائده ويمنحها حيويتها هي مشاعر الضعف هذه ، التي تبدو انسحاقا ً في أحيان كثيرة، فتوتره الذي حاول أن يخفيه عن الآخر/ المدينة يظهر على سطح قصيدته ، فقد تغدو أنسنة المكان دفعاً منه ومن باقي الأدباء والشعراء اللذين يبنون مقاصدهم على هذا الفعل ليجعلوا القارئ يشعر بقيمة المكان وبفائض الألفة والحميمية التي لا تتحقق للإنسان إلا في أمكنته التي ولد فيها وعاش[٢]، لينفصل عن هذا العالم ويبتعد عنه بالقدر المستطاع، ولكن تبقى روحه مصلوبة في هذا الوطن وذاكرته تتجول في منعطفاته ولسانه يخاطب كل شيء فيه :

كلَ شراعٍ لم يعد إليكِ يا مخافرَ الحدود

لا باحثاً ، سدى، عن المعنى

ولكن هرباً من المعاني السود

فهو شراعي[٣].

تدل رمزية (الشراع) على الرحيل ، و(مخافر الحدود) يقصد بها حدود وطنه العراق، فهو لا يتمكن من العودة أو الوصول إلى حدود هذا الوطن وهذا الأمر ليس اعتباطاً أو ترفاً ، إنما هربٌ وخوفٌ من السلطة الدكتاتورية أو أي آيديولوجيا أخرى لا يتوافق مع أفكارها ،التي يصفها بـ (المعاني السود) ، فهو لا يبحث عن طريق الوصول بل عن طريق الهرب من المعاني السود، فالقدر منحه هُويته المغتربة وجعله يصارع من أجل التخلص منها والبحث عن هُوية مستقرة وآمنة ، وهذا ما عمد الشاعر إلى تسجيله في تجربته الشعرية التي تتركز حول عدة ظواهر ومعطيات قد تتلاقى أو تتمايز ولكنها في النهاية تشكل قاعدة مخاض العصر ومأساته التي تنحصر في ست درجات هي: الهم ،والألم، والسأم ،والحزن ،والغربة، والضياع[٤] ، فتحل المنافي محل الوطن ويستحيل الأمن فزعاً وإغترابا ً:

وحدي ألوحُ في الركامِ كأن موعدنا يطول.

يا شاهداً في كل منفى ،

والمنافي لا تزول.

---

[١]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٢٩

[٢]- ينظر: هوية المكان وتحولاته- قراءة في رواية طوق الحمام ، إيمان جريدان، دار الكافي للنشر والتوزيع والترجمة، ط٢، ٢٠٢١: ١٦٢

[٣]- الأعمال الشعرية: ٧/٢

[٤] - ينظر: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت- الحمرا، ط١، ١٩٩٤: ١٢٨

أقصيك حتى أفتديك.

وأبادلُ الصمت المهادن سرَ تكويني

فتُعجبني الحلول.

هي مرةً أخرى

وأمنحُ عادةً للخمرِ عادلةً، وأنكرُ ما أقول[1].

تحمل قصيدته هذه بل أغلب قصائده طابعاً حكائياً درامياً يخاطب فيها ذاته، وهو لا يتكئ على التعبير المباشر عن تجربته وإنما يميل إلى اللغة المعبرة عن المدى العميق لانفعالاته ومواقفه الذاتية[2]، ويستعمل مفردة (الركام) كناية عن المنفى الذي هو فيه والموعد بينه وبين الوطن يطول ، فهو الشاهد الحاضر معه في منفاه على الرغم من أمنيته أن تزول المنافي ويعود إلى حضن الوطن ، ولا نغالي في القول بأنه كان يعاني صراعاً حاداً بين مخيلته والواقع ، إذ يستسلم للصمت ليتبادل معه الأسئلة حول سر وجوده وهويته في هذه الحياة لعل الإجابة كما تتمناها نفسه ولكنها عكس الواقع الذي يعيشه فيستسلم للخمرة التي اصبحت له عادة ينسى بها ما يود أن ينساه ، فدلالة النص هنا تفصح عن حالة الضياع والتشرد التي يعانيها، ثم يسترسل في عرض ملامح ذاته التي يرافقها شعوره بالأسى والعزلة كما لو أن هروبه من الأيديولوجيات التي كانت تتصارع في مجتمعه كان ثمنها الوحدة التي كانت تتربص به التي منحته هُويته المغتربة :

في منفى عند زقاقٍ ما

يصحبني بطرس

في عينيهِ ضحيةُ أهوائي

ومعي يترنمُ في الطرقاتِ كرايةِ منفيين:

((يا بطرسُ أنت مدين بالكأسِ،

مهربةً لكلينا.

نتقاسمها يا بطرسُ دون كلام

في ظلِ البارِ المغلق،

---

[1] - الأعمال الشعرية: ١٩/٢

[2] ينظر:الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث: ٥٩

نتوسد عائلةً ونَنام))[1].

يكثف الصورة الشعرية ليعكس حالته النفسية القلقة بفعل الاغتراب الذي كان يعيشه، فاستعماله لمفردة (منفى) بصورة النكرة دلالة على تصغير شأنه وإنه أراد به المنفى/الوطن الممزق ، المغترب عنه فكرياً ونفسياً((إن بطل الاغتراب الفكري لم يقع بعد على فلسفة هادية في معترك الفكر المتصارع ....فكانت ثقافة الشاعر تقود تطلعاته إلى البعيد في الوقت الذي يشده فيه مجتمعه المتخلف إلى الوراء والنتيجة مزيد من التمزق))[2] وبطرس صاحب الحانة التي كان يرتادها الشاعر وربما يقصد به (نفسه) يهرب من واقعه المأساوي،حيث يطلب من بطرس / الشاعر كأس الخمر (مهرَبة) لهما من هذا التمزق والوحدة حالمين بأنهما يتوسدان دفء العائلة وحميميتها هاربين من هذه الوحدة الموحشة ، فإن القواعد التي يعترف الفرد بموجبها بذاته وهُويته ليست ملكه وحده بل إنها تفعل فعلها بقدر ماهي اجتماعية [3]، وترد دلالة المنفى / المدينة أيضاً في قصائد أخرى حاملة مضمون الاغتراب والضياع ذاته:

لماذا أولدُ بين احتمالين هذا اليقين

وأرقبُ من دونِ طائل؟

وإني بعيد،

وأشربُ باسمك حتى الثمالة.

لماذا حللتُ بهذي المدينة

وكأن الشوارع فيها سؤالٌ،

ورائحة الأُفقِ تُقرنُ بالموتِ والاستحالة.

لماذا أجوبُ الشوارعَ أسألُ عن ظلِ أفعى

من الشمسِ تسعى

بهذي المفاصل؟

أهذي المدينةُ منحدري؟

وقميصي ألذي يتوزعهُ الموجُ في كل ساحل؟[4].

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٢/٧٠-٧١

[2]- المدينة في الشعر العربي المعاصر، مختار علي ابو غالي، سلسلة كتب عالم المعرفة –الكويت، العدد ١٩٦، ١٩٩٠ :٨٨

[3]- ينظر: الذات تصف نفسها: ٦٧

[4]- الأعمال الشعرية: ٢/٢٠-٢١

يصارع الشاعر سيل الأسئلة التي تثور داخله التي تكشف عن عدم التحامه مع الوضع الجديد في المدينة/ بغداد ، وتتبع حيرته من عذابه في هذه المدينة بسبب شعوره بالاغتراب داخلها ، فهي لم تعد كما هي ،وساد هاجس الخوف من المجهول الذي يرمز إليه (بظل الأفعى) ، فالظل يوحي إلى صراع الذات ومواجهتها للآخر والوجود ، وهو القلق والخوف الدائم نتيجة المطاردة بين الذات وظلها / الآخر[١]، وتتضح الرؤية عنده ويفهم ما يدور في هذه المدينة والمآل الذي تؤول إليه بفعل الآخر السلطوي ، وقد استعمل مفردة الشمس للدلالة على وضوح الرؤية في مقابل الليل [٢] ، ليتساءل بعدها: هل في هذه المدينة ستكون نهايته؟ وهل ستكون عائقاً لحريته وسبباً في قلقه وإضطرابه، فيستعمل (الموج) دلالة على الخوف من المجهول، وذلك لما يمثله الوضع الراهن من تضييق لأفكاره وحريته الفردية ، فيُسلب من هُويته ويُغترب، ويخاطب الآخر/ ذاته ليشكو إليه مرارة المنفى وقهر الوطن:

أي شهيدٍ لم يعُد بعد، ولم يُفسح له مكان

سواك يا صديقي

في هذهِ الحديقةِ المهجورة؟

أعمى وما وحَدني فيك نشاف ريقي

في ظمأ المنفى فأي ضيقٍ

تمنحني

بلادُكَ المقهورة؟[٣]

تدل لفظة الشهيد في دلالتها السياقية عن المقاومة ، ففعل الشهادة يتم حين تكون هناك قضية واقعية تتخطى الوجود الحسي كما أن فيه اشارة إلى العنف الذي تمارسه جماعة ضد أخرى، فيبرز الصوت الناقد لهذا الواقع ((وإن القوة النقدية التدميرية لهذا الصوت المنبثق تكمن في انطلاقه من موقع الهامش ...وهذا ما يترتب عنه تحول في نمط الوجود من تجربة الخضوع إلى تجربة الحرية حيث تتشكل هُوية جديدة للذات))[٤] وهذا التحول هو ما كان يبحث عنه في حياته للتحرر من العنف والظلم ولتحقيق هُوية مستقرة تلغي تشتت الذات وتشظيها واغترابها.

يستعمل في هذا المقطع أسلوب المناجاة ليسرد حالة شعورية تمر به، فكأنه يمنح ذاته هوية الشهيد، ويتسائل وهل سيكون له مكان في هذه الحديقة/ المدينة ، وهو الظمآن في منفاه لم يجد ما يروي به عطشه وهذا ذاته ما تعانيه هذه المدينة ، الأمر الذي جمع بينهما، ثم يعود ليسأل صديقه/ الذات ماذا يمكن أن تقدم له هذه البلاد المقهورة سوى الضيق في إشارة إلى

---

[١]- ينظر: خطاب الاخر في الشعر العراقي السبعيني: ٣٢٥
[٢]- ينظر: المدينة في الشعر العربي المعاصر: ٤٧
[٣]- الأعمال الشعرية: ٢٤/٢
[٤]- سرديات ثقافية: ١٠٠-١٠١

اغترابه عنها أيضاً فهو ينسلخ عن منفاه و بلاده ، كأنه لا يبحث عن البلاد وإنما يبحث عن زمنٍ آخر حيث كان حال البلد غيره وحاله فيها غير حاله الآن ، هو الهارب من زمن العنف الذي يعد من العوامل المهمة في إدراك الفرد لهويته؛ لأنه يهدد بقاءه ويسلب اختياره في الإتحاد مع الآخرين أو وقوفه ضدهم على هذا الأساس[1]، ويستمر في مخاطبة قرينه ليسرد عليه نصائحه ومواعظه:

خرجتُ أنا ونديمي بكاءين

رأينا عورةَ هذه الدنيا فضحكنا:

بغداد جريدة يومٍ فات

ودجلةُ نهرٌ أُمي يتطلعُ في الصفحات ولا يفهم،

والنخلُ له سيماءُ الخائفِ وشحوبُ المعدم.

لا تطأ الأرض نديمي بحذائين

عر قدميك فهذا آخرُ عهدينا

بتراب الأرض[2].

يصور نفسه بوصفها قرينة تعاني الاغتراب والحزن بما آل إليه مصير وطنه فلم تعد بغداد مثل سابق عهدها ،حتى دجلة ونخيله طاله ما طال الشعب من خوف وقلق ومن بين كل هذا يبرز صوت الأنا ليخاطب ذاته (النديم) بأن هذه آخر أوقاتنا على هذه الأرض ، دلالة على شعوره بالاغتراب داخل موطنه وأرضه ، هذ الواقع أصبح سمة عصره ،وإن دلالة المهجر لا تحيل بالضرورة إلى هجرة واقعية إنما هي استعارة للفعل الانتهاكي ضد الهوية إنه طريقة تفكير للعيش خارج المركز والمؤسسة والنسق العام[3]، فتسكن الذات إلى مخاوفها تاركة ظل مدينة خلفها:

لم أحتكم لأحد، لكنني وضعتُ في قافلةِ المخاوف

رحلي، وغادرتكِ،

(ظلُ شاعرٍ على جدار)

فالرواةُ عبروا، والعرباتُ، وبناةُ السفنِ، الملونون

---

[1]- ينظر: سياسة جديدة للهوية- المباديء الأساسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل ، بيكو باريك، تر: حسن محمد فتحي ، مراجعة: محمود ماجد عبد الخالق، المركز القومي للترجمة –القاهرة، ط١، ٢٠١٣: ٥٢

[2]- الأعمال الشعرية: ١ /٢٢٩

[3]- ينظر: سرديات ثقافية: ١٠٤

الأنهرُ المنسية ، التاريخُ في منحدراتِ اليمَ،

قتلى الحرب...قمصان مشردون.

وأنتِ في الوحدةِ عزلاء ، وفي رأسكِ تاجُ البطلِ الزائف[1].

يتوجه مخاطباً مدينته/بغداد التي غادرها وهو يحمل الخوف والقلق وتثقله هواجس الاغتراب والتمزق الروحي الواضح، ويواجه قضية الوجود (ظل شاعر على الجدار) في دلالة إلى العدمية واللانفعية في هذا الوطن مما اضطره إلى المغادرة ، فهو يحاول إيصال الصورة التي يراها هو عن نفسه ويتشارك بها مع الأكثرية من أبناء وطنه فتتشكل هُوية واضحة عن إغترابه ، وإن استعماله لمفردة (اليم) في النص إشارة إلى الفوضى التي مر بها هذا البلد، فالصورة الشعرية متشكلة في فضاء زمني ضخم مليء بالأحداث القاسية التي قتلت وجه البراءة في هذه الحياة وانعكست تأثيراتها عليه فولدت شعوراً بالوحدة والضياع ويتوجه إلى المدينة معاتباً إياها كيف إنها ارتضت أن تلزم جانب الخضوع ولم تثر بوجه من عاثوا فيها فساداً بل ارتضت بـ(البطل الزائف) أن يتفرد بالحكم عليها ، فالمقطع تعبير عن الجو العام الذي يسود الوطن آنذاك ، وتصوير للعلاقة الجدلية بين الشاعر والمدينة / الوطن، والمقصود بالموقف الجدلي هنا ذلك الصراع الذي تولد عند الذات الشاعرة بين النقمة على المدينة والتعاطف معها بمقدار حنقه عليها[2]، وهو تصوير لحالة التشظي والاغتراب النفسي الذي عانته الذات.

الاغتراب السياسي:

يمثل الشعر وثيقة رسمية ذاتية تدين ممارسة السلطة الحاكمة، ولاسيما إذا شعربوقع هذه الممارسات بالنفي أو الاغتراب الذي يلازمه ؛ فحاول الشاعر جاهداً أن يحقق توازنه ((عن طريق تحويل نمط السياسة أو السلطة بكل ما أوتي من قوة متمسكاً في ذلك بمبادئه وقيمه ومعتقداته ، لقد سعى إلى تغيير مجتمعه بالقول تارة وبالثورة تارة أخرى))[3] فتطغى مشاعر الاغتراب عليه، حيث يشعر بعدم فعاليته في مجتمعه ووطنهِ بسبب هيمنة السلطة وعدم إندماجه الفكري معها فهو المغترب عن وطنه بفعل الآخر المتسلط:

أعود لهدأته ِ أول الليل ِ،

لا أحداً أتعرَفُ،

لا سكناً،

لا شوارعَ َ مما ألفتُ مع الليل.

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٢٦/٢

[2]- ينظر: قضايا الشعر المعاصر:٣٤٣

[3]- الإغتراب في الشعر العربي الرومانسي: ٦٦

رائحةُ الثأرِ في كل منعطفٍ،

رائحةُ الأسفنيك،

وما شئت من فتنةِ القولِ[١].

يقدم صورة من صور الوطن بعد عودته الأولى بعد منفاه الأول بيروت بعد أن هاجر إليها في مطلع عام ١٩٦٩ ليعيش فيها متسكعاً ورافضا ، ليعود إلى بغدادعام ١٩٧٢ فيجد أن الوطن قد جثم على صدره دكتاتور ظالم ، إذ لم يعد مثل سابق عهده به ، ولم يعد يألف فيه شيء لا شوارعه ولا ساكنيه ، حيث غاب صحبهِ ، فمنهم من اغتيل ومنهم من نُفي ، وهو في قصيدته هذه لا يتعامل مع الوطن بحميمية المأوى الذي يحن إليه بل نجده يتصوره عدوه اللدود الذي تفوح منه رائحة الثأر والموت والهواء الفاسد . من خلال صور الاستحضار والمقارنة يقيم علاقة اتصالية بين ماضيه ومايحمله من ذكريات والحاضر ومايكتظ به من أحداث، فشكل صوراً متنوعة قصد توصيلها لمتلقٍ له أن يقرأها ويعيد قراءتها من أجل تأسيس صورة لهُوية الذات الشاعرة [٢]، فعلى الرغم من بروز ما نسميه بالحداثة الجديدة آنذاك إلا أن أهم تغيير طرأ على الحياة هو بروز شكل جديد من الذات تعاني الاغتراب والتصدع في هويتها وموطنها[٣]، وهذا يظهر في العديد من نصوصه وقصائده:

وأنا من ((مقهى البلديةِ)) في ((الميدان))

أقتسِمُ مصيراً مجهولاً

مع هذا الرهطِ الزاحفِ في مُنحدرِ الغفلة.

فالطعنةُ مثلُ الظلِ تُلاحقُهم ، جيلاً

سكنتهُ النارُ، وتسكنهُ الآن الدولة[٤].

يُعد الصراع من أجل السلطة السياسية صراعاً حاضراً في كل الأزمنة والأمكنة، وكل سلطة لابد أن يصحبها العنف إذا ما غابت الديموقراطية والتداول السلمي لها ،حتى وإن لم يسيطر عليها كلياً إلا أنه موجود في سياستها وهذا ما يمكن تخيله، والسلطة الحاكمة في العراق كانت تنتهج هذه السياسة وتتمادى فيها .

يأتي هذا النص ليصور مشهد درامي يتحدث فيه عن مشاعر وتأملات راودته حين كان جالساً في (مقهى البلدية) يراقب مشهد الناس في المقهى الذي يشير إلى الفضاء المغلق ، الذي يحيل بدوره إلى مشاعر الكبت وعدم الحرية[٥] ، إذ يحاول أن يعطي للقارئ انطباعاً بأنه ضد

---

[١] الأعمال الشعرية: ١٦/٢

[٢] ينظر:بول ريكور :الهوية والسرد: ٧٩

[٣] ينظر: السيرة والعنف الثقافي: ٤٥

[٤] الأعمال الشعرية: ٥٢/٢

[٥] ينظر : المدينة في الشعر العربي المعاصر: ٥٧

تيار السلطة مغترباً عنها ، و(مقهى البلدية) ملاذ المثقفين في الستينيات ومقر اجتماع القوى الوطنية آنذاك ، يحمل النص مشاعرالخوف من المصير المجهول ، فيشعر أن نفس المصير ينتظره مع هذا الرهط الشبابي الثائر (الزاحف نحو الغفلة) أي الذي لا يعرف مصيره ولا مستقبله في هذا البلد الضائع بفعل السلطة الحاكمة ، وهو غير بعيد عن مشهد المقاومة ، لأن ما من مثقف آنذاك يرتضي أن يقف ليشاهد فقط ، إذ يكون خائناً للمظلومين من أبناء الشعب ، الأمر الذي يكون عاره أشد وطأة من كونه خائناً للسلطة، فالشاعر لا يعيش مع الآخرين بصورة سطحية ، بل يندمج معهم وهو يكتب ، لذلك كان خالص الانتساب للمعترك الخارجي معترك صراعه مع الآخر أو معترك المرحلة ذاتها[١] ، وحين يذكر الوطن المستباح بفعل الآخر قد لا يريد به الوطن بجغرافيته وإنما رمزُ الأحلام والمستقبل المشتت أو الحرية المفقودة ، يرسم الأثر الذي أحدثه الآخر على ذات الشاعر والوطن / الفكرة:

يا وطني الهارب خذني دون هوية

كشفَ العرافُ دمي الكاذب.

أتأبطُ شراً،

أبصرُ ،حيثُ مشيت، القاتلُ في جسدي

وأنا المقتول.

يا وطني الهارب خذني، فأنا مثلك هارب

عاشرني الحبُ فضيَعني،

لكني لم ألقِ الحبلَ على الغارب،

لم أمسح عن عتبات الباب حصى الغائب[٢].

تتضح القيم الجمالية للقصيدة بالكشف عن جوانب أخرى لحقيقة الفرد ، وهذا الكشف يتماشى مع التجربة الروحية وإتجاهات الحياة المختلفة[٣] ، فهو يتمنى أن يرحل مع الأشياء الجميلة التي رحلت ، إذ لم تبقَ له هوية ينتمي إليها ، وهذا شعور واضح بالاغتراب الناجم عن تشظي الهوية بفعل الآخر ،فحيث يغادر ستبقى آثار طعنة القاتل في جسده ويبقى هو المقتول الهارب الباحث عن مأوى ، ويكشف بشكل مبطن عن أثر السياسي في اغترابه وقهره :

البابُ لا يوصد للسجان

والتاجُ لا يوضعُ فوقَ الملكِ المُهان

---

[١] ينظر: تهافت الستينيين: ٣٤٣
[٢] الأعمال الشعرية: ١٤١/٢
[٣] ينظر: ثياب الامبراطور: ٩٩

ونحنُ صورتان

مسافرٌ وزادهُ الحرمان،

وحائكٌ شهوتهُ المريضة

للموتِ والتراب

(عانقني ، وكان في جبهتهِ العريضة غرابةٌ ، وفي يديهِ زهرةُ اليباب).

الموتُ على الأبواب

(عانقني.... شممتُ فيهِ أولَ الشباب)[1] .

تبرز ثنائيات الاغتراب في هذا المقطع بصورتها الضدية، حيث تظهر الدراما من الشعور القمعي فتستثيره صورة السجان كناية عن السلطة ، الاستثارة منبعها الخوف والرهبة ، هو المسافر الغريب الذي حُرِم من وطنه ، أما الآخرفهو مريض نفسي يحيك له الغدر والموت.

يستحضر في مقطعه هذا قرينه الذي يذكره في بداية القصيدة الذي يطلق عليه(الملك) في إحالة إلى مشاعره النقية (أول الشباب) قبل أن تلوثها هواجس الفتنة والريبة وقذارة الزمن الآسن ويرافق شعوره بالخيبة والقهر رغبة لرثاء مدينته المفقودة ،وما فعله إستبداد السلطة فيها:

وها أنا

أُقيم بين الزمنِ الثالثِ والمركبةِ المحطمة،

تُظلَني ساريةُ الحداد

بفيئها الساقطِ من نِواحِها المكتوم.

أرقبُ حتفي في عيون الفرسِ المهزوم

مُكفناً برايةِ الآتي ...

من الرماد[2] .

يرتبط بهذه الارض المنتهكة، حيث تنتشر فيها رموز الحداد والموت وصوت النواح ، فيرقب حتفه كئيباً حزيناً ،إذ يظهر حقيقة معاناته من الاغتراب بسبب تعرضه إلى نظام من العمليات الخارجية التي عملت على إحداث تغييرات عميقة في جوهره ،هذا ما سبب إحساسه بالتغيرات الحاصلة بوضعية إستلابه سواء على مستواه الفردي أو الاجتماعي[3] ، ويبقى

---

[1] الأعمال الشعرية: ٢/٢٣٩

[2] الأعمال الشعرية: ٢/١٧٠

[3] ينظر: الهوية ، أليكس ميكشيللي: ١٤٧

يراوده خوف من المجهول ،وهيمنة السلطة ، فيتصور كفنه رماداً في دلالة على الاغتراب عن الوطن فهو المنفي عنه ولن يحظى حتى بأن يلف نعشه برايته.

إن حالة الاغتراب الشعورية والغربة المؤكدة أدت إلى تشظي واضح في هُوية الذات ، إذ ظهرت بصورة واضحة بتعاسته التي توشحت بها نصوصه، فيحاول أن يهرب منها عبر التمرد على الواقع عن طريق الثورة ، أو كشف زيف السلطة ومرجعياتها ، أو التشرنق على الذات والانسحاب من المجتمع، معلناً عبر تمرده وضع حد للاستلاب الهُوياتي الذي يسعى إلى خلق كائنات عاجزة مستسلمة للواقع المفروض عليها.

المبحث الثاني

هُوية الذات السلبية :

يبحث الفرد عن هدف يمنحه شعور بجدوى وجوده وتطلعه إلى المستقبل ، وهو في رحلتهِ هذه لاكتشاف أناه، يتعرض إلى مآسي عدة تؤثرسلباً على مشاعر الاستقرار في داخله، فيسيطر عليه القلق والتردد وعدم الثبات فتُخلق لديهِ شخصية مضطربة تميل إلى التشاؤم ، وحينها تسيطر على الفرد هويته السلبية وتختلط في أطوار الانكسار والأذى الخارجي أو الإخفاقات مع الاتهامات الداخلية للذات وبالتحديد لدى الأفراد الهامشيين مما يؤدي إلى جعل العناصر الهامشية للهوية السلبية تزحف أكثر فأكثر إلى مركز خبرة الذات وتطمر الثقة بالنفس والمبادرة والتآلف[١] .

رسمت التغيرات السياسية والاجتماعية في العراق صوراً لهذه المآسي ، إذ كان للسلطة الأثر الأكبر فيها حتى أصبح أفراد المجتمع يعيشون تحت ضغط التهديد والمعاناة ،وطمس الهوية واستلابها ، فخلق هذا عند الأفراد أزمة في الهوية يمكن تحديدها بأنها ((الصعوبات التي تعوق رغبة الإنسان في أن يكون معترفاً به من الآخر))[٢] وهذا المفهوم ينشأ بالدرجة الأولى من محاولة إثبات الوجود، فالأزمة يمكن عدها على إنها الجهد في تحديد الذات[٣] ، إذ إن الاضطهاد والتهميش يُولد عند المجتمع شعوراً دائماً بالتهديد والخطر وعدم الأمن النفسي فالفرد الذي لايشعر بالأمن ((يستشعر الخطر دوماً قد ينظر إلى الجماعة الخارجية بوصفها مصدراً مهدداً))[٤].

سيطرت نزعة الإدراك على وعي الشاعر، إذ كانت أول محاولة في إثبات وجوده على الرغم من كونه في أغلب نصوصه مهمش ومستلب وسلبي ، ربما لأنه حاول أن يتقمص هُويات أفراد مجتمعهِ المهمشة ، أو لأنه عانى من التهديد والتهميش أيضاً، فإثبات الهُوية نوع من المقاومة ، وتحدي الذات لكل ما يهددها ما هو إلا ضمانة لتحقيق الوجود الفردي أو هو حالة القلق الوجودي المستمرلها[٥].

يمكن تحديد سلبيته من خلال نصوصه التي قدمها للقاريء في أغلبها مشتتة ومتشظية ومنعزلة يسودها إحساس العدمية واللانفعية ومحاولة إيجاد هدف وجدوى للبقاء، وقد لا تكون هذه هي شخصيته ،فقد عرف عنه إنه ذو شخصية متسامحة وهادئة ومتآلفة وإن كان يشعر بهذه السلبية ولكن ليس إلى درجة السيطرة الكلية عليه ،فما هي إلا محاولة منه لخلق عالم شعري يصور الواقع الحقيقي الذي كان يعيشه أغلب أفراد هذا المجتمع إزاء تلك المرحلة المرَة من تاريخ هذا الوطن.

---

[١]- ينظر: البحث عن الهوية: ٣١٦

[٢]- أزمة الهوية والتعصب:٢٥

[٣]- ينظر: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٩: ١٠٨

[٤]- أزمة الهوية والتعصب: ١٦٢

[٥]- ينظر:تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي: ٦٤

التشتت والإضطراب:

يكتب الشاعر قصيدته فوق بركان من الأحداث الساخنة التي تنضج بها كلماته فتنقذه من حمأة التجريد فيستحدث خياله للارتفاع ويبتكر أسلوبه في التصوير حتى لا يجد القارئ صعوبة في الاهتداء إلى معانيه[١] ، ومن أبرز الأساليب التي استعملها للتعبير عن هُويته المشتتة وشعوره بالعجز والانكسار توظيفه الأقنعة والاستعارات وكل ما يمنح القصيدة جواً من الغموض وعدم الوضوح هرباً أو خوفاً أو رغبة في عدم المواجهة :

أدمنتُ قناعاً منذُ سنين.

عطرتُ الجسد برائحةِ التنين .

آلفتُ الأضدادَ بتكويني،

وخرجتُ.

لا أقرنُ إلا بالسحبِ تشتتها الريح.

أو بكثيبِ الرمل،

أو بالقديس على حافةِ أهوائه،

أو باللاشيء ، كشيءٍ في ذاته[٢] .

يتشكل النص من مجموعة هامشيات وأقنعة يحاول فيها أن يتجرد من ذاتيته إحتجاجاً على الفساد ومعانقة الرفض وهذا ما كان يريد أن يوصله بقوله (أدمنت قناعاً منذ سنين) فإن أول ما يتأسس عليه نضال المثقف في هذا الزمن هو استنكاره جملة من الأوليات التي تشكل خطراً على هُويته ، والانتماء هو سليل الاستمتاع بقناعات ذاتية يطمئن إليها الإنسان في أعماقه التي تكون مزدحمة بتلك الأوليات المغلوطة أو الخطرة التي لا يمكن أن يصرح برفضها أو استهجانها في ظل هيمنة الآخر الدكتاتور[٣] ، وإن الاضداد التي أنطوى عليها تكوينه يقصد بها الخير والشر فأحدهما يكمل الآخر فلا تظهر الفضيلة إلا باقترانها بالضد فلكل شيء ضده، وتعود أُسس فلسفة المصطلح إلى فكرة إن الإنسان قد هُوِسَ بتحديد موقعهُ من العالم وقد واجه الإنسان في عصرنا الحاضر ما يسمى بالشرذمة والانشطار بسبب تهميش هذا الموقع وإلغاؤه[٤]، وهذا ما أكده بقوله (لا أُقرن إلا بالسحب تشتتها الريح، أو بكثيب الرمل) فكلا التوصيفين يدلان على هامشيته وعدم استقراره وتشتت ذاته بفعل المكان أو الوضع أو الآخر،

١- ينظر: جماليات الحرية في الشعر:٦٥

٢- الأعمال الشعرية: ٣٧/١

٣- ينظر: الهوية العربية والأمن القومي: ٢٣١

٤- ينظر:الثنائيات الضدية- بحث في المصطلح ودلالته، سمر الديوب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية- العتبة العباسية المقدسة، ط١، ٢٠١٧م -١٤٣٩ هـ: ١٢٢

ثم يقرن ذاته بالقديس ولكنه ((القديس الذي يقف على حافة أهوائه ، ويحملق في المجهول ، في اللاشيء ، القديس غير المطمئن الذي يبطل قداسته بالشك والتساؤل ليخالط نزوات الشيطان العاصي))[١] ، ثم يقرن ذاته باللاشيء دلالة على التشتت واللانفعية ، فيتحول الكيان الذاتي للشاعر إلى شظايا قلق وارتياب:

وفي كياني تأخذُ الرعدةِ مستودعها ،

يثقلني الماضي – أنا المدينة الزائلة-

يُثقلُني الزخرفُ في تاجي

-أنا الفضلةُ في محرقةِ التاريخ-

كم يُثقلُني هذا القناع!

كم تُرى يُثقلُني القناع!

كم يُثقلُني..

في هذهِ المدينةِ النائية[٢] .

يستشعر الألم والتشتت بشكل كبير عندما تعصف به الذكريات وهو يعاني من البعد عن موطنه فيرتدي قناع المدينة الزائلة التي ترتبط بالنكبات والكوارث والموت والخراب ، حيث أراد أن يصف خرائب روحه فكانت الاستعارة بالغة الدقة، والقناع جاء((نتيجة لمعاناة الواقع...واستجابة لوعي متأزم بمشكلاته وهمومه))[٣] ،وهو المتقنع في هذا الزمن الرديء إما للهرب من عدوه أو ليتآلف مع المكان ، وهو دليل تشتت وضعف ، وهو لم يبقَ مدفوعاً إلى القناع تحت ضغط الضرورة ،ضرورة علاقته مع الواقع المأساوي بل أصبح مجذوباً إليه بقوة الرغبة [٤]، حتى بات يثقله ويؤذيه تحمله، فهو في النص الأول يستعمل (كم) في دلالة على التكثير والتضخيم ليبين للقارئ مدى ثقله على روحه ، وفي الثانية يستعملها بمعنى التساؤل والاستفهام ، فإلى متى سيبقى في هذه الغربة مرتدياً إياها وقد أرهقه الشوق وأضناه الحنين، فيبث من خلال القصيدة هواجسه وهو يستشعر ضعفه ونهايته :

إني الشيخ الهرم، أضعت السمع

ولاحت صُفرةُ آخرتي في أظفاري.

١- أنسنة الشعر- مدخل إلى حداثة أخرى :فوزي كريم إنموجاً، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠٠٦: ٦٦

٢- الأعمال الشعرية: ٨٣/١- ٨٤

٣ الذات الشاعر في شعر الحداثة العربية: ١٧٥

٤- ينظر: المصدر نفسه:٢٢٤

أفرغتُ مرايا بيتي من وجهي المسروق

وأطعت نداءً،

كان السوقُ كثيفاً مثل الصدأ،

(يغطي جسدي شعرٌ أكثف من صدأ السوق)

ولأني مكتومٌ كالصرخةِ في الصوان

لم يأبه بي أحد!

خلفتُ المدن ورائي،

ودرجت مع الوحشِ ، هنا، ومراعي الجان،

فأحطت الجسدَ برائحةِ الحيوان

وحشوتُ الرأس بأزهار الدفلى السامة

ورأيتُ ملامح وجهي

أجراماً ونيازك![1]

يستعيرالشاعر لنفسه صفة الشيخ الهرم في دلالة على الضعف واللاقدرة ،فهو يتحد مع الشخصية اتحاداً تاماً حتى لاح إليه شبح الموت ينتزع الروح من أضفاره، فـ(يفرغ مرايا بيته من وجهه المسروق) دلالة على الفقد والغياب ، وبث هواجس التشتت والمتاهة، فهي مرثية لذاته وبحث في العزلة وانحياز للكآبة والتشاؤم ،وإن تجربته ((مغرقة بالهوامش والأقنعة الذاتية ...وهذا ما جعل شعريته جدلية تستحضر ماضي الذات أو نتفاً منه))[2] ويحاول أن يستعمل الألوان لإعطاء البناء الدرامي حركة وتشويق للقارئ ، من خلال استعماله للألوان (الأصفر ، الصدأ) فإن ((كل الأنواع الأدبية تصبو إلى الوصول إلى مستوى التعبير الدرامي وذلك من جهة أن التعبير الدرامي هو أعلى صورة من صور التعبير الأدبي))[3] ليكشف عن صراعاته وتوتره وإيصاله للقارئ من دون عناء ، واستعماله لمفردات (الوحش، مراعي الجان) المستمدة من الأساطير، محاولة أخرى مهمة في إبراز البناء الدرامي للنص وللهرب من الواقع الذي تساوى مع الموت، وإن اتكاء شعراء التجديد عليها كثيراً بوصفها عاملاً رئيساً في اكتشاف الذات وقدرتها للنهوض بعبء الهواجس والقضايا المعاصرة[4] ،إذ يستعمل الحيوان الوحشي والجان في محاولة للتعبيرعن رغبات مكبوتة ، وكأنه أراده نداً لمصارعة هذا الواقع فجعله

---

١ الأعمال الشعرية: ١/ ٥٤- ٥٥

٢ المرايا والدخان: ١٥٦

٣ الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية:٢٧٨

٤- ينظر: البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢٢٣

معادلاً موضوعياً لذاته (فأحطت الجسد برائحة الحيوان) أو قد يكون دلالة على حجم صراعاته الداخلية ((فأن تكون شاعر يعني أن تكون في صراع مستديم مع الوحش كونه ذاكرة ، وكونه رقيباً، وكونه قلقاً داخلياً))[١] ثم يستعمل(زهرة الدفلى) قي محاولة منه لتشبيه نفسه بالطبيعة في قوتها وقدرتها على التحمل ، حيث ((يجد ذاته بالدفلى التي لا يبالي لها أحد ...فهي ليست متسلقة ولا تتطفل على غيرها من نباتات ثم إنها تتعرض للتقليم الجائر والإزالة من الأماكن الآهلة بالسكان كعزلة الشاعر والانتباذ منه))[٢] من هنا نرى بأنه دقيق في البحث عن جماليات المفردة وتوظيفها في نصوصه بما ينسجم بين دلالتها وسيرورة الواقع الذي يعيشه مع إشارة واضحة إلى هُويته المتشظية مثل (الأجرام والنيازك) التي يستعير إليها صفات الكائنات الهاربة:

أبصره فوق الصخرةِ، أثبتَ منها ظهراً

وجهاً لا يحمل من سيماءِ الأوجهِ إلا صفحتها الأخرى.

((من أنت؟)) يقول.

أُخفي وجهي بقناع الجرذِ المبلول

وأصيء((أنا..))[٣]

تمتليء نصوصه بالاقنعة والغموض،تمخضت عن مواقف متناقضة [٤]، والنص يشي بتخوفه الذي كان يرافقه ، استعمل أقنعة مختلفة هرباً من السلطة وقمعيتها، وماهذا إلا دليل على هُويته غير المستقرة والمضطربة ، إذ تمثل الشخصية المتقنعة والانهزامية أولى نقاط تشتت الهُوية وتشظيها؛ لأن القناع في هذا النص يمثل ((نزوعاً نحو الدرامية المعتمدة على البنية الحوارية وتداخل الأصوات فيها))[٥] ويتضح ذلك من استعماله لأسلوب الحوار(من أنت؟) و(وأصيء أنا) لتعبر هذه الأقنعة عن همهُ واختناق روحه وتشتت هُويتهُ:

أُغادر وجهي مساءً

وأسكنهُ في افتضاح النهار.

مساءً أكونُ بغيرِ ملامح، منفرداً،

مثل مطرقةٍ عند منتصف الليل[٦] .

١- أنسنة الشعر: ٨٦
٢- المصدر نفسه: ٢٠٥
٣- الأعمال الشعرية: ٧٩/١
٤- ينظر: البنى الاسلوبية في شعر فوزي كريم: ١٩٦
٥- المصدر نفسه: ٢١٧
٦ الأعمال الشعرية: ١/ ١٦٣

يرتدي وجوهاً متعددة ، ويهبنا متعة الحيرة والتردد ولذة البحث عن المعنى، تحكي وجوهه عن توتر وقلق واضطراب دائم بغرائبية ملفتة ، يتخفى وراءها هارباً وخائفاً ،فينزعها مساءً حين يتستر بظلامه ، فيكون بغير ملامح دلالة على التشظي والتبعثر ويسكنها نهاراً، فالنهار وضوح والليل عتمة وغموض ، وها هو بين العتمة والضياء يضيع لحظات ويجد نفسه في أخرى.

إن الانتساب إلى عالم الغموض والتقنع لدى الشاعرالغرائبي يعكس التعارضات الغريبة للروح الإنسانية ،إنه يعلمنا بأن الضعف الإنساني ونفاذ البصيرة الروحي ينموان معاً يداً بيد[١] ، ولكن وجه الذات الحقيقي يأبى الاختفاء ويحاول الظهور بشتى الطرق:

خلفَ قناع الوجه وجوه سود

تتواثبُ قططٌ، بالأظفار تخرمشُ وجهي.

تنبشُ عن طبقاتٍ لا تسمعُ للصوتِ المبحوح.

تتواثبُ قطط الروح

خرساء، كأن البيت تلاشى وتلاشت

مدنٌ وبلاد.

وأحاط بها أُفقٌ مسدود[٢].

يتخذ الشعراء من مواقفهم السياسية قناعاً يُلبس فوق الوجه ليأمنوا غدر السلطة فتتواثب معتقداتهم وأفكارهم تخرمش هذا القناع في محاولة لإزالته وإخراج صرخة الرفض والاستهجان، فهذهِ الصورة الشعرية تصور انفعال الشاعر في منفاه على ما واجهه من أحداث في الوطن تتواشج فيها الانطباعات بالأحداث فتقفز فيها ذات الشاعر من حالة إلى أخرى بأسلوب يمزج بين التصوير والذاكرة[٣].

إن قصيدة الشاعر اندفعت في اتجاه التمرد والرفض والعدمية والتشتت فيحاول عبر أنسنة الحيوان خلق عالمه الخاص ((فهو عقلاً وروحاً وحتى مخيلة يصبو إلى تحقيق أنسنة للحياة عبر الشعر))[٤] ولكن تُكتم صرخاته ويتلاشى الوطن ومدنهُ ويسودها مستقبلٌ مجهول ،ويتوهم بأنه ذو هُوية مستمدة من انتمائه لهذا الوطن ولكنه يفقدها حين يفقد الأخير ويغترب هو عنه:

لماذا توهمت وجهك بين المرايا وجوهاً

---

[١] - ينظر:شاعر المتاهة وشاعر الراية: ١٨٤

[٢]- الأعمال الشعرية: ٢٠٢/١

[٣]-ينظر: شعراء البيان الشعري، خالد علي مصطفى، دار ميزوبوتاميا، بغدا- المتنبي، ط١، ٢٠١٥: ١٣٢

[٤]- أنسنة الشعر: ٩

وها أنت تفقدّ جزءاً فجزءا .

جميع الخلايا[١] .

يخاطب في نصه ذاته أو قرينه يسائلها بلوم عن توهمها بأنها ذات هُوية وكينونة مستقلةً، وهو عبر استحضاره للقرين أو رسم صور مختلفة لشخصيته يحاول أن يبحث عن هُوية تلائم تطلعاته أو يكشف عن هُويته المتشظية ((فإن للإنسان وجوهاً كثيرة وأن هُويتهُ إن هي إلا وجوهه المختلفة وأقنعتهُ المتبدلة))[٢] وهي الآن تفقدها وتُستلب منها شيئاً فشيئا لتغدو ذاتاً مشتتة بلاهُوية، بفعل الآخر أو بفعل الظرف السياسي الذي مرت به الذات أو بفعل الوحدة والاغتراب، وهو شاعر الريح التي لا تهدأ ولكنه يصبح أكثر هدوءاً حين يستعيد الماضي وتفاصيله:

أنا أكثرُ الرياحِ هدوءً،

الرياحُ التي تنعكسُ وجهاً مهجوراً

على واجهاتِ المحلات، المقاهي، المطاعم،

ظلاً عابراً على الأرصفةِ، القناني المفرغةِ، صباغي الأحذية،

أعقاب السجائرِ، المجانين الأنيسين[٣] .

يتطلب العمل الشعري الخالص تسليم مهمة الحديث للكلمات و إختفاء الشاعر بوصفه متحدثاً في النص ، فأخذها لمبادرة الحديث قدرة على صنع عالم القصيدة الخيالي[٤]، وكلمات الشاعرفي هذا النص تكثيف للخيال والغموض فهو يستعير الرياح قناعاًمؤنسناً له للتعبير عن بساطته وصراحتهِ، فهي/هو عند هدوئها تبحث عن مستقر لاغترابها وتشتتها ، فالرياح/ أنا الشاعر التي تحمل بشاعات هذا العالم وتعكس الوجع الذاتي باستعماله الرمزي لها ، أراد أن يتحدى إشكاليات الزمن الذي يعيشه و يبرز علاقته مع الطبيعة بتقديمه الرياح بصيغة أنا.

يستعمل مفردة الظل في كثير من نصوصه لارتباطه مع الطبيعة ، لأنه ناتج عن الضوء والظلمة ،أو الشجر والشمس ، والظل هو الجانب المعتم المتشظي منه، قرينه وهوسه ((ويغدو الظل والذات شيئاً واحداً في الخطاب وهذه المرحلة لن تكون إلا بفعل المتغيرات الزمنية التي تلحق الذات وظلها فيحدث الصراع بينهما في التوحد تارة والتلاشي تارة أخرى ، فتتكشف مظلة انفعال الذات وصراعها بين الحاضر المؤلم والماضي الجميل وصداه الدائم عند الذات بواسطة مواجهة الذات لظلها))[٥] ،وبوصفه عابراً أي إنه غير ساكن بل متحرك في كل الاتجاهات ويمر بكل الظواهر، فالظل مرتبط بالزمان والمكان في ضمن فضاء النص ، فهي قضية جمالية

---

[١]- الأعمال الشعرية: ١٠٥/٢

[٢]- خطاب الهوية: ٤١

[٣]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٦٤

[٤]- ينظر: تهافت الستينيين: ٣١٨

[٥]- خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: ٣٢٦- ٣٢٧

يولدها الفضاء بين أزمنة وأمكنة مختلفة يكون الإنسان العراقي بأفكاره وتطلعاته ورؤاه محاصر فيها [١].

يمتزج هذا الظل مع ظواهر هذا المجتمع في خط عبوره ، إشارة إلى حالة الحنين والألم كمعطى من معطيات الذاكرة التي ارتبطت بهذا النص ((فالتذكر والتذكير رغبة مبعثها الحنين بوجه من الوجوه ، ربما هي استعادة لعالم مفقود ومفتقد ، وربما هي حلم بتحول هذه الاستعادة الذاكرية إلى عودة حقيقية))[٢] وتبقى ذات الشاعر مشتتة بين الماضي والحاضر :

وفي غابة السنوات رأيتُ المرايا

تتقاسم وجهي

هنا كنت،

من ها هنا جاء صوتي،

وخَطوي هناك[٣] .

يتمحور النص السردي على المتخيل المعيش الذي يشكل جزءاً مهماً من كينونة الشاعر وعلاقته بالآخر في محاولة لفهمه وبيان انكساراته وتشتته ، من خلال تشكيل صورة لصراعه مع الغابة / الحياة حيث يصل إلى مرحلة الوعي ليسترجع الأحداث التي مرت به ، ويقوم بالكشف عنها من خلال السرد الذاتي ((فالذات لا تظهر إلى الوجود إلا بعد أن تكتسب الوعي التام وتكوين مفهومها عن ذاتها والآخر في لحظة خيالية تعرف بمرحلة المرآة حتى وإن لم تكن تلك الرؤية إنعكاساً حقيقياً))[٤] ، ويستعمل المرايا للكشف عن معاناته بفعل الآخر – الغابة – التي تقاسمت وجهه دلالة على التشتت والاضطهاد الذي تعرضت له، إن الانعكاس الحقيقي الذي تكشفه المرآة هو رؤية العدو من خلال رؤية الذات المنعكسة ، لأن تذكر العدو بالنظر إلى الذات ما هو إلا انعكاس لرؤية الوجود والمتغيرات الحاصلة فيه فالصورة الظاهرة في المرآة وتمزقها وألمها أصبحت مرآة أخرى يندمج معها الفرد ويتماهى [٥] فالشخصية المتأزمة فقدت هُويتها وانتماءها في هذه الحياة / الغابة وتشظت بكل اتجاه ، لتبقى تبحث عن ذاتها العاجزة المنطفأة:

أبحثُ عنك الآن

في نكهةِ التبغِ أراك مُنهكاً ،

وأرتضيكَ عاجِزاً عن البكاء.

١- ينظر: المرايا والدخان: ٤١
٢- أنسنة الشعر: ٦١
٣- الأعمال الشعرية: ١٥٥/٢
٤- خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: ٣٠٦
٥- ينظر: المصدر نفسه : ٣١٦

فراشةٌ من الزجاجِ في يديكَ

والجليدُ متكا،

وبابك الذي بنيت، موصدٌ، كما تشاء.

معذرةً إذا إنتصبتُ واقفاً دونك أو مودعاً،

فوجهك الذي حملتُ مطفأٌ

شهِقتُ فيه مرةً... ومرةً

فما أضاء[1] .

تنطوي القصيدة على تشتت واضح في ذاته يبتدأ من العنوان، فالعزلة تكون (مكانية وروحية) وتؤثرها الذات للهرب من واقع مؤلم يفرض هيمنته عليها، فهو إذ يتحدث اليها بأسلوب حوار دافئ بينه وبين نفسه يستعمل زمن الحاضر (الآن) في محاولة لتكثيف الصورة الشعرية الدالة على القلق والارتياب فيظهر هذا القلق في انهماكه بالتدخين وعجزه عن البكاء ، و(فراشة الزجاج) وهي نوع من الفراشات تكون أجنحتها شفافة تشبه الزجاج أو المرايا دلالة على القوة والصمود التي تحملها هذه الذات ، والمرايا رديفة البحث عن الحقيقة ،فهو رغم امتلاكه لهاتين الصفتين إلا إنه يخشى التحرر من واقعه لخوفه من بطش الآخرالذي أشار إليه بمفردة الجليد دلالة على القسوة والشدة.
إن الإثارات التي يستعملها عندما يشكل مشاعره في صوره ماهي إلا محاولة لتنسيق مشاعره من خلال ما تثيره هذه الصورة[2] ، وهذه الصور المتعددة التي قدمها في نصه هي محاولة لإيصال المعنى للقارئ لجعله يعاني الشعور ذاته، فهو حين يودع (الوجه الذي يحمله) يوصل للقارئ المعنى القار في خلده من كونه أصبح كائناً متلاشياً ومشتتاً ، و بات وجهه مطفأً في دلالة على فقدان الأمل والشغف بالحياة فهو مثل الميت رغم محاولاته العديدة لبث الحياة فيه(مرةً... ومرةً) ولكنه لم يستجب، فيرتدي الموسيقى ليَخلَقُ أملٌ آخر يواجه به هذا التشتت:

لأنه ينسجُ من خيوطهِ الوهمية

حُلته السوداءَ كي يسترَ هذا الليل.

لأنه بغير جذر وبلا هوية ،

يُحوجني سماعُه

لأن أكون عارياً ،

---

[1]- الأعمال الشعرية: ١٠٨/٢
[2]- ينظر:الشعر العربي المعاصر: ١٣٦

ونائياً

بغير إرثٍ وبغير بيت[١] .

تعمل الموسيقى على حمايته من ضياعه الوجودي ،ويكشف عنوان القصيدة –باخ – عن مدى تأثيرها بطريقة كتابته للقصيدة ، فهو يكتب مثل الذي يعزف على وتر الكلمات ، وقد يكون العنوان دلالة على تقمصه تلك الشخصية الموسيقية قناعاً يمارس من خلاله مهمة إصلاح العالم/ الليل من خلال موسيقاه، وإيجاد هوية تروف شق الضياع والتشتت الذي يعيشه، فإن حالات الإنطواء تستدعي التعلق بشيء ما[٢] ، لذا هو يلجأ إلى الموسيقى لكي يتعرى من شوائب هذا الواقع والسلطة والحروب التي تمارس تأثيرها الأكبر على الجسد، ويحتاجها لينأى بغير تاريخ يقيده أو وطن يحن إليه، فالانتماء للموسيقى دلالة واضحة على رغبته في الانتماء إلى الحياة البسيطة بلا صراعات أو نزاعات:

في الشاحنةِ شبابٌ مُكتهِلٌ

يختلِسُ النظرَ إلي.

يكترثُ بأسئلتي ويوارب ُ.

-من أنت؟

-دخان

-ومدارُكَ؟

-هذا الجبلُ وهذا البحرُ

وبينهما ((ناسُ الغيوان))

عائلتي في التجوال،

وبيتي في كل مكان[٣] .

يرسم النص مشهداً درامياً في مكان مغلق -الشاحنة- أراد به الحياة الخانقة التي يتقاسمها مع شباب مكتهل ، في مفارقة ترسم صورة للشباب المتعب المتلاشي،فالمكان الضيق مثل الشاحنة يكون إنعكاساً للخوف ،الخوف من السجن أو الخوف من التيه في عالم من دون علامات ، والحيز المكاني الذي يعبر في المقام الأول عن مصير الذات الملقاة في صحراء

---

[١]- الأعمال الشعرية: ١٦٩/١

[٢]- ينظر: أزمة الهويات –تفسير تحول ، كلود دوبار ، تر: رندة بعث، المكتبة الشرقية، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٨ : ٢٩٦

[٣]- الأعمال الشعرية: ٣٥٩/١- ٣٦٠

العالم حيث لا يكاد يسمع صراخها ، هذا المكان يعكس أيضاً الحالة الإنسانية المعذبة[١] ، ثم يتحول السرد إلى حوار يدور بين الطرفين- الشباب المكتهل والشاعر- فيسألوه (من أنت؟) فتكون إجابته (دخان) دلالة على التشتت والإحتجاج ، فهو المحتج على هذه المرحلة ،غير منتمٍ،مشتت في دوامة هذا الواقع، وهذا هو فعل الدخان[٢] فالمفردة توحي بالغموض الذي وظفه في النص ليدل على التشتت والنظرة السلبية للذات ، لا يجد مكاناً يجمع شتات بؤسه، فلا أرض ولا مستقر،ومع إحساسه باللاإنتماء والتشظي يستعير لذاته هُوية (ناس الغيوان)[٣]، فباستعارته لهُوية هذه المجموعة وإحساسه بانتمائه الفكري إليها مع ما يحيطها من غموض وحاجة إلى التأمل فيها لتأصيلها وكشفها، أراد أن يصور الحالة النفسية المشتتة التي يمر بها في حياته والمنهج الذي ينتمي إليه والمشابه إلى حدٍما المنهج والمسار الذي اتبعه (ناس الغيوان) إذ اتخذوا من التجول في الأرض والإنشاد وظيفة للتقرب من المظلومين سياسياً ، والاندماج مع الهم الاجتماعي العائد إلى هيمنة السلطة ودكتاتوريتها ، مع إحساسهم العام بعدم الانتماء إلى مكان محدد ، فمدارهم الجبال والبحار، وعوائلهم تتآلف مع التجوال ،هم الفئة المسحوقة المهمشة والمستلبة، وهذا ما جعله يستشعر بالإنتماء إليهم فهو المشتت صاحب المنافي المتعددة والتجوال المستمر، يحترف الشعر لإيصال صوت المظلومين والتحدث عن معاناتهم كما يحترف ناس (الغيوان العزف) لنفس الغاية ،ويوظف شخصية موتسارت ليرسم لوحة من التشتت والغموض:

موتسارت يلونُ بالفرشاة

وجهي باللون الساخط

لايتركُ أثرَ بلادٍ غدرت،

أو حلمٌ مات.

ويوزعُ آخر قُداسٍ

في القبو الرطب،

يحاول كسبي لخيولِ بلادٍ أخرى،

ولكني أسألُ عن بلدٍ باللونِ الأسود[٤] .

يتمثل الغموض الشعري باستعارة العوامل المؤثرة على الشاعر، والمعبرة عن معاناته وآلامه ، والأثر الذي يمثله (موتسارت) يعود إلى موسيقاه ذاتها التي تقوم بفعل التغلغل إلى

---

[١]- ينظر:شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، بطرس الحلاق،روبن أوستل،شتيفن فيلد، تر: نهى أبو سديرة، عماد عبد اللطيف،المركز القومي للترجمة، الجزيرة- القاهرة، ط١، ٢٠١٤: ١٨

[٢]- ينظر: المرايا والدخان: ١١

[٣]- هي فرقة موسيقية مغربية تأسست في ستينيات القرن الماضي في الدار البيضاء ، وتعد فرقة روحية للنغمة الشعبية المتماوجة مع المواضيع ذات البعد الروحي الذي يلمس القلب فيكون الانسان معها تارة حزيناً وأخرى قوياً سعيدا ، للإستزادة ينظر: موقع ويكيبديا الألكتروني

[٤]- الأعمال الشعرية: ٥٣/٢

اللاشعور،ليتحول الرضوخ إلى سخط ، والانتماء إلى اللاإنتماء، ونلحظ جهد الشاعر لتأكيد صراعاته من خلال إستعماله لألفاظ (آخر قداس، القبو الرطب، يحاول كسبي) فالقداس رثاء للوطن ، وفي (القبو الرطب) دلالة على المنفى[١] ، إذ يصور حالة العزلة والتشتت في قبو الغربة المظلم الرطب والخيول دليل شجاعة وفروسية ، وهذا البلد الغادر خسر الشجعان من أبنائه الذين هاجروا لبلادٍ أخرى ، ولكنه يبقى يبحث عن بلده الأسود ((وهو لون التشاؤم والألم والعذاب والمعاناة والكآبة تراكم المشاعروكل مايستكره))[٢]، فالقصيدة وصف للحالة التشاؤمية التي كان يعاني منها الشاعر في منفاه وما عاناه من تشتت يتضح في رغبته يمحو آثار وطنه من ملامحه تارة وبحثه عنه تارة أخرى، وهذا التشتت هو نتيجة الصراعات التي مرت بالوطن، وألقت بظلالها على أفراده فجعلتهم يعيشون حالة السوداوية هذه، لتتحول سنينه تساؤلاً وارتباكاً حتى تعتم الروح وتتلاشى:

ما الذي أستعيدُ من الأمسِ؟

لا شيء.

هذي سنينٌ تمرُ على حافةِ الكأس.

إني مدينٌ لصمتي،

وحاشيتي قنواتٌ ركدن،

وأسيجةٌ تتآكل تحت المطر.

وأنا معتمٌ كلحاءِ الشجر،

وعميق[٣] .

تظهر المجانسة بين التمرد والاستسلام ،فهو تارة الثائر بوجه الحياة المغامر في تفاصيلها، وتارة أخرى المعتزل المراقب بصمت ، ويشكل عذاب المنفى وخرابه النفسي والفكري من الثيمات الأساسية في قصائده ،وفي تأملاته يقف متفرجاً على سني حياته وهي تسلب منه وتتشابك مع المجهول، وقصيدته تعكس عجزه وضياعه وصمته وما ينطوي عليه من سلبية وهي تعكس الانتظار والترقب وغيظه المقموع ، فيأتي التساؤل مشوباً بالخوف من الماضي ومن الحاضر، فيكشف عن وطأة الزمن عليه. إن الإنسان ابن واقعه يؤثر فيه ويتأثر به وعندما يصبح هذا الواقع موضع للتساؤل من قبل الفرد وعندما يكشف زيفه تبدأ مرحلة الضياع ويدرك انفصاله عنه ، ويحس بالهوة الفاصلة بينه وبين غيره[٤]

---

[١]- ينظر: البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢١٨

[٢]- المصدر نفسه:٢١٣

[٣]- الأعمال الشعرية: ٣٩/٢

[٤]- ينظر: الإغتراب في الشعر العربي الرومانسي: ٤٦

يضم المقطع عملية تخيل دقيقة وغامضة تقوم على رسم صورة محاكية للشيء الذي يريد وصفه أو التعبير عنه[1]، فيستعمل استعارات عدة تعطي دلالة التشتت لديه مثل (قنوات ركدن) و (الأسيجة المتآكلة) ثم التصريح بهذا التشتت بقوله (أنا معتم) في إشارة إلى انطفاء جذوة الأمل والحياة في هذه الذات (ولحاء الشجر) هو أنسجة الشجرة الميتة ، ويرمز به إلى ذاته المتهالكة في دلالة على الانكسار والتشتت:

لم أكن عظة لأحد

لم يكن وطني، يوم غادرتُ ،غيرَ القميص الذي أرتدي

واحتمالات أن لا أعود.

ولأن الذي أستعيدُ شظايا

أحاولُ ترميمها فتعودُ مرايا

توزع وجهي في كل وجه![2] .

يشكل النص مرثية جماعية أهداها الشاعرإلى محمود جنداري وإلى أبناء جيله، فهو يصف نفسه بالتشظي الذي تكشفه مرايا الذات ، ويستعير دلالة الزجاج المِكسور للتعبير عن حالة الارتباك والتبعثر التي تعيشها الذات العراقية بين الموت والاغتراب .هو الهارب من مكانه ومن ذاته ولكنه كلما ابتعد عنها ظهرت له متشظية ومتكسرة، فالأفراد ترتبط هوياتهم بهوية المكان الذي ينشأون فيه وحين يكون المكان متعرضاً للتهميش فأفراده مهمشون كذلك وتستقر هويتهم باستقرار هوية المكان الذي يعيشون فيه فتتمزق وتتشظى بتشظي المكان[3]، يتعامل النص مع الوطن/ المكان بمفهوم الخسارة والفقدان ، حيث لم يمنحه سوى الألم والحرمان هكذا عاش فيه وهكذا خرج منه، وما بين البقاء والرحيل كان صوته صادحاً في الكشف عن التشتت وشعوره بخذلان الوطن والأرض :

إني وريثُ أبي الذي غدرت به امرأة

فشاء أن لا أولدَ من سواها،

فأنا سليلُ كراهةِ الأبوين..[4]

يصرح عن نفسيته المأزومة من خلال تشبيهات خاصة وعميقة المعنى ،يربطها بأصل مجيئه للعالم إذ يشبه العلاقة التي أنتجت هذا الفرد وهذه الهُوية بعلاقة كراهية واستبداد، فالمرأة صورة للمدينة أو الأرض توحي به دلالة الخصب والإنبات الذي تشتركان فيه، و المرأة صورة

---

[1]- ينظر:التخيل نظرية الشعر العربي، صلاح عيد، مكتبة الآداب-ميدان الاوبرا-القاهرة، د.ط، د.ت : ٣٤

[2]- الأعمال الشعرية: ١/ ٣٠

[3]- ينظر: هوية المكان وتحولاته في رواية طوق الحمام: ٣٢

[4]- الأعمال الشعرية: ١٦٧/١

عن الوطن فكلاهما حضن دافئ وملاذ آمن ، وهذا الوطن/ الأرض التي خذلت أباه فجعلته يعاني من الفقر والقمع والتهميش ، ولكن رغم معاناته لم يتخلَ عنه وآثر أن يربي أولاده على أرضه ، وهو وريث أباه في الألم والمعاناة وخذلان المرأة/ الوطن وتهميشه لشعبه وأفراده، وهذا التهميش أدى إلى فقدان الشعور بالانتماء ومن ثم فقدان الوعي بالهُوية ، لأن وعي الهُوية لا يتعين إلا بوعي الانتماء[١]، لذا كان الانتماء صعباً في ظل تردي الأوضاع وغياب الاستقرار وتكميم الأفواه ، كل هذا مازال مترفعاً عن أن يكون تابعاً لأي جهةٍ كانت:

لا يشغلني شغفٌ بمتاع السوق.

مضطربٌ من فرط الفزعِ،

أتقاطعُ والمجهولَ كما يتقاطعُ جسدٌ مع سيف

والريحُ شهادةُ وجعي![٢] .

يترفع في نصه هذا عن الاندماج في الأيديولوجيا التي سادت مجتمعه ،الدينية والسياسية والحزبية التي يصفها ب(متاع السوق) وكأن الفرد يختار منها ما يلائم نفسيته وحاجاته دون أي مصداقية للمعتقد، فتتجلى حساسيته إزاء الظواهر السياسية أو الاجتماعية وموقفه حيال النفاق السياسي والاجتماعي في تذمره المستمر من التلون والأنانية ويحتج على ذلك بالسفر والاغتراب على الرغم من إحساسه الواضح بالتشتت واللاانتماء[٣]، ويعيش مضطرباً ليجد نفسه يتهاوى نحو المجهول في هذا الوطن المعتم المحكوم بأمزجة متباينة، وهذا أثر على هُويته ، كون عملية بناء الهُوية تؤثر عليها وبشكل كبير جميع التباينات والأمزجة السائدة [٤] ، وتدفعه الريح نحو الوجع، دلالة على أنه في دوامة كونية لا تهدأ ، فهو بين الرغبة في الاقتراب والابتعاد، الحلم والخذلان ،الأمل والانكسار، ومن ثم تسلمه للفراغ وخواء المشاعر، وهذه الدوامة الكونية دلالة على اضطراب المشهد وحركيته[٥] ، ثم يمثل حالة التشتت بلجوئه إلى المتكهنين دليل على الخراب الذي يعيشه حيث شكل لديه أزمة وهاجس من المجهول:

فلتطمئني ، آه ، يا بصارة الخرائب

أيتها العاقرُ والعمياء، والخرساء

مثل أبي الهول.

---

[١]- ينظر: الهُوية العربية صراع فكري وأزمة واقع، عهد كمال شلغين ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة- دمشق، د.ط، ٢٠١٥ : ٣٠

[٢]- الأعمال الشعرية: ٧٨/١

[٣]- ينظر:أنسنة الشعر: ٧٢

[٤]- ينظر: سوشيولوجيا الثقافة والهوية، هارلمبس وهولبورن ، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق- سورية، ط١، ٢٠١٠: ١٥

[٥]- ينظر: إضاءة التوت وعتمة الدفلى: ١٧

فقد رجعتُ عارياً مثلما ذهبتُ،

حاملاً ذات اليقين

أنني لا باحثاً سدى ولستُ هارب.

زوادتي تحملُ ذكرى ما رعيتُ من ثمارِ اليأسِ[1].

يمثل النص الأزمة التي يعيشها المثقف في الوطن وما يعانيه من تشتت أداره بصوت الأنا معبراً عن علاقة الإنسان المأزوم ، وتوكيده الشخصي على تشرده ،فهو يخاطب امرأة كاهنة أو متنبئة أطلق عليها تسمية (بصارة الخرائب) تتنبأ وتتكهن بالمصائب والكوارث ،وقد تنبأت له بمصيره المجهول وعودته إلى موطنه ، فعاد عارياً مثل ما ذهب ((ويتضمن معنى العري هنا العودة إلى الجذور ، وإلى البدايات الأولى... كما يعني العري أيضا تعامل الشاعر مع الأشياء في تكويناتها الأولى))[2] ففي عودته الأولى من منفاه الأول بلغ به شعور اليأس والتشتت حداً عجز معه أن يتحمله، وكأن رماد الخيبة قد غطت لهيب عنفوانه، هو الباحث عن الحقيقة في مواجهة معها الآن ، حيث لم يحمل معه في غربته سوى يأسه وتشتت روحه وأوجاعه ماذا يخشى أكثر، وتشكل إستعادته لصور الوطن وتفاصيله المؤلمة حالة من التشتت والتزعزع النفسي ونموذج يعبر عن الهُوية غير المستقرة:

أستعيدُ الحمار الذي يصلُ الريف بالحاضرة

في زريبة جاري.

أستعيدُ الذي إقتيد فجراً

وبادلني النظرةَ الساخرة.

أستعيدُ الملاكَ الذي هو صنو الفراغ،

فقريباً تبعثرني الأسئلة [3].

تتمحور معاناته حول الهم السياسي فيكابد أزمته الوجودية وهامشيته الذاتية ، ويغوص في التجربة العراقية ليخلق بناء درامي قادرعلى إيصال الفكرة والشعور للمتلقي ، فيحاول استعادة الوقائع ليقدم مجموعة من الصور الكئيبة المخيفة (البلاد التي تلوح مثل حبال الغسيل) دلالة على التأرجح والتمايل وعدم الاستقرار (الكلاب التي تنبش الأتربة عن بقايا قتيل) دلالة على انتشار المقابر وكثرة الاغتيالات وإخفاء الجثث (الحمار الذي يصل الريف بالحاضرة) دلالة على عودة المجتمع إلى عهود التخلف والبدائية وعدم وجود مظاهر للتطور والرُقي (الذي

---

[1]- الأعمال الشعرية: ١/١٠١- ١٠٢

[2]- المرايا والدخان: ٥٤

[3] الأعمال الشعرية: ١/ ٢١٤- ٢١٥

إقتيد فجراً وبادله النظرة الساخرة) دلالة على مشهد الاعتقالات المخيف الذي كان مألوفاً آنذاك ، وهو من بين هذه الصور الرمادية يتطلع لاستعادة (الملاك) / قرين الشاعر أو ذاته المسلوبة ، الملاك دلالة على البراءة والروح النقية التي فقدها في عتمة الواقع السلطوي المؤلم لتحل محلها الروح المأزومة المشتتة والمبعثرة، وإن البحث عن وجوده يتحول أحياناً إلى مطاردة في حقل أجرد لا يرى فيه غير عدو ماثل في عداوته[١] ، وفي هذا البحث يلجأ إلى الذاكرة فيزودنا بوقائع تمثل خبرته الخاصة ، تأخذنا إلى عالم يتأرجح بين الواقع والوهم ، واقع ماضٍ لا سبيل إلى استرداده والتجليات الشعرية المستعادة من ذلك الواقع[٢]، ويسيطر عليه شعور الخوف والتوجس في نتيجة حتمية لهذا التأرجح:

عربيٌ أنا

وثيابي غريبة

والذي بيننا

حيثُ تزدادُ أنت إحتراساً

لفائفُ تبغٍ وريبة.

وكلانا احتراس.

فلتخف يا أخي فأنا خائف [٣] .

يستعمل ضمير المتكلم أنا ليسرد سيرة شخصية موجزة في محاورة مع شخص مجهول قد يكون قرينه، في محاولة لفهم شتات شخصيته المضطربة ، فهو العربي ذو الثياب الغريبة وكون الثياب تمنح مرتديها علامة أو دلالة على انتمائه وهُويتهُ إلا أن عدم معرفته لما يرتديه يوحي بعدم منحه تلك العلامة أو الدلالة ، فهو مشتت مرتبك حتى في لباسه لا يعرف إلى من ينتمي وإلى أين ، ما يربط بينه وبين ذاته أو هُويته ليس سوى (لفائف تبغٍ وريبة) وكلاهما محترسان خائفان من مجهول قادم ، فلقد لازم الشاعر وذاته شعوراً غامضاً بالقلق والإستيحاش أحال حياته إلى لحظة ترقب مخيفة[٤] ، لتتحول كل جزئيات الوطن إلى أتباع للسلطة:

من رأى المستحيل

في البلاد التي غدرت ،

غادرت باب بيتي ،

---

[١]- ينظر: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه:١٨٧

[٢]- ينظر: أنسنة الشعر: ٥٦

[٣]- الأعمال الشعرية: ٢٢٤/١- ٢٢٥

[٤]- ينظر: رهانات شعراء الحداثة: ١٠٢

من رأى في الضفافِ الوسيعةِ أوجهها

في الضفافِ الوسيعة،

لم يمت مثل موتي.

إنها وقع صوتي في الخطواتِ السريعة

... وهي الضائعون [١] .

ينتمي الشاعر إلى مجتمع لا يمثل أشواق الإنسان الروحية [٢] فتغدره البلاد ويرحل عنها ولكنه يبقى يقاسي مرارة غدرها وآلامه في منفاه الواسع ، ويكرر عبارة (في الضفاف الوسيعة) مرتين ((ليؤكد حقيقته لديه ولرغبة منه أن يكون عالقاً في ذهن المتلقي))[٣] هذه الضفاف على اتساع مداها لم تمنحه الأمان الذي يبتغيه ليظل مشتتاً خائفا ،هذا الخوف والارتياب واضح من وقع خطواته السريعة دلالة على الهرب من مجهول ، ليقطع السرد بثلاث نقاط إذ ثمة مسكوت عنه يتحرج من ذكره، فيكون الضائعون خاتمة لوجوه بلاده الغادرةالتي تخلت عن أبنائها مشردين بين المنافي ، حيث الانسحاب من المجتمع والوطن الذي يؤدي إلى الشعور بالوحدة والوحشة ، وإن سيطرة الخوف والتوجس من هذا الوطن بكلِّ ما فيه تدفع بالإنسان المثالي إلى الركن النائي [٤] وتدفعه نحو الرفض والنقمة على الحياة التي فُرِضت عليه:

تارةً يحتمي بالدخان

وأُخرى برائحةِ الخمر...

((... ما استوفت الحرب حقَ الرهانِ لكي أحتمي))

واليدُ الناحلةِ

أسقطت زهرةً ذابلة!

كلُ مقهى قريبٌ[٥] .

يجنح الشاعر غالباً للحديث عن ذاته بأسلوب السيرة الذاتية ويغوص في عمق الذات المشتتة فيضخ صوراً وتشبيهات بهذا التشتت التي يعانيه ، فالدخان يوحي بالمكان الذي يلجأ اليه والذي يوسع من تشظي الذات وسلبيتها ، واليد الناحلة هي الجماعة التي ينتمي إليها الشاعر

---

[١]- الأعمال الشعرية: ٨٨/٢

[٢]- ينظر: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه: ١١٩

[٣]- البنى الاسلوبية في شعر فوزي كريم: ١٧١

[٤]- ينظر: المدينة في الشعر العربي المعاصر:٢٢

[٥]- الأعمال الشعرية: ١١١/٢

والمنهكون والمشتتون بفعل العبث الأحمق بأقدارهم وهُوياتهم و(زهرة ذابلة) دلالة على زمن الشباب المنتهك والمشتت كما يوحي الذبول إلى الحالة السلبية التي تحملها الصورة، وتسيطر النظرة التخيلية على فكره فيهرب الوطن ويكذب الدم:

ياوطني الهارب خذني دون هُوية

كشف العرافُ دمي الكاذب.

أتأبطُ شراً،

أبصر، حيثُ مشيت القاتل في جسدي،

وأنا المقتول.

ياوطني الهارب خذني فأنا مثلك هارب[١] .

يقول الشاعر ((قصيدتي لا تحب الوطن ولا تكرهه أيضاً،لأن قصيدتي لا تفهم أي مسؤولية سياسية مفترضة أو واجبة تترتب على كتابتها))[٢] وهو حين يذكر الوطن يترك للقارئ حرية تأويل معناه في نصه إن كان الوطن الجغرافي أو الوطن الفكرة، فيستعمل أسلوب النداء في بداية النص محاولة لجعل المنادى ((طرفاً يقاسمه همومه متعايشاً معه تارة ومتمرداً عليه تارة أخرى))[٣] ويسيطر هاجس الهرب عليه فيكرر العبارة مرتين في البداية والنهاية (ياوطني الهارب) ((الهرب مما حدث ومما سيحدث ، الهرب من ضيق الأفق المسيس...الهرب الفردي من طوق الجماعة غير المنسجمة ، الهرب مما لم يتحقق إلى احتمال أن يتحقق في المجهول))[٤] ، فشخصيته مثل هذا الوطن مشتت تارة فيكون ضحية وتارة يتآلف مع القاتل أي إنه يعاني من حالة عدم تمييز لهُويته وهو نوع آخر من السلبية الذاتية ، فإن إشكالية الهُوية في هذا الوطن تكمن في كونها خاضعة لكل التصورات الضيقة ولشتى الاعتقادات المتحجرة بما يجعلها مرجعية سياسية جامعة[٥] .

يرد الشاعر سبب معاناته إلى هاجس الخوف الذي يتملكه من قمع القاتل حيث يلاحقه أينما حل حتى في جسده ليتخذ الهرب وسيلة للخلاص كما هو حال الوطن الهارب، فالمكان هنا متشظٍ،وحين يتشظى المكان فإنه يكتسب معنى ونظام في سياق هذا النظام ليصبح الجسد البشري بؤرة الإدراك الحسي والتوجيه والمقياس الذي ينظم المكان ،لأنه خاضع لآليات القوة التي تفرض مجتمعة تنظيماً صارماً للمكان[٦] ، وتمثل مشاعر الحزن رديفاً للتشتت وكذلك هو فعل الحياة وأثرها على الذات:

---

[١]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٤١

[٢]- إضاءة التوت وعتمة الدفلى: ١٥٣

[٣]- البنى الاسلوبية في شعر فوزي كريم:١٦٢

[٤]- شاعر المتاهة وشاعر الراية: ٢٠٦

[٥]- ينظر: المواطنة والهوية الوطنية:٦٩

[٦]- ينظر:شعرية المكان في الأدب العربي الحديث: ١٩٩

أنا – هو

علمني أبواي البكاء بغير مناسبة

والطريق إلى التهلكة.

ولكنني لم أغادر،

وقد خانني وطنٌ بين أجنحتي والمدار.

وها هو يسكنُني

كي يراني

وحيداً، هنا، خلف هذا الجدار[1] .

يؤكدعلى فكرة الاندماج بينه وبين الآخر حتى يكونا ذاتاً واحدة ، فهو لم يترك الأمر للتأويل ولكنه صرح به مباشرة بقوله (أنا – هو) فالآخر هو الوطن الذي تنتمي إليه (أنا) الشاعر ((لقد حاول الشاعر تثوير إمكانيات (الهو) واكتشاف لذتها في الوقت الذي عمل على تقويض سلطة (الهم) عن طريق كشف حقيقتها))[2] ، والبكاء هنا قد يكون مبعوثاً من الأسى على النفس والوطن كون الشاعر ترتبط ذاته بالوطن ومحبة الوطن ناشئة من محبة النفس ، والطريق إلى التهلكة هو الطريق المخالف للآخر / السلطة فيؤثر المواجهة على الهرب حيث اتضح له بأن ((مغادرة موطنه ماهي في الحقيقة إلا محاولة للفرار من مواجهة الذات ، فهي سفر خارجي ظاهري لا يفرج الهم المقيم ولا يزيح الكابوس المنيخ))[3] ، وخيانة الوطن له في سياقها الدلالي تكشف عن أنسنة المكان / الوطن الذي ارتضى الخضوع على المقاومة واستحال حضنه الدافئ قتلٌ وتهجير، فالمعنى السياقي أراد أن يوضح العلاقة الجدلية بين الذات والآخر في زمن الشاعر والقائمة على قاعدة غالب ومغلوب ومن دون هذه القاعدة يضمحل الآخر ويصبح عدماً[4] ، ثم يغير زاوية نظرته للمكان / الوطن ، فتغلب عليها النزعة الإنسانية ليبقى الوطن في قلب الشاعر يحمله أينما حل وهذا سبب شعوره بعدم الإنتماء لغيره وشعوره بالوحدة والحنين إليه، فخيانة الوطن له وحنينه هو للوطن جعله مشتتاً باحثاً عن الاستقرار الذي أُستُلِب منه.

---

[1]- الأعمال الشعرية: ١٨٥/٢

[2]- تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي:٤٦

[3]- خطاب الهوية:١٧٤

[4]- ينظر: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه: ١٠٣

عزلة الذات عن وجودها الأني :

تشكل ظاهرة الولوج إلى ماضي الذات وعزلتها عن الحاضر إحدى ظواهر هُويتها السلبية ،واضطرابها الواضح حيث تفقد قدرتها على الاندماج في الواقع واستقرارها لذا تبحث عن حلول و خلاص من صراعاتها الآنية عبر تذكر ملامح ماضيها بما يحمله من شخصيات وأحداث ، إذ تؤدي محاولات تكميم الهوية إلى تهاوي الذات في عزلتها النفسية بعد أن يشل مشاركتها في الحياة فتشعر بخوفها وعجزها وتراجعها فتنعزل وتقل فاعليتها وفي أحيان كثيرة ، بيد أنه لا يمكن النظر إلى إن هُوية الذات المنعزلة تتحقق في الماضي فقط ، بل هي دائمة الحضور في الوجود الإنساني لكونها دافع للبحث عن مستقبل أفضل[1] وعلى هذا الأساس غلب طابع التذكر والعودة إلى الماضي في نصوصه الشعرية ، أراد من خلاله التعبير عن تحدي الذات الموجه للمستقبل ، تحدٍ يكمن في الموازنة بين ما قد صنعته وما يمكنها أن تصنع[2] ، ولكون الماضي بشخصياته وأماكنه يمثل ملجأ النفسية المشتتة بفعل مآسي الواقع، لذا برز تشتت الهوية واضحاً في النصوص التي تحمل سمة التذكر والانعزال عن الحاضر واستحضار صورة الأهل وأحداث الطفولة:

وجهُ أبي هنا ووجهُ أمي

على جبيني زهرةٌ ، يرسمها الساعون في الفجرِ.

تُرى هل وقف النهار

عند خطاهم ، أم ترى استقرت الرياحُ فوق جسدي

واتكأ الغبار.

وسِعتُ ، صارت خطوتي غديراً

لخطوهم، ويقظتي سريرا .

ولم أنم دونهم،

وفوق زندي وشمُ أوليائهم...[٣]

يخلق لنا النص صورة مضطربة عن الذات التي فقدت انتمائها للحاضر فإتكأت على أحداث الماضي وشخصياته بحثاً عن الاستقرار، نظراً للظروف التي عانى منها ومختلف العقبات النفسية والاجتماعية التي حالت من دون اندماجه في الواقع المفروض عليه موضوعياً

---

[١] ينظر:الهوية وقضايا الوعي العربي المعاصر،احمد بعلبكي ....وآخ ،تحرير :رياض زكي،مركز دراسات الوحدة العربية-الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠١٣: ٢٦

[٢]- ينظر: الذاكرة والهوية، جويل كاندو، تر: وجيه أسعد، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب- دمشق، ٢٠٠٩ : ٨١

[٣]- الأعمال الشعرية: ١٨٦/٢ - ١٨٧

وذاتياً[1] ، وقد سعى للبحث عن هُوية مستقرة نسبياً وهذا وجده في أشخاص مرتبطين بماضيه وذكريات الطفولة والصبا ، فكان الاب والأم الأقرب والأكثر تأثيرا على ذات الفرد ومن ثم على تشكيل هويته.

يبرز خلف السياق العام للنص الذي يتناول حالة الموت ومأساة الفراق ثيمة واجب الالتفات إليها وهي عمق تأثير هاتين الشخصيتين عليه ومدى تعلقه الواضح بهما فكل شيء بهما ومعهما جميل ورائق مثل زهرة يهباها إليه – الساعون في الفجر- إشارة إلى نمط الحياة الذي دأبوا عليه ،هي صورة لحياة عصر سابق حيث العوائل البسيطة الباحثة عن لقمة العيش منذ طلوع الفجر، لتهب أولادها حياة مستقرة وهانئة ، ويتوقف الزمن بعدهم وتضطرب الذات وتستقر الرياح على جسده المتعب دلالة على الأسى والألم الذي تمخض عن رحيلهم واختلاف الزمان فهي تقترن بالموت ، وقد تكون تعبيراً عن التجربة المرّة التي يعيشها الشاعر[2]، و(إتكاء الغبار)هو محاولة لأنسنته والتعبير عنه بصفته ذاتا دلالة على سيطرته واحتلاله للمكان فكل ما بعد هذا الزمن هباء من دون قيمة ،فقد أرقه غيابهم وجفاه النوم وهي محاولة من الشاعر لتصوير إضطرابه وعدم استقراره فنراه يحتضن تفاصيلهم ، ليبقى فوق زنده وشم الطفولة ، حيث كان الأطفال يوشَمون لطرد الحسد أو وقاية من الأمراض ويعتبرونه تميمتهم وتعويذتهم ويدل عن بساطة عيشهم والمعتقد الذي يجمعهم ويوحدهم ويكون عنواناً خاصاً لهم[3] ، فيمكن أن نقول بأن إحساس الشاعر بالانتماء كان يتحدد بالآخر المرتبط بالماضي وهذا الاخر كان الأم في مواضع عدة:

عباءةُ أُمي هنا

سلمٌ أرتقي فيه نحو الحضور

فيوجزُهمي؛ أرى وجهها في النشور،

يحدثُني:

((هل رأيت َالتي تُفتحُ أوجاعها؟

كنت- حين إبتدأتُ الرحيل-

مع العشب ِطفلاً ،

مع النومِ حُلماً ، وكنت لقلبي،

---

[1]- ينظر: جدل الهويات في العراق- الدولة والمواطنة، عبد الحسين شعبان، الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت-لبنان، ط١ ، ٢٠١٠ م ــ ١٤٣١هـ: ٩٤

[2]- ينظر: الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، نعيم اليافي، تقديم: محمد جمال طحان، صفحات للدراسات والنشر، سوريا- دمشق، ط١، ٢٠٠٨م: ١٧٣

[3]- ينظر: الوشم رمز تراثي محمل بدلالات تختصر الحضارة الإنسانية ، محمد الجويلي، موقع العرب الألكتروني، https//alarab-co-uk.cdn.ampproject.org/c/s

فأين انتهت طرقاتُ العبور ؟!

إلى الموت !! لا

فأنا الميتة [١] .

يوظف شخصية الأم وما يحمله من شعور الارتباط بهذه الشخصية ليحشد للمتلقي بواعث الاضطراب المتمخض عن فقدانها ،إذ تتخذ الأم مكانة سامية في نظره ، فهي لم تكن امرأة عادية في قوتها وصلابتها ومقدرتها على تجاوز المحن ،ناظراً إليها بوصفها مصدراً للأمان والاستقرار والقوة في حياته، فيصف كل جزئية متعلقة فيها مصدراً للنجاح حتى أبسطها، هي تميمته التي ترفعه إلى الأعلى وتدفعه نحو الوصول ، هي منبع ذاته الصلبة وهُويته المتحدية ، ويحمل للمتلقي شعوره بتأنيب الضمير إذ كان سبباً لمعاناتها وأحزانها فتكون الحياة بعدها كآبة ووحشة يشير إليها بلفظة الموت ،إذ إن السطوة التي يمارسها الموت على الذات تأكيد على ضياع الأخيرة واضطرابها وقهرها [٢] .

يحاول من خلال القصيدة رسم صورة واضحة في مقارنة لحالته بين الماضي والحاضر، وهذه المقارنة تؤكد على تشتت الذات وتشظيها بين زمنين لا تملك قدرة الارتباط بأحدهما:

هنا، حيث خلفت عشرين عاماً

أرى الكلب مازال يسكن حفرته الباردة.

وهذا الدجاج ، كما كان ، لا يتوقف عن نقر جبته الخالدة

وأمي ، على عهدها في ثياب الحداد .

وعبر الجدار تحاول ذاتُ الصبية

مواراة زنبقةٍ في السواد.

وفي الليل يترك فانوس أمي

على سقف غرفتنا هالةً من دخان...

وذات الكوى تتوارى بطيئاً ،

وعينانِ في الركنِ تأتلقان!!

وحولهما أتبينُ ذات الإطار المهشم ،

---

[١]- الأعمال الشعرية: ١٥١/٢

[٢]- ينظر: تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر،عبد الناصر هلال، مركز الحضارة العربية – القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥: ٦٠

ذات الإطار[١] .

تحمل عتبة القصيدة عنوان (البيت) فهو حاضر في أغلب قصائده وهذا يدل على إن هذا المكان محفور في ذاكرته وكأنما وجوده تكون على أساس هذا المكان بكل ما يحمله من ألفة ودفء فالبيت هو ((واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية))[٢] ، وإن استعادته لهذا المكان هو محاولة لاستعادة هويته الأولى التي ضاعت في زحام الصراعات والنزاعات التي عانتها الذات ((فلقد صار من الشائع ربط الهُوية بالماضي وبما تم إنجازه فيه كما أصبح من المألوف ربطها بما هو ثابت لا يقبل التحول ولا يُراد له أن يتحول حتى لا تندثر معالم ما يحفظ للذات استمرارها عبر الزمن فلا تدنس أصالتها وصفاؤها بفعل تحديات الحاضر))[٣] فيرحل في فضاء التذكر إلى بيت أهله بتفاصيله القديمة وما تعج به من حياة (الكلب الساكن في الحفرة، الدجاج الصاخب ، أمه ، الصبية ابنة الجيران وهي تضع زهرة الزنبق في شعرها الأسود) فيتحدد الفضاء من خلال الماضي الذي يتشكل بتفرع الثنائيات الممتدة والتي يشي بها ألق ذلك الزمن[٤] ، ويمثل فانوس أمه في النسق دلالة على النور الذي منحه وجودها في حياتهم ،فهو يسترجع أحداثاً من الماضي ليجعلها شموساً لإضاءة عتمة الحاضر وعوالم الذات الداخلية ،فاعتماد الأماكن القديمة وماجرى بها من أحداث ما هو إلا دليل على استناد الذات في مسيرها إلى يقين حميم[٥] ، لكن إحاطة النور بالدخان دلالة على تغير حالة الذات من الوضوح والاندماج إلى الضبابية والظلمة والانفصال، حيث يصورالذات بالاطارالمهشم الذي يضم الصورة العذبة للماضي دلالة على حالة التشظي والضياع.

يشهد سيرورة الأحداث واحداً تلو الآخر كأن الحياة مراحل، تموت مرحلة لتولد منها أخرى، فالدخان يغلف الرؤيا ويضببها وإن فضاءه هو بدء الخليقة حيث تنغمر الذات بتيار الرؤية اليومية لحياة الأشياء وهي تتداخل وتمر وتتصارع وتتكون وكأنها تخلق نفسها بنفسها في دوامة لا تنتهي [٦]، فتغدو الذاكرة مليئة بصور أماكن وأحداث لا تنتهي قد تختفي بفعل صراعات الحاضر لكنها تبقى حية في ذات الشاعر/ الإنسان، لتبقى الذات المشتتة أسيرة هذا الماضي وتفاصيله:

ثم تكتبُ عن رفقة تحت راية

وعن غيمةٍ للطفولة بيضاء،

عن زرقةٍ في جناح الحمام،

وتباهي بأقنعةِ الوجه وجهاً أضعتَ وراء الزحام!

---

[١] - الأعمال الشعرية: ١/ ١٢١-١٢٢

[٢]- جماليات المكان، غاستوف باشلار، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٤م – ١٤٠٤هـ :٣٨

[٣] - بول ريكور، الهوية والسرد:٣٠

[٤]- ينظر: الشغف بالهوية دراسات ومقالات في السرد: ٢١٥

[٥]- ينظر:المرأة والسرد، محمد معتصم ، دار الثقافة – الدار البيضاء، ط١ ، ٢٠٠٤ :٧٤- ٧٥

[٦]- ينظر: المرايا والدخان: ٣٢

لم تعد تكذب الآن

أو تكتبُ

لم يعد من رفيق

وأختفى وجهك الآخرُ

أيها الشاعرُ! [1]

يستثمر الأقنعة للمقارنة بين الماضي والحاضر فيكون شعره باعثاً للشجن وهو يكتب مرثية الطفولة والشباب وكأنها رحلة في الذاكرة ((فمن ناحية يوجد الانطباع الآن ومن ناحية أخرى فهو يمثل أشياء ماضية مازالت في ذاتها موجودة في الذاكرة))[2] ويستذكر رفاقه الذين حملوا راية الحداثة في الشعر، حيث كانت مرحلة ناصعة البراءة حتى لاحتها أيادي الواقع القاسي ويصفها بزرقةٍ في جناح الحمام دلالة على الإصابة التي جرحت تلك الطفولة البيضاء والناصعة ، ليغادر هذه المرحلة منتزعاً قناع الطفولة الذي يباهي به أقنعة المراحل اللاحقةبوصفه أكثر أقنعتهِ نقاءً وصدقاً، فتختفي بعدها الرفقة ويختفي وجه البراءة والأمل ويحل محله وجه القلق والتشتت والارتياب، ويمضي باحثاً عن ذاته العاجزة ليصرح بانعزاله عن حاضره ويتخذ أجنحة الملاك للرحيل إلى الماضي:

أنطلقُ بأجنحةِ ملاك

في الأفقِ الرائقِ لأراك

بيتاً لم يهدم بعد ، ونخلاً لم يسجن

ومياهاً تملأها الاسماك،

فأخفَ إليك.....[3]

يستعير أجنحة الملاك للدلالة على حالة النقاء والصفاء التي تحيط به عند الرجوع إلى الماضي ، ففي دفء الذكريات المستعادة وما يصحبها من نشوة تستعيد الأنا هُويتها وتعيد بناءها وتكوينها[4] ، ويكون أفق الذكرى رائقاً حين يسترجع المكان، فالبيت هو بيت الطفولة والنخل دلالة الوطن، والمياه دلالة على الحياة ،حيث يتذكر الصورة المشرقة التي كان عليها البيت بوفرة خيراته واستقراره ، إذ تؤثر سيرة الأمكنة على مزاجيته كما إنها تشكل مرجعاً لهُويته ، التي يجهد في الكشف عنها وإبرازها في شعره ، وهذا الجهد لا يشكل سلوكاً مُعيباً عليه أو

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٣١٦/١

[2]- الزمان والسرد- الحبكة والسرد التاريخي ، بول ريكور، تر: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط١ ، ٢٠٠٦: ٣٣/١

[3]- الأعمال الشعرية: ٢٢٢/١

[4]- ينظر: سرديات ثقافية: ٩٠

مثيراً للاستغراب إذا كان بصورته الإيجابية التي تعمق شعوره بالاستقرار والانتماء، لكن حين يكشف عن الوجه السلبي لها فهو يساهم في تراجعها ونكوصها ويزيد من الشعور بالاستلاب والتشتت الذاتي[1]، وهذا تأكيد على كون الهُوية متغيرة بتغير الأزمنة والأمكنة خاضعة لسلطة الظروف ، وإن علاقة الذات بالبيت ورمزية–النخل والماء- علاقة خاصة كونها كانت شاهدة على التحولات في هُويته وهُوية مجتمعه بفعل الآخر الذي توحي به دلالتي (الهدم و السجن) إذ مثلت خلاله حالة الاسترجاع الذاكراتي للشاعر ((مرجعية مركزية تمثل علاقة الذات بالواقع أي علاقة تكوينية وجودية ،ترتبط بعفوية المكان وارتباطه بالزمن الآني ، إذ تحاول الذات أن تتموضع في عملية الاسترجاع بالذاكرة وإنتاج فضاء المكان بكل تجلياته ومتغيراته المؤلمة المرتبطة بحاضر الذات وواقعها))[2] كما يمثل هذا النص و النصوص التي تماثله نوعاً من الخطاب الموجه للمكان والطبيعة المحيطة به ومعانيه تفصح عن الرغبة في استعادة الماضي والهرب من الحاضر بسبب المعاناة القاسية التي عاشها في أماكن تعددت أنماط الحياة فيها [3]،حتى هرست عجلات الحاضر ومنافيه احلام الذات وتطلعاتها:

ما من قطرات ندى في اللمس

بل عرقٌ يقطر بين الجلد وبين ردائي

ثم يجف بفعل الشمس!

أيامُ صباي،

ايتها المدنُ الضاريةُ الشرسة ،

أعرضها بين يديك على طبقٍ

دامٍ.

ما من عام

إلا وانتظم كسنٍّ في العجلات المسنونات المفترسة

في القبو الأعظم[4] .

ترسم القصيدة صورة لمعاناة الشاعر في سنين الغربة التي يصفها بعبارة (القبو الأعظم) إشارة إلى العتمة التي تسود هذا المكان – المنفى- إذ من خلال إرتباطها بالنسق

---

[1]- ينظر: الشخصية العراقية: ٢٣٠- ٢٣١

[2]- خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: ٢٩٧-٢٩٨

[3]- ينظر: أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، مرشد أحمد، دار الوفاء للطباعة والنشر- الاسكندرية،ط١، ٢٠٠٣: ٤٨

[4]- آخر الغجر، فوزي كريم، المدى للثقافة والنشر، سورية- دمشق، لبنان- بيروت، العراق- بغداد، ط١، ٢٠٠٥ : ٢١

الشعري تشير إلى تحول ضوء الصبا إلى عتمة في أعوام المنفى ، فلم يعد يتلمس قطرات الندى إشارة إلى افتقاده للعذوبة ، حيث للنداوة قوة إيقاظ ، لأنها تتصالح مع صور مباشرة أخرى تمتد وتنتشر وتستولي على الطبيعة بأكملها[١] ، وأي شيء غيرها هو النقيض أو الضد، وتتحول صورة الرقة والنقاء والتناغم مع الطبيعة الهادئة التي تبعثها دلالة الندى إلى تعب ومشقة ولهاث وراء الزمن الهارب تبعثه رمزية العرق المنساب بين الجلد والرداء، والهرب من هذا الزمن الذي تقاسمته المدن ، إذ لم يعد ينعم بالاستقرار حتى كأنه قدم أيام هناه وليمة تقاسمتها مدن افترست أحلام ذاك الزمان حتى مرت أعوامه بعد تلك الأيام مطحونة في عتمة المنافي، وتبرز الصورة المكانية وراء الصورة الزمانية فيخيل للقارئ وكأن إحداهما قد هيمنت على الأخرى لكنهما في الحقيقة متوازيتان[٢]، وإنه من خلال نصه يخلق مقارنة بين أيام صباه التي ابتلعها الزمن المتوحش وأعوامٌ قضاها بعدها كأنها تطحن أحلامه وتفتتها ، وهذه المقارنة التي يطرحها تتأتى من توقه الإنساني لتحقيق هُويته ، التوق الذي ينبع من حاجته للأمان الذاتي وهو أمان يعتريه الغموض مكتنز بالهواجس وهو رهين التجارب التي مربها وتركت تأثيرها على هُويته[٣] ، ما جعله ينفرد بماضيه ويتلاشى فيه :

وأنا أنفردُ بماضيي،

بزقاقٍ في كرخ الموتى!

هل أدخله،

أتلاشى فيه ، وأسكنهُ بيتاً بيتاً؟[٤]

تتضمن قصيدته شخصيات مختلفة تشكل إطار البيئة التي يتماهى معها فكأنه يراقبها لتشكل صورته الشعرية ، هي(دوامة جمهور لا تهدأ) وهو المنطوي على ماضيهِ باحثاً عن أسباب وجوده وهُويته ((فالهُوية تقتضي إذاً تواصل الماضي مع الحاضر كي تكون بمثابة قاعدة ينطلق منها الشخص لمواجهة مهام النمو مستقبلاً))[٥].

يستعمل أسلوب السرد بضمير المتكلم ليخاطب نفسه كاشفاً عن شخصية قلقة ومضطربة تضفي عليها الصراعات والنزاعات تشتت وسلبية واضحة حتى لا يعرف ما يمكن أن يفعل ، هل يغوص في أعماق هذا الماضي الذي يحمله إلى صباه ومسقط رأسه وأصحابه وجيرانه ومحلته(العباسية) في جانب الكرخ من بغداد ،هل يعود إليه؟ هل يسكنه؟ ، حيث يشكل الماضي اليوتوبيا الشخصية له التي تسيطر عليه بشكل كبير، ليصور في سرديته للقارئ إنه

---

[١]- ينظر: الماء والأحلام- دراسة عن الخيال والمادة، غاستون باشلار، تر: علي نجيب ابراهيم، تقديم: ادونيس، المنظمة العربية للترجمة، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠٧: ٥٧

٢- ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي- عرض وتفسير ومقارنة، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٣ ، ١٩٧٤: ١٧٤

[٣]- ينظر:القبيلة و القبائلية أو هويات مابعد الحداثة: ٤٦

[٤]- الأعمال الشعرية: ٨٠/١- ٨١

[٥]- أزمة الهوية والتعصب: ٣٩

ضحية أفكار كبرى تستلبه وتشتته وتغربه عن واقعه وماضيهِ والدليل هو نصوصه التي تزخر بالمفاهيم اليوتوبية[١] .

يظهر من هذا العرض إن الحالة النفسية التي أنتجتها صراعات الحياة والواقع غرست في كيانه حالة من التشاؤم والسلبية حتى برزت وبشكل ملحوظ في قصائده ذات النبرة الذاتية ، ما جعل أناه مشتتة ومنعزلة غير مستقرة .

[١]- ينظر: السيرة والعنف الثقافي: ٢٠٢

الفصل الثاني

الهُوية المجتمعية

مدخل:

تشكل الهُوية المجتمعية الإطار العام الذي يضم داخله كينونة الفرد ، فهي المرحلة الأولى أو الهُوية الأولى التي تتشكل لدى الفرد حتى قبل الهُوية الذاتية ، حيث يكتسبها من المحيط الذي يولد وينشأ فيه، وهي تمثل ((تصورنا حول من نحن ومن الآخرون وكذلك تصور الآخرين حول أنفسهم وحول الآخرين... تأتي إثر عمليات التفاعل الإنساني وتستلزم عمل مقارنات بين الناس كي تؤسس أوجه التشابه والاختلاف بينهم))[١] ، فكل مجتمع وكل مجموعة أفراد لديهم عادات وتقاليد تميزهم ويختلفون بها عن الآخرين ، والطفل حين يولد يكتسب عادات جماعته وتقاليدهم فتتكون لديه بذلك هُوية تميزه عن باقي الأفراد في جماعات أخرى وهذه الهُوية هي هُويته المجتمعية ، فيبدو أن هُوية الأنا منبثقة من الهوية المجتمعية ، فالطفل يترعرع في محيط اجتماعي يحفظ حياته ويوقظ قدراته وتظهر هُويته في سن الشباب لتمنحه استقلالية شخصية [٢] ، وهذا يعني أنها تقوم على الانتماء الذي يعتبر ((محوراً أساسياً في العلاقات الاجتماعية التي تربط أبناء المجتمع الواحد وتكشف عن الآلية النفسية التي تتحكم بهذه العلاقات وبخاصة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية))[٣] ، والانتماء يضم الزمان والمكان معاً فكلاهما ينصهران ليشكلان أسسها ، وهي تتداخل مع هويات يصعب الفصل بينها في أحيان كثيرة[٤]،

يدلنا هذا على إن للهُوية وجهين أحدهما ثابت والآخر متغير ، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الحالة الأكثر شيوعاً هي الثبات والديمومة[٥] ، التي يبني الفرد على أساسها تقديره لذاته وهذا يعود إلى الظروف الاجتماعية التي تحيط به والتي تترك تأثيرها على نفسيته ، وفي مجتمع مثل مجتمعنا العراقي الذي خضع خلال تاريخه الطويل للعديد من الظروف العنيفة التي أثرت على مجتمعه وبقيت تلك التأثيرات تدفع ثمنها الأجيال المتلاحقة ، ما أثر على سلوكياتهم ومشاعرهم وأواصر الوحدة فيما بينهم ، الأمر الذي دفعهم للبحث عن هُويتهم الاجتماعية عن طريق اندماج الأنا الفردية بالنحن الاجتماعية وبالنتيجة تظهر هوية مشتركة كثيراً ما تُعزز من خلال العلاقة المشتركة بالأماكن[٦]، و يعود هذا إلى كون ما يحتاجه المرء من قيم وأعراف وما يعكسه من مواقف وتصورات فكرية هو نتيجة لتفاعل علاقاته وتواصل اهتماماته مع نمط البيئة / المكانية التي يقيم فيها وينتسب اليها ويحتمي بها[٧]، وبالنظر إلى الظروف التي عاشها الشاعر أُستُلبت منه هُويته المجتمعية قمعاً وتسلطاً من قبل الآخر/ السلطة الأمر الذي جعله يحاول استرجاعها بالتمرد والرفض تارة والاندماج الذاتي في المجتمع تارة أخرى عن طريق العودة إلى الماضي أو الانصهار مع الهم المجتمعي والتلاشي فيه ، وهذا يعود إلى دور الوعي

---

[١]- سوشولوجيا الثقافة والهوية: ٩٣
[٢]- ينظر: البحث عن الهوية :١١٢
[٣]- الشخصية العراقية: ٢٤٠
[٤] ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٦
[٥]- ينظر: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه: ٧٠٣
[٦]- ينظر:الهوية الملتبسة –اللشخصية العراقية وإشكالية الوعي بالذات، ثامر عباس، الزمان للطباعة والنشر ، دمشق- سوريا، مكتبة عدنان ، بغداد- شارع المتنبي، ط١، ٢٠١٢ : ٢٢
[٧]- ينظر: المصدر نفسه: ٢١٩

الذي يمتلكه في التعامل مع سيرورة الأحداث ومواجهة الصراعات ((فعندما يدرك الإنسان حاجته للانتماء تتحول الهُوية من كونها ولاءً بسيطاً وبريئاً إلى كونها حراكاً مقصوداً واستراتيجياً ولا يدرك الإنسان حاجته للانتماء إلا بعد أن يتعرض للتهديد الذي يلجئه للجماعة التي تكفيه هذا التهديد))[1].

ويتمثل شعور الانتماء وتكامل الهُوية المجتمعية عنده بالاندماج مع الأفراد والمكان والأحداث والظروف ، حيث يأتي هذا الشعور ((كنتاج لعمليات التكامل الاجتماعي ولعملية تمثل القيم الاجتماعية السائدة في إطار الجماعة))[2] فنلحظ هُوية الشاعر المجتمعية فسيفساء من الصور والأشخاص والأماكن والذكريات والأحداث .

[1]- المواطنه والهوية الوطنية: ١٣٦
[2]- الهوية، اليكس ميكشيللي: ٧٥

المبحث الأول

العنف وأثره في تكوين الهُوية المجتمعية:

يعد المجتمع الفسيفسائي على النقيض من المجتمع المتلاحم حيث يخضع لغلبة هُويات خاصة وهيمنتها على البقية كما يكون شكل العلاقات المجتمعية متراوحاً بين الصراع والتعايش وظهور حالات من الانقسام بينها عمق من هُوة هذه الصراعات[١] ، ونظراً لما عانته الهُوية المجتمعية العراقية وعلى سنين طويلة من محاولات استلاب واختزال لدورها الرئيسي في هذا المجتمع ، وهيمنة الهُوية الواحدة المتمثلة بالسلطة الحاكمة وما ينضوي تحت سلطانها من أحزاب متمركزة في الحكم، وفقدان المجتمع لسيطرته على مؤسساته وخضوعها للمؤسسة السياسية التي استغلت دورها وصلاحياتها في خلق نظام سلطوي معادي للإنسان وللمجتمع ، سادت جراء ذلك صورة العنف المتمثلة بالحروب والثورات والقمع والتنكيل له، فترعرع هذا الشعب في خضم الأزمات والصراعات والخطر والمعاناة المشتركة وفي أحيان كثيرة في خضم ارتعاشات الجماهير الهائجة وانفجاراتها الغاضبة[٢] .

يعرف العنف في اطار علم الاجتماع بوصفه ((كل ما يربك النظام الاجتماعي والعلاقات القائمة بين أعضائه))[٣] ، ونتيجة لما مر به المجتمع العراقي من صراعات وانقسامات وما أفرزته ثورة تموز يولو ١٩٥٨ والحروب والثورات التي أعقبتها ومنها حرب ايران وحرب الخليج ، انتجت مجتمعاً ممزقاً مرتبكاً بين عدة اتجاهات متشائماً من المستقبل بفعل الخيبة من السلطة وتعرضه لظروف عصيبة ، حيث كان للتكلفة الباهظة من خسائر مادية وبشرية والمعاناة الكبرى التي وقعت وطأتها على الشريحة البسيطة من عوائل المجندين تأثيره الخطير على المجتمع إذ استشهد العديد منهم وأُسِرَ بعضهم وفُقِد البعض الآخر[٤]، كما توفي العديد بطشاً وإرهاباً ، وهُجرَ آخرون إجبارياً من قبل السلطة الدكتاتورية أو خوفاً من تنكيلها، لتُكمل عليها مرحلة الاحتلال الامريكي في ٢٠٠٣ وشيوع المحاصصة واستهداف الابرياء بالمفخخات والعبوات المتفجرة وعمليات الخطف و الاغتيال والقتل على الهوية كل هذا دفع المجتمع إلى العزلة والتردد والانطواء حول نفسه ، الأمر الذي أدى إلى نشوء طبقتين في المجتمع طبقة حاكمة وطبقة محكومة ، أو بعبارة أخرى غالبة ومغلوبة ، وهذا الانقسام الموجود في العراق من بدء المدنية الأولى تتصارع فيه حضارتين ، حضارة بدوية محاربة من ناحية وحضارة زراعية خاضعة من ناحية أخرى، الأمر الذي دفع إلى ظهور نظامين وسيادتهما في

---

[١]- ينظر: المجتمع العربي المعاصر –بحث استطلاعي اجتماعي ، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت- لبنان ،ط٦، ١٩٩٨: ١٦

[٢]- ينظر: العراق –الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، حنا بطاطو، تر:عفيف الرزاز، منشورات فرصاد- المكتبة الوطنية الإيرانية، ط١، ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦ هـ : ٥٤/١

[٣]- العنف الاجتماعي –دراسة لبعض مظاهره في المجتمع العراقي مدينة بغداد انموذجاً، اسماء جميل ، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد- الاعظمية ، ط١، ٢٠٠٧: ٢٨

[٤]- ينظر : موجز تاريخ العراق ١٩١٤-٢٠٠٨، هالة فتاح- فرانك كاسو، تر: مصطفى نعمان احمد، دار المرتضى ، العراق- بغداد- المتنبي ، د.ط، د.ت: ١١٢

هذا المجتمع ، نظام يؤمن بالقوة وآخر يؤمن بالصبر والتباكي [١] ، كما تفاقمت حالة العنف في عشرينيات القرن الحالي لتكون هُويات طائفية وقبلية مستبدة تتصارع فيما بينها تارة وبين الدولة تارة أخرى ، إذ اقترن العنف بالاستبداد المرتبط بالبيئة المجتمعية التي لا تؤمن بقوة القانون وإنما بقانون القوة [٢] ، كل هذا شكل دافعاً للشاعر للخوض في تلك الاضطرابات المتماهي معها، كون الهُوية هي ما ينتمي إليه الفرد في حيز زماني ومكاني ويشكل جزءاً منه [٣] ، ليقدم للقارئ صورة واضحة عن تلك الوقائع في إطارها الاجتماعي وعرض شكلية هُويته المجتمعية التي ولَدت ذاتيته المشتتة .

الحرب هُوية قسرية:

شهدَ المجتمع العراقي على مدى تاريخه السياسي المتنوع ازدياد في الحروب والنزاعات، إذ كانت الصراعات السياسية والاجتماعية تعجز عن ضبط إيقاعاتها الداخلية ضمن الحدود السلمية أو الأطر التي لا تهدد وحدة الجماعة بالتمزيق فكانت الحروب تعبر عن الشكل الاجتماعي للشعب العراقي[٤] ، كما تفضح فشل الحكومات التي سيطرت على مصيره ومقدراته ، ما جعله يعاني من الكوارث الإنسانية والضعف المؤسساتي وفشل التنمية والإعمار والتأهيل، كل هذه المعاناة جعلت المجتمع يشهد انقسامات في كيانه فجزء منه كان متمرداً وثائراً الآخر يخضع ويقدم الولاء للسلطة وجزء أخير يتبع سبيل أضعف الإيمان وهو الهجرة والبحث عن حياة كريمة في بلدان العالم ، ونظراً لمعاناة الشاعر المرتبطة بهذا المجتمع جعل شعره وثيقة تحفل بهذه المعاناة فكان توصيفه لأيام الحرب توصيفاً دقيقاً حاملاً لكل الآلام والخيبات التي تعرض لها الشعب :

تندلعُ الحربُ ويخرجُ بغداديون إلى الأسواق

لشراء المؤن. ولِدتُ إذن

في سنةٍ مأخذها سهلُ

في سنةٍ ينقطعُ بها الخلقُ إلى رائحةِ الجثث:

((الخائنُ بالفخذ المحترق)). يصبُ النفط فتأتلقُ

---

[١]- ينظر: شخصية الفرد العراقي – بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث، علي الوردي ، منشورات دار ليلى – لندن ، ط٢، ٢٠٠١ :٥٠

[٢]- ينظر: الاستبداد والعصبية(٥-٥) تعذيب وإعدام الاشقاء السبعة انموذجاً، عدنان سمير دهيرب، مقال في جريدة الزمان العراقية، العدد ٧١٣٦ ، ٢٠٢١م ـ ١٤٤٣ هـ : ٥

[٣]- ينظر: الشخصية العراقية: ٢٣٦

[٤]- ينظر: الدولة والمجتمع- جدليات التوحيد والانقسام في الإجتماع العربي المعاصر، عبد الاله بلقزيز، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، الحمرا-بيروت، ط١، ٢٠٠٨ : ١٣٩

النارُ وتعلو رائحةُ اللحم البشري [1] .

يسرد سيرة وطنية تاريخية عن وطنه وكيف آلت الأمور بعد ثورة ١٤ تموز ومقتل نوري السعيد وتقطيعه وحرق فخذه ، فتتحول القصيدة إلى ضباب من دخان الحرق والقتل والفوضى التي سادت بفعل الثورة، التي يتوقف عندها التاريخ وتبدأ رحلة الهمجية ، فيختار هذه السيرة في ضمن مجموعته التي تحمل عنوان (قارات الأوبئة) دلالة على تفشي أوبئة السلطات الدكتاتورية وعبثية المجتمعات.

خروج البغداديون إلى الأسواق وشراء المؤن إشارة إلى توقع الحرية بعد سنين من محاولة السلطة لتشذيبها وحصرها ، واختياره لهذه السنة لتكون تاريخاً لولادته هو دليل على إنها مرحلة تنفصل تماماً عما قبلها ، هو فاصل تاريخي في حياة كل فرد في هذا الوطن ، فيهتف هو و الشعب لاحتراق الجسد وتحرر الأفكار من معقلها ((الأفكار التي تمثل في جذورها الخفي رغبة الانسان، ابن الفوضى والطبيعة والمرحلة المظلمة ، للانطلاق من سجن مرحلة الدولة والمؤسسة قصيرة الأمد، ضعيفة القوام))[2] لتنطلق الجماهير إلى رحاب الحرية متعطرة برائحة شواء الفخذ البشري الذي تحول إلى رمز للفكر الإنقلابي- الثوري:

الصيف يشي بثياب البغدادي

تضيءُ نجوم العسكر فيه

وتخرجُ عند الفجرِ على هيئةِ إكليلٍ من شوكٍ

يوضعُ فوقَ الرأسِ الأشيبِ للجمهور.

الرأسُ الأشيبُ ارشيفٌ لبيانات الثورة.

ومع الثورةِ تنمو الفتنُ المرة[3] .

كانت الثورة سبباً لكسر صمام الأمان الذي فتح المجال لكلِّ الفوضى والخراب في المجتمع وخروج حيوان الاستبداد والظلم من معقله ، فيسرد الشاعر أيام الثورة وعملية اغتيال العائلة المالكة من قبل العسكر الذين يصفهم (بإكليل من شوك) دلالة على ما سببوه من ألم وإهانة، وإكليل الشوك يشير إلى اللعنة والشر التي يحملها للعالم ، وكأن الشاعر أراد أن يبين فداحة المعاناة التي صبت فوق رأس الشعب والظروف التي عاشها في خضم الثورة وما تلاها . كما تقترن دلالة الشعر الأبيض بالهم والحزن ومساوئ الدهر[4] ، وتصبح صورة الإنسان

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٢٠٤/١

[2]-العودة إلى كارديناي، فوزي كريم، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا- دمشق،بيروت- الحمرا، بغداد-ابونؤاس، ط١، ٢٠٠٤ : ١٨٣

[3]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢٠٥

[4]- ينظر: قراءة سيمائية في شعر ابي تمام، وليد شاكر النعاس، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠١٣: ٥٦

المقطع الأوصال رمزاً وصورة عن هذا المجتمع ، الذي تحولت هُويته بفعل بشاعة الحروب إلى هُوية نكوصيه تكشف عن ظاهرة التسلط والقمع ، حيث يمثل النكوص حالة دفاعية لحفظ الذاتية الاجتماعية من بطش الدولة المتغولة[١] ، الدولة التي فقدت أبسط معايير الإنسانية ماهي إلا كائنات تتسم بكل الصفات الحيوانية:

تندلعُ

ستندلعُ الحربُ...

تندلعُ، ستبدو خيمتها

غبراء تهزُ بها قططٌ

سوداء، وتتركُ رائحةٌ

للشبق.....[٢]

شاعت في النص الأحداث التي مر بها المجتمع العراقي من هتك الأعراف والمقدسات في سبيل إرضاء السلطة حتى إغبرَ أفق الثورة لتتحول إلى طوفانٍ يكتسح هذا الشعب ، ويتحول أفراد الحزب إلى كائنات حيوانية تمارس فعل الغواية و الاعتداء و القتل ، إذ تكشف دلالة اللون الأسود عن الانسان القبيح المتخاذل كما هو رمز للتشاؤم عند الكثير من الشعراء[٣] ، ولم يعد شبقهم مقتصراً على انتهاك العرض بل شملت هرس الأجساد والتنكيل بها ، فتحولت أيامه إلى جزع وغربة ، وكانت هُوية هذا المجتمع حذرة قلقة ، وهذا الحذر والقلق نوع من أنواع استلاب الهُوية التي تتجذر في تقنيات خاصة هدفها إحداث تخلخلات في الشعور الداخلي للفرد وداخل الجماعات مثل القهر والعزل والارتباك وإلغاء الوحدة المجتمعية وتعبئته في نظام عبودي[٤] ، كل هذه الممارسات عانى منها المجتمع العراقي حتى تأرجح لديه شعور امتلاك هُوية مجتمعية مستقرة، فتؤكد الصورة على فشل الثورة وإن كل ماجاء بعدها للمجتمع وهم وضياع:

ساءلت دم الثوار عن الثورة ،

وساءلت الثورة عن جسدٍ يطفو في الماء،

---

[١]- ينظر: الدولة والمجتمع : ٧٤

[٢]- الأعمال الشعرية: ٢٠٩/١

[٣]- ينظر: الرمز في شعر أمل دنقل، سوزان مشير حمد كوردي، تموز ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ط١، ٢٠١٨: ٧٢

[٤]- ينظر: الهوية، أليكس ميكشيللي :١٥٩

عن عُشبٍ يغرقُ في رملِ الصحراء،

عن بلدي الصامت في وجه الأعداء،

عن كل دم آخر...[1]

تبرز الحاسة الهجائية الساخرة في نص الشاعر المتمرد ، ليتساءل مستنكراً عن المآل الذي وصلته الثورة والترسبات التي خلفتها في هذا المجتمع المقموع حيث الموت والخوف ، إذ لم يكن التخطيط لها وليد حالة من الترف والبطر، إنما نتيجة لحالات الفساد التي استفحلت في جسد الدولة حتى أصبح عناء إسقاطها مبرراً على الرغم من الفوضى التي يستلزمها ذلك [2] ولكن المشهد البصري لها بلغ حدا من البشاعة يصعب احتماله بعد أن تحولت إلى رمز للفقدان .

تبرز قدرة النص على كسر حالة الصمت والكشف عن حالة العنف الذي تعرض له الشعب ، فالألفاظ (يطفو ، يغرق ، صامت) تتحدث عن الخراب وتشظي الحياة وعن الهُوية المجتمعية السائدة في الفترة التي عاصرها الشاعر داخل الوطن والتي تبدو أزمتها واضحة وجلية ، بعد أن فرضت التغييرات شكلاً واحداً للسلطة فرض على المجتمع سيطرته ومارس الإكراه السيكولوجي بوصفه عملية تطبيع المجتمع بهُوية واحدة لا غير، هذا ما يؤدي إلى أن تصبح هُوية المجتمع سلبية وغير مستقرة [3] ، وفضاء الشاعر الشعري يجذب إليه هموم الوطن وشعبه فتتوجه الصورة نحو الواقع الاجتماعي إبان عقود الحروب الطاحنة والصراعات الأيديولوجية المدمرة بعد انتهاء مباهج الثورة :

حصار الترك طويل

جُزت فيه رِقاب

وتفرد دجلةُ بالجثث وبالرايات .

ومن ثقب السور أصابوه أسيراً.

كثُرَ الأسرى

وامتدت من الباب الشرقي حبال الشنق.

امتدت مثل حبالِ الشنقِ

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٥٧

[2]- ينظر السلطة والفرد، برتراند راسل ،تر: شاهر الحمود، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت، ط١، ١٩٦١: ١٣٤

[3] - ينظر: الهوية، اليكس ميكشيللي : ١٥٤

رقابُ صغارِ الجند[١] .

يلجأ الشاعرإلى بيان تفاصيل المعاناة حتى لا ينفلت القارئ من التواطؤ في الإحساس بعلة الحياة ولا يبتعد عن المشهد الاجتماعي السائد آنذاك ، فتتعاضد الذاكرة الشاعرة مع المخيلة لتصوير بشاعة الفعل الدكتاتوري الذي يصفه بالترك، دلالة على الهمجية والعدوانية مع هذا المجتمع، حتى أصبحت صورة القتل والأسر مألوفة فيه ، إنها صورة لهُوية مجتمعية ظاهرة وواضحة في هذا الوطن الذي لم يتخل عن الانتساب اليها ، حيث جرَ نظام السلطة أبناء الوطن إلى الحروب من أجل إستمراريته ، كما لجأ إلى الترهيب حتى فقد الشعب حرية تقرير المصير والمشاركة فيه [٢] .

فرض الواقع المجتمعي الذي خلفته ثورة ١٤ تموز سطوة الاحتلال وسطوة الحرب و جرد الإنسان من إنسانيته وامتص كل معاني الحياة المطمئنة ، كما إرتهن الوطن بحالات غربة الذات ومحنة الانتماء واعتلال سيسيولوجيا العلاقة بين الذات والآخر وضمور الألفة بين المكان والفرد واضمحلال أيديولوجيا الولاء بين الوطن والمواطن[٣] ، ما أدى إلى فقدان الوحدة القومية وضياع الهوية المجتمعية ، فيصرح في حواريته بأن اندلاع الثورة قد دفع ثمنه الشعب والوطن غالياً من دماء الشهداء والأسرى الذين باتوا صورة من صور هذه الثورات، وصورة للمجتمع العراقي:

-الشهداء ياصديقي قطعوا فروعهم ،

فلا انتساب لهم.

وحرقوا جذورهم،

فلا يعودون إلى أحد.

لشد مايحترسون.

يأمنون الليل والسرى ،

ففيهما رائحة المنفى عن النهار

وعن رغائب الجسد[٤] .

---

[١]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢١٠- ٢١١
[٢]- ينظر: المجتمع العربي المعاصر: ٤٥٠
[٣]- ينظر: الهوية الملتبسة : ٢٠٠
[٤]- الأعمال الشعرية: ١/ ٣٦٤

فرضت سطوة الدكتاتورية الحاكمة على الشعب الانخراط في دوامة الحروب التي فتكت كيان المجتمع ، و اختلفت الدوافع الذاتية التي حتمت المشاركة فيها ،حيث كان أبرز الدوافع إما الولاء للسلطة أو الخوف من بطشها أو التمرد والانقلاب عليها، وفي كل هذه الحالات كان الاستشهاد مصيراً متوقعاً ، ومألوفاً لأفراده .

يظهر في حوارية الشاعر الاستشهاد أشبه بحالة غامضة ومغلقة ، والشهداء في هذا الوطن مثيرين لارتياب السلطة أكثر من الأحياء لكونهم متمردين على الحياة ومشحونين بشجاعة عظيمة دفعتهم لتقديم أرواحهم فداءً لهذا الوطن، وإن قوافل الشهداء التي تسير منذ ذلك الوقت حتى الآن صورة من صور الهُوية المجتمعية تمخضت عن حكومات فاشلة ومستبدة لم تتوان عن ممارسة كافة الاساليب لتبرز هذا الفشل والاستبداد ، فنتائج الثورات الدامية لاتُقرن بنضال الشعوب من أجل تقرير مصيرها أو من أجل الحرية بل قُرنت بأحزابها الانقلابية التي أنتجت طبقات ثورية حاكمة ثم دكتاتوراً حاكما [١] ، فيتحول الفضاء الاجتماعي إلى دخان بفعل الخراب والموت:

من اي خرقٍ يخرج الدخان

رايةَ أمواتٍ على الطريق

إليكِ ياعامورة؟

اي شهيدٍ لم يعد بعد ، ولم يفسح له مكان

سواك ياصديقي،

في هذه الحديقةِ المهجورة؟ [٢]

تظهر السمة النقدية في مطلع القصيدة واستعماله لمفردة الدخان الدالة على العنف والتنكيل بالمجتمع ، فهذه المفردة تحمل تضاريس تجربة الشاعر الاجتماعية في زمن الحروب والفوضى ، فيدل على ((شحوب الرؤية وقوة المنع ، وكثرة الأسوار، وابتعاد القريب ، وغموض المشهد، ووضوح المؤجل ...فالدخان يشمل معنى الصخب ،معنى الهجرة، معنى الغربة، معنى العودة...معنى عدم الوضوح ، معنى موت الأصدقاء معنى الضياع))[٣] وتتضح هذه المعاني حين يلجأ الشاعر في خطابه إلى أنسنة المكان وهو (عامورة) بوصفه رمز عن المدينة التي كانت تشيع فيها المفاسد والقتل والموت ، لإثارة القارئ وعكس سطوة المكان حين يكون عدائياً فيختلس دور البطولة ويسلب من الإنسان راحته وسكينته [٤] ، فيبرز اضطراب الشاعر والمجتمع الذي يبدو نابعاً ((من انهيار البنى العتيقة لمجتمعه ومن الفراغ الحاصل الذي

---

[١]- ينظر: إضاءة التوت وعتمة الدفلى: ٣٨

[٢]- الأعمال الشعرية: ٢٤/٢

[٣]- المرايا والدخان: ٣٣

[٤]- ينظر: هوية المكان وتحولاته قراءة في رواية طوق الحمام:١٦١

تضيع فيه حدود التماهي على صعيد الفرد والجماعة))[1]، ثم يتوجه بالخطاب إلى صديق مجهول قد يكون هو ذات الشاعر ليبرز صورة الحرب ومآسي الشعب باستعماله فعل الشهادة المتربص بهذا المجتمع كصورة للعنف والتنكيل وسلب إنسانية الفرد وحياته ، لتحضر قصيدة (خوذة المحارب) راثية الوطن والفرد :

تصفرُ فيها ريحُ من ماتوا على مقربةٍ منها،

كأنها تبعدهم ثانيةً عنها ،

تبعثُهم غلالةً من الرماد لرصيف الوطن ،

تبعثهم حديقةً من السُعال لربيع الوطن ،

تبعثهم ظلاً يموءُ تحت ليلِ الوطن

يبحث عن ذئبِ البراري الجميل،

تبعثهم ضفيرةً فوق ضريح الوطن

يابسةً من سعفاتِ النخيل [2] .

كانت ثمرة الوعي بالحرية إدراك النخب الرافضة بأهمية الهُوية ، لذا كانت مستنفرة للدفاع عنها في زمن الصراع والأزمة ، غايتهم المحافظة على الوحدة المجتمعية ، فكان تعاملهم بمنطق الحراسة لهُوياتهم والمدافعة عنها يزيدهم ضعفاً وبقدر محاولة المحافظة عليها كان الضعف يتمكن منهم ، وبالتالي بدأ المجتمع يفقد حيويته الفكرية وطاقته على المبادرة الفعالة[3] فتأتي صورة الحرب وآثارها دليل على هيمنة الشر، وضعف موقف المدافعين عن هُوياتهم، ترمز إلى ذلك دلالة الألفاظ **(غلالةً من الرماد ، حديقةً من السُعال ، ظلاً يموء ، ضفيرةً يابسةً من سعفاتِ النخيل)** التي تشير إلى انعدام فاعلية هذا المجتمع ، وكلها دلالات عن ذاتية الفرد في عالم الشاعر النفسي ، هي أشكال معتمة ودونية من أشكال الحياة والأفراد في هذا الوطن ، فالإنسان يستمد بشريته من الأمكنة أو ما يسمى من الطابع البشري للأمكنة التي يسكنها، والبشرية بمفهومها الدقيق والسامي هي القدرة على التماهي مع الأمكنة [4] ، وحين تفقد الأخيرة طابعا البشري يغدو كل ما فيها خالياً من الحياة ، هذا الأمر الذي غدا لعنة على هذه البقعة من الارض وعلى أفرادها منذ ذلك الوقت وحتى الآن مازالت صورة الحرب والموت تتربص بهذا المجتمع:

---

[1]- حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، كمال خير بك، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٦م- ١٤٠٦هـ: ١٠٢

[2]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٣٦

[3]- ينظر: حديث النهايات- فتوحات العولمة ومآزق الهوية:٢٤

[4]- ينظر: الهجرة إلى الإنسانية ، فتحي المسكيني ، كلمة للنشر والتوزيع – تونس، دار الأمان – الرباط، منشورات الاختلاف- الجزائر ، منشورات ضفاف- بيروت، ط١، ٢٠١٦م – ١٤٣٨ هـ :٢٩٨

طوفان ذلك العهد كم طمر المدينة.

كم ستطمرها مع الزمن البراكين ، الحروب ... مراقد الموتى !

على أن اسمها

في كل عهدٍ ، من مراقي الخالدين يطلُ ، يبعثُها

فتنهضُ [1] **.**

جرَ الانقلاب السياسي الذي وثقه الشاعر في ذاكرته وشعره حروب ونكبات مرّة تركت بصمة شوهاء في جبين هذا المجتمع المتهالك فغدت هُويته مُرهقة ومهُشمة وفي كلِّ مرحلة كان الشعب ينتظر المخلِص لكنه يقع بقبضة حيوان أشرس من سابقه وهذا ما حصل بعد حرب ٢٠٠٣ في العراق وسقوط نظام الحكم الصدامي ، حيث ظهرت الأحزاب المتناحرة والطائفية المقيتة التي زادت من شكل الصراع ووسعت من مدافن الموتى ، فتبرز هذه القصيدة التي وقعها بتاريخ العام ٢٠٠٧ أي بعد الحرب التي شنتها أمريكا لإسقاط نظام الحكم في العراق، كوثيقة رفض ونقمة على الواقع المفروض ومآل الحياة فيه ، فيشبهه بالطوفان الجديد الذي اكتسح المدينة التي تتوسع رمزيتها إلى الطابع العام للمجتمع ، إذ تسيطر هذه المفردة على الشعراء المعاصرين لتنتقل في اتجاهات عدة آخذة ابعاداً مختلفة من توظيف اجتماعي وسياسي إلى أنماط رمزية مختلفة [2] ، وصورة خراب المدينة مازال ماثلاً في مخيلته ومخيلة الشعب ولم يتمكن بعد من تجاوزه ليحل بها طوفان جديد فيتساءل من بعد هذا كم حرباً ستثور وكم بركاناً سينفجر على هذه الأرض حتى تخفي تحتها شكل الإنسان والإنسانية من جديد ، كاشفة عن أزمة حقيقية يعاني منها المجتمع ، إذ إن ميل الصراعات الاجتماعية والسياسية إلى الكشف والتعبير عن نفسها في المجتمع العراقي القديم والمعاصر من خلال صيغة فتن وحروب أهلية ، طائفية ، مذهبية ما هو إلا مظهر واضح من مظاهر أزمة السياسة وفشل مجالها الذي تمارس في نطاقه علاقاتها[3] ، وإن أشكال الصراع رغم تنوعها واتخاذها صورة جديدة عما كانت عليه في الماضي إلا أنها تفضي إلى مصير واحد وهو إضعاف الوحدة المجتمعية وهي غاية أزلية للحكومات المتسلطة والأيديولوجيات المتناحرة كاشفة عن ذاتية متصارعة ، إذ ((ترتسم الحدود العدائية داخل المجتمع الواحد حيث يظهر الآخر الجواني فتبدو الذات الجماعية للبعض وكأنها في انقسام أو انشطار))[4] ، وهذا يتجاوز الذات إلى الجماعة ويشكل هُوية مجتمعية:

طوعتُ حروبكم لأصابع يمناي،

فاكتنزت أحرف شعري بربيعٍ دامٍ.

---

[1]- قصائد لنهار غائم ، فوزي كريم ، دار المدى للثقافة والنشر ، سورية-دمشق، بيروت- الحمرا، بغداد- ابونؤاس ،ط١، ٢٠١٠: ٣٣

[2]- ينظر: المدينة في الشعر العربي المعاصر: ١٠

[3]- ينظر: الدولة والمجتمع: ١٤٤

[4]- صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه:٢٢

زاحمتُ الجثث الملتاثةِ بالرمل،

الطافية على الوحل ،

الموقومة بصناديق الخشب.

وبلون الحبر تمثلت الحلم الأسود برؤوس الأسرى[١] .

تكشف القصيدة عن محاولة الشاعر توظيف بشاعة الواقع في مشهده الشعري ، فلم تأتِ قصائده إلا متوجعة ومجروحة وهذا يدل على ارتباطه بالواقع السياسي المندمج إلى حد بعيد بالواقع الاجتماعي ، ما أفقده قدرته على كتابة شعر ساخر أو شعر عن الحب والعلاقات العاطفية لأن الغاضب لا يستطيع ان يتجاوز غضبه ، كما لم تكن صفحة الحاضر في هذا المجتمع بأفضل من سابقاتها بل كانت أسوأ ، حيث تزاحم الجثث جراء التفجيرات وسطوة الجماعات المسلحة والاختطاف والتغييب ، كل هذا حملته مواجع القصيدة التي كتبها عام ٢٠٠٨ في ظل الازمة والصراع الهوياتي ومحاولة ترسيخ مفهوم الديمقراطية الذي حمل نتائج سلبية على هذا الشعب .

تكشف دلالات الألفاظ (**طوعت، اكتنزت، زاحمت، تمثلت)** عن انغماسه بهموم الوطن، والتآلف مع الهم المجتمعي الحافل بالصراع السياسي بين الدولة والعصبيات الدينية والعرقية، بين النظام والفتنة ، بين السلطة والسلطة ، بين السلطة والجماعات المنفلتة، بمعنى أنه صراع من أجل ترسيخ الدولة في محيط اجتماعي نابذ أو غير مندمج مع نظام هذه الدولة [٢] .

أحالت هذه الصراعات أفراد المجتمع إلى كائنات عاجزة تكشف عنها دلالة مفردة (الأسرى) ، والأسر هنا يشمل أسر الفرد من قبل الحياة والواقع والنزاعات، فسلطوية الأنظمة المعادية للإنسان والاتجاهات والجماعات التي تعتدي على حقوق الإنسان وتحيله إلى كائن مغلوب على أمره تدفع به إلى أن يعيش على هامش الوجود لا الصميم [٣] ، وإن الحروب التي مرت على هذا الوطن ولدت هُوية تنتسب لإرث من الاختلاف والخلاف ، والتقسيم ، وتعميق التكاره بين المجتمع الذي بقي قابعاً تحت سيطرة الأيديولوجيات الحزبية المتكاثرة ضمن نظام سياسي أصبح يشبه (مصيدة) في مجتمع مازال يحرث في ماضٍ لا يمضي ، غاطس في معضلات الحاضر، متخلياً عن التفكير في المستقبل ، وهذه معاناة أزلية في مجتمع هيمنت عليه أشكال سياسية تكرس الانغلاق بكل أشكاله الشخصية والمجتمعية بعيداً عن التسامح والمواطنة والمساواة والعدل وحرية التفكير[٤] ، كما أنها لم تراع مصالح الشعب ومؤسساته ما أدى إلى اتساع المقاومة والحروب الداخلية ، حتى أصبحت صورة القتلى والموت على صفحات الذاكرة العراقية التي بقيت تهتف "موطني، موطني" وهي تعض على الجرح كي لا ينزف[٥] ، فيما

---

[١]- قصائد لنهار غائم: ٦٣

[٢]- ينظر: الدولة والمجتمع: ٧٧

[٣]- ينظر:المجتمع العربي المعاصر: ١٩

[٤]- ينظر: سوار الماضي وأسيجة الحاضر ، عدنان سمير دهيرب، جريدة الزمان –العراق، العدد ٧١٢٦ ، ٢٠٢١م -١٤٤٣هـ : ٨

[٥]- ينظر: العودة إلى كاردينيا: ٧٦

تتلاحق السنوات تعيد نفسها ومشاهد الدمار مازالت تتكرر وما زال الفرد العراقي يعايش الواقع بألم يشوبه الأمل في أن يتوقف هذا النزف يوماً ما.

الهجرة بوصفها هُوية مجتمعية:

أفرزت الحياة السياسية تفاوتاً كبيراً في حياة الشعب العراقي تمثل في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والثقافية ، واضمحل تدريجياً النسيج الوطني بفعل ممارسات السلطة التي دفعت أكثر أفراد هذا الشعب إلى الهجرة واستيطان المنافي هرباً من جورها وهيمنتها ، وهذا يعد شكلاً من أشكال الصراع الهوياتي حيث يمكن الزعم أن ((التهميش والهيمنة على الجماعات والأفراد يمثلان شكلاً من أشكال الخصاء الاجتماعي والحضاري والثقافي))[١] ، فبعد أحداث العنف في أعقاب ثورة تموز ١٩٥٨ والمراحل التي تلتها كانت مشحونة بالمؤامرات والانقلابات انتهت في حدود العشر سنوات الأخيرة إلى تشكيل خمسة انظمة حكم وسعت من لغة العنف بينها وبين المحكومين[٢] ،فساهمت بقصد أو غير قصد في تهجير العديد من أفراد الشعب ، الأمر الذي شكل هُوية مجتمعية مشتتة ومُغربة:

وتلاحقك امرأةٌ بوشاحٍ أزرق

آثار أصابعها في خاصرتك

زرقاء.

وتعرفُ أن امرأةً خلفك ،أن أصابعها

باردةٌ في مجرى دمك.

وأن مغيب الشمسِ نذيرٌ ، أنك عارٍ

تجفلُ من لمسات الدغلِ،

وتدفعك ملاحقةُ الخطوات إلى أقصى حافات العُزلة[٣] .

توحي دلالة المرأة في هذا النص على السلطة التي رمز إلى وحشيتها بلون وشاحها الأزرق وآثار أصابعها، فاستعماله للون الأزرق للإشارة إلى وحشية السلطة يعود إلى تطير العرب في الجاهلية وتشاؤمها من هذا اللون [٤] ، وازرقاق الجسد الذي تركته أثار أصابعها

---

[١]- السيرة والعنف الثقافي: ٢٦٣

[٢]- ينظر: التحول الديمقراطي في العراق – المواريث التاريخية والأسس الثقافية والمحددات الخارجية، عبد الوهاب حميد رشيد ، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠٦ : ٤١ ، وينظرللاستزادة : الذات الجريحة –اشكالية الهوية في العراق والعالم العربي الشرقمتوسطي ، سليم مطر، مركز دراسات الامة العراقية- ميزوبوتاميا ،جينيف- بغداد، دار الكلمة الحرة- بيروت، ط٤، ٢٠٠٨ : ٤١٩

[٣]- الأعمال الشعرية: ١/ ٧٦

[٤]- ينظر: البنى الاسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢٠٧

دلالة على الألم والإصابة التي لوثت بياض الجسد المجتمعي[١] ، وبرودة يديها في مجرى دمه دليل على الموت الذي أشاعته في هذا الشعب حتى لم يجد الفرد بُداً من الهرب والابتعاد عن هذا الوطن إلى أقصى المنافي خوفاً من بطشها وتنكيلها ، فالنص صورة عن حال الفرد العراقي الذي بطشت به الدولة وأسلمته لفضاءات التهجير والمنفى متلفتاً خائفاً من ملاحقتها له.

إن هذه المشاهد من الرعب والإقصاء والارتباك وتداخل الوجوه التي تسرق الحياة والمستقبل ، شكلت هُوية مجتمعية وصورة حية لهذا المجتمع[٢] ، يألفها وهي تتكرر أمامه في مشهد التهجير والمضي لغير مستقر:

آلفُها مشاهد الأشرعة الرثة ،

تجارٌ في ريحٍ بلا مواسم

تمضي لغير مستقر.

والزمنُ الخبيءُ كاللؤلؤ في المحار

آلفهُ في غمرةِ البحار،

يمتصُ زرقة المياه وحدها

ويهمل الشوائب الأخرى على الحجار

خضراء كالطحلب[٣] .

يقف الشاعر موقف المراقب بصمت ليشهد على حالة الضياع التي تلف الشعب العراقي ويصفه بالأشرعة الرثة إحالة إلى التعب والدمار الذي مزق أوصاله ، فدفعه إلى المضي إلى غير مستقر ، لتحمل الريح دلالة الشوق والحنين[٤] ، وكأن أقدارهم مخبأة في غمرة المهاجر التي توحي إليها دلالة البحار بوصفها عميقة وغامضة ، حيث يتمثل الأدباء مدن الآخر الأجنبي ويستحضرونها بوصفها ذات هويات أو دلالات تقترب من الرمز[٥] ، كأنها تسرق من هذا الوطن أرواحه العذبة الصافية لتترك على أرضه شوائب المستنقعات الآسنة في إشارة إلى السلطة الدكتاتورية وأتباعها .

تحيل الصورة النصية إلى حالة الهُوية المجتمعية في ظل سوء تمثيل الدولة التي أدت إلى غياب جمع غفير من أبناء هذا المجتمع في درب المهجر هرباً من بشاعة الحياة في ظل أنظمة

---

[١]- ينظر: البنى الاسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢٠٨

[٢]- ينظر: النص نظرة للعالم والأشياء –دراسات نقدية في الشعر العراقي المعاصر ، سامي ناجي ، منشورات ايكار ، ط١، ٢٠١٩ : ٥٨

[٣]- الأعمال الشعرية: ١/ ١١٥- ١١٦

[٤]- ينظر: ملامح الرمز في الغزل العربي القديم – دراسة في بنية النص ودلالته الفنية، حسن جبار محمد شمسي ، دار السياب- لندن ،دار اليقظة الفكرية- سوريا، ط١، ٢٠٠٨: ١٦٥

[٥]- ينظر: الآخر في الشعر العربي الحديث: ٥١

رجعية مقيتة تتجاهل إنسانية الإنسان وتحيله إلى قيمة مصمَتة، بينما هو يتأذى من أبسط الاعتبارات الناتجة عن الإهمال والإنغلاق والتفاوت الطبقي وضياع العدالة الاجتماعية[١]، فيبحث الإنسان عن قيمته الحقيقة في بلاد أخرى محاولاً التآلف معها:

عبثاً يخترقُ الإنسان

تيار الأيامِ الصعبة

للحوضِ الآسنِ في الغربة.

عبثاً يكترثُ التيار

لعظام الغرقى

وتعيد الشمسُ الدورة فوق خراب الدار.

عبثاً ينتصرُ أسير الحربِ على الأحلام

والعائدُ بين الجثثِ على جثثِ الأيام

ولذا لا أنكر أن الأسفار

فردوس الحمقى،

والبيتُ مضيقٌ يوصل بين هاويتين[٢] .

يعيش الإنسان العربي عموما والعراقي على وجه الخصوص حياته داخل دوامة من المعاناة والصراع ولاسيما في مرحلة الستينيات وما بعدها وما رافقها من تغيرات سياسية أثرت بشكل كبير على الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت الذي مثل مرحلة صعبة مر بها الإنسان وهو يحاول عبثاً أن يخترق هذهِ المرحلة الزمنية التي مثلت الحرمان بصورتهِ الحقيقية.

يتماهى الشاعر من خلال نقله للحالة المأساوية للمجتمع معه ،حتى تصبح أناه بالغة الصغر وتصبح لديه (أنا) الإنسان (أنا) الوطن أو الناس[٣] ، الذين تعرضوا للاضطهاد في ارضهم والاقصاء عنها ، وجدوا في المنافي انتصارا على بشاعة الأيام وما مروا به من مآسي ، مترقبين شروق الشمس من بين الخراب الروحي الذي يسكنهم فتتكرر كلمة (عبثاً) ثلاث مرات للدلالة على حجم الحالة المأساوية التي كان يعيشها المجتمع حتى وجد في الأسفار فردوساً بعد معاناة، حالمين بالبيت / الوطن المستقر، كل هذا يؤكد عليه الشاعر من خلال الانتماء اليه لتكون الصورة منقولة للقارئ بدقة و إخلاص :

---

[١]- ينظر: إتجاهات الشعر العربي المعاصر، احسان عباس، عالم المعرفة، سلسلة كتب شعرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، ١٩٩٨ : ١٦٠

[٢]- الأعمال الشعرية:١/ ٣٢٣

٣- ينظر: شاعر المتاهة وشاعر الراية- الشعر وجذور الكراهية، فوزي كريم، منشورات المتوسط، ميلانو- ايطاليا، ط١، ٢٠١٧ :٢٧

إن جيلي تزاحمه فتنٌ وغوائلُ

طَرقٌ مُلِح على الصدغِ، يارغباتُ

إن من هدأت رأسه وإرتضى سكناً في بحيرة،

والذي مات داخل معطفه وهو ينهشُ أحشاءهُ،

والبلادُ التي قد تعودُ مراوحَ للرملِ

عابثةً في كثيب،

إن هذا جميعاً جُفاءٌ ويذهبُ مثل الزبد[١].

يجهد الشاعر لكشف مكابدات مجتمعه من خلال توظيفه لمفردة (الجيل) إشارة إلى المدة الزمنية التي مرت بهذا المجتمع التي أعقبت ثورة تموز / يوليو ، حيث دفع ثمن الحرية التي كان يتطلع اليها و جعلته أسير الهوى السياسي والانفعال الثوري[٢] ، فيقدم نموذج للشريحة العراقية المضطهدة التي تعاني من الهامشية حتى كونت أُطار هُويتها المجتمعية ((فمن خصوصيات هذه المرحلة إن واقعاً جديداً بدأ يتشكل ويتنامى وقد ألقى بثقلهِ (سلبياته وإيجابياته)على ضمير الفرد والمجتمع))[٣] كون الحياة في هذه المرحلة من حياة الفرد العراقي كانت محكومة بالأيديولوجيا السلبية التي جعلت كل شيء في الحياة مؤطراً ومقيداً[٤]، فإستعملت أسلوب إقصاء الأفراد من البلاد ، ويشبهه هذا الاسلوب بالمراوح التي عبثت في الرمل ونثرته على دروب المنافي ، فانقسم المجتمع قسمين : منهم من هُجِرَ ووجد في بلدان الغرب ملاذاً وارتضى مصيره ، ومنهم من بقي ينازع وهو يحمل راية الرفض والتمرد ، لينكشف من هذا الانقسام تشتت واضح في الهوية المجتمعية العراقية ، إذ إن مشتتي الهُوية يعانون من الوحدة ويتركون في الغالب انطباعاً بأنهم يفتقدون إلى مركز ، وهم يسجلون بإستمرار مستويات متدنية من الثبات الانفعالي فيميلون إلى التباعد والانسحاب وعلى الرغم من هذا فإنهم يسجلون درجات مرتفعة من الوعي بالذات [٥] ، وهذا تفسير دقيق لهُوية المجتمع العراقي المهَجر والمقموع .

يتناص في المقطع الأخير(إن هذا جميعاً جُفاء ويذهبُ مثل الزبد) من القرآن قوله تعالى **{ فأما الزَبَدُ فيذهَبُ جُفاء وأما ماينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض}** [٦] وهذا معنى واضح للنص حيث ينهيه ببث حكمته مستعيناً بالمعنى القرآني على إن الحق بما يملكه من الصلابة والثبات

---

[١]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢٢٦

[٢]- ينظر: السيرة والعنف الثقافي: ٢٠٤

[٣]- تجييل الكتابة الشعرية في العراق بين التنظير والإجراء –دراسة في الجيل التسعيني، سعيد حميد كاظم، وزارة الثقافة، العراق- بغداد،ط١، ٢٠١٣: ٣١

[٤]- ينظر: أنسنة الشعر:٨

[٥]- ينظر: أزمة الهوية والتعصب: ٤٧

[٦]- سورة الرعد: ١٧

سيبقى وإن الباطل يضمحل ويزول ،هذا الباطل والفساد الذي تسرب في جميع مفاصل الحياة أصبح مظهر من مظاهر هذا الوطن حتى تسرب في جميع تفاصيله وجزئياته:

لماذا يُذكرني نهر دجلة بالموتِ

والفجرُ بالاعتقال؟

ودعْ أصدقاءك من غادروك

إلى النفي أو سقطوا في المكائد

يحيطون موتك بالاحتفال[1] **.**

يظهر من دلالة العنوان (مراث إلى منهل نعمة) أن القصيدة خطاب ومرثاة إلى شخصية منهل نعمة الذي يتخذ شكلاً رامزاً للوطن حيث تستحيل كل فضاءاته ورموزه إلى صور عن العنف والدمار في هذا الوطن ، الذي تمزقت هُويته المجتمعية بفعل مصادرة الحريات والتغريب والصراعات بين فئة وأخرى ، ويدعو الشاعر الشخصية الرمز ليودع الأصدقاء الذين يمثلون المجاميع التي هُجرت من هذا الوطن الذي سلب منهم الشعور بالمواطنة والانتماء اليه حتى أصبح شعورهم بالعبثية هُويتهم، وهذا الإحساس بالدونية والعبثية يدفعهم إلى السعي للتخفيف من هذا الشعور عن طريق الهجرة و البحث عن هُوية أكبر وأكثر أمناً[2] .

يتضح من ذلك الخطر على هُوية المجتمع الحقيقية التي تغيرت بفعل التعصب والهجرة وسيطرة الهُوية الواحدة ، إذ تحول هذا المجتمع من مدني إلى حكومي بعد أن خسر حقوقه الديمقراطية وسلبته التنظيمات الحزبية حرية التعبير والبحث والنقاش [3] ، لينتاب الفرد العراقي المُغرَب مشاعر الضياع حين يطلق خطاه للرحيل :

ونحنُ نقولُ:

-ولدنا ، وللرملِ تعويذةٌ في دمانا

بكينا ، وللدمع تعويذةٌ في بكانا،

ويفتحُ فينا المهاجرُ بوابةً للرحيل

فنمتدُ ، حتى تغادرنا في الضياع خُطانا

ونعرفُ أنا نضيعُ،

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٤٧

[2]- ينظر: أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية ، عبير بسيوني رضوان : ١١٢-١١٣

[3]- ينظر: المجتمع العربي المعاصر: ٣١٣

وترقبنا النارُ حتى نضيع ،

ولم نُبقِ تعويذةً لسوانا [١].

تنشج القصيدة بنبرة شجن عن القبح الذي قدمته الحياة لهذا المجتمع منذ تكوينه ، لتتحول إثره الشخصية المجتمعية إلى شخصية حائرة ومرتبكة ساهمت الظروف الاجتماعية والسياسية في تكوينها ، فالانسان ((هو نتاج ظروفه الاجتماعية أكثر مما هو نتاج نسبه أو وراثته الطبيعية))[٢]، ويكشف عن عدمية الدم العراقي ورخصه حتى تساوى بالرمل ، بعد أن خابت أحلامه بالفردوس الموعود (الحلم بالحرية) التي قامت عليها الثورة ، لتخرج وحش الدكتاتورية من معقله ، وبات الإبقاء على الهوية المجتمعية التي تستوعب تنوعات المجتمع ضرباً من التحدي ، بعد أن شكل احتكار السلطة تراجعاً حضارياً خطيراً وانحداراً عميقاً لمحتوى الوعي السياسي بالمجتمع ، ما أدى إلى تفاقم الحروب والكوارث والتنكيل وأخيراً الاحتلال والخراب والتهجير[٣] ، ليسلم الراحلون مطيهم لقوافل المُبعدين :

مليئةٌ حقائب السفر ،

والراحلون أسلموا مطيهم

وضيعوا الأثر.

وكلما توسدت ذاكرةُ الغريب

خرائب الطريق ، يستفيقُ في عيونها المطر[٤] .

يملأ الراحلون حقائبهم بالذكريات حتى لا تغفل عيونهم لحظة من لحظات الوطن ،هي رد فعل اجتماعي لتاريخ مُغَيب وخيبات مقدمة لتعاسة مؤجلة ، فالقصيدة كُتبت في أعقاب ثورة تموز في عام ١٩٦٦ ، حيث بدأت مرحلة دموية من الثورات والفوضى الاجتماعية وشاعت حالات التدمير للقرى الكردية العراقية وتهجير جماعي للأهالي[٥]، لتسود في المجتمع ثقافة التغريب وتنامي العنف بكل أشكاله وشكلت حالة الصراع الهُوياتي ملمحاً بارزاً من ملامح الهُوية المجتمعية العراقية.

أسلم الفرد العراقي المُعنف أمره لقدر الهجرة حاملاً أوجاع المرحلة زوادة لأيام ثقيلة بقيت محفورة في ذاكرة هذا المجتمع ، لتبقى خرائب الوطن شاخصة في مخيلتهم .

---

[١]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٤٣- ١٤٤

[٢]- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، علي الوردي، د.ن ، د.ط، د. ت: ١٦٤

[٣]- ينظر: التحول الديمقراطي في العراق: ٢٦٦

[٤]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٢٥٨

[٥]- ينظر:موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الامريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية ، كمال الديب ، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٣ : ٩٠

عنف السلطة وقمعها :

نظرا للظروف الاجتماعية والسياسية التي كان الشاعر شاهداً عليها ، إذ طغت على أغلبها السمة السلبية وصراع الهُوية وشيوع حالة العنف والاستبداد من قبل الآخر، فجاء القمع السلطوي بوصفه محصلة طبيعية لواقع مستبد، ووثيقة تمثل الحالة التسلطية التي يتعرض لها المجتمع والأفكار التي ينتهجها إلى حد ارتباطهما لدرجة يستحيل معها الحديث عن أحدهما بمعزل عن الآخر[١]، فقد شكلت الظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة بالشاعر المنحى الدقيق لمفهوم القمع وما يندرج تحته من مفاهيم مثل الاعتقال والاغتيال والتوعد بالتصفية والموت الذي يعبر عن حالة العدم التي تتحول اليها الذات من بعد الوجود ، وحالة الانهيار والتردي بوصفه موتاً يشمل كل معطيات الواقع المعيش ، إضافةً إلى إنه مصيراً إنسانياً[٢] ، وهذا المصير رافق الإنسان العراقي بوصفه نوعاً من أنواع القمع الذي تمارسه الحكومات ضد شعوبها :

وعن القتل أغني،

ودمِ الأحياءِ المهمل بين الياقةِ

والعنق أغني ،

والتهمة وهي تزاحمَ خطو الناس أُغني:

يا عُرفَ الخوفِ الحاسر

والدمعِ الخاسر

والجوع المجان

خُذنا للموت كما يتساهلُ جود الموت[٣] .

تسجل القصيدة مرثاة لأبناء المجتمع العراقي الذين يتماهى معهم بالقضية والأرض في مجتمع تآلف مع الحزن، فيصبح الموت غناءً شجياً ويصبح قضية هذا الوطن التي يستمدها من الذوات المتماهية معه ، ليتحول طابع الحياة الاجتماعية فيه درامياً تتشارك فيها كل الذوات، إذ أن ((في إطار التفكير الدرامي يدرك الإنسان أن ذاته لاتقف وحدها معزولة عن بقية الذوات الأخرى وعن العالم الموضوعي بعامة وإنما هي دائما ومهما كان لها استقلالها ليست إلا ذاتاً

---

[١]- ينظر: الموت في الشعر العربي، محمد عبد السلام، تر: مبروك المناعي، مراجعة: حمادي صمود، مؤمنون بلاحدود للنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، ط١، ٢٠١٧م: ١٣

[٢]- ينظر: تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، عبد الناصر هلال، مركز الحضارة العربية- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥: ١٢

[٣]- الأعمال الشعرية: ١٩٧/٢

مستمدة من ذوات تعيش في عالم موضوعي تتفاعل فيه مع ذوات أخرى))[١] وحيث أصبح القتل المتعمد علامة بارزة في هذا البلد كنوع من تصفية الحسابات من قبل السلطة الدكتاتورية التي تنتهج اسلوب القمع والتنكيل لكل من ينتقدها ويكشف عريها وزيفها، فالإبادة ومحاولة تدجين الآخر المناقض المعارض لمبدأ الهوية الواحدة تنطلق من مبدأ الولاء والوحدة بوصفها منطلقات لإضفاء المشروعية على كل مظاهر وأشكال العنف السياسي[٢] ، فتقف الذات الإنسانية باحثة عن هُويتها الاجتماعية المقموعة متمردة على هذا الواقع ((وللتمرد أشكال تبدأ من رفض الرأي الآخر ، ثم رفض السلطة وإن اختلفت صورتها أو شكلها ... وهو يمثل أيضاً نوعاً من الغضب المكبوت أو الرفض لأسلوب حياة معين بإدعاء الرغبة في الحرية أو التعبير عن النفس))[٣] وهو من خلال رفضه للواقع السائد يقف مناصراً للمظلومين الذين طالتهم أيادي البطش والتنكيل ، ويرثيهم بحزن ، وتحول السرد من المتكلم إلى الجماعة (خذنا) إلا دليل على اتحاد الفرد بالجماعة ((وهذا فعل اتحاد كياني بالآخر فكأنه يخرج من تجربته الذاتية ليمثل جيلاً وشعباً بأسرهما وليكون شعره ظاهرة عصر برمته))[٤] والموت يجود باستقبال الموتى في هذا البلد ، حيث أضحى بالخصوص مظهراً من مظاهر البلى وليس فقط نهاية للحياة[٥] ، هو مصير حتمي مؤجل في هذا المجتمع القابع تحت رحمة الآخر المتسلط وهيمنته:

ما الذي ينتظرُ المُقعدُ في المقهى

أمام الواجهة ؟

خطوات ٍرطبة ً تعثرُ في الماء، وقد كان جليدا ً؟

أم وجوها ً تائهة؟

أم تُرى ، يرعى المصابيح التي تُطفأ،

والنجم الذي غادرَ أحلامَ السماءِ التافهة؟

إنه فاتحةُ الظلمةِ ، إذ ينتظرُ الموتَ المؤجل [٦] .

تتركز القصيدة حول مجموعة أسئلة يقدمها عن مصير الفرد العراقي المتمثل بشخصية (المُقعدُ) في المقهى ، فمن خلال حالات الاستفهام يحاول الكشف عن المصير المأساوي الذي حل بهذا المجتمع حتى غدا الكل ينتظر دوره لينال منه حظاً، فتوحي به دلالات الألفاظ (**الرطوبة ، الوجوه التائهه، الإنطفاء،النجم المغادر، الظلمة)** كما تكشف دلالة المكان المغلق –

---

[١]- الشعر العربي المعاصر:٢٨٠

[٢]- ينظر: ازمة الهوية والثورة على الدولة: ١١١

[٣]- الهوية في شعر الجيل التسعيني العراقي، رائد حاكم شرار الكعبي، إطروحة دكتوراه في جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٧م- ١٤٣٨ هـ: ٥٥

[٤]- من الصورة إلى الفضاء الشعري(العلائق، الذاكرة، المعجم، الدليل) ، ديزيرة سقال، دار الفكر اللبناني – بيروت، ط١، ١٩٩٣ : ٩٩

[٥]- الموت في الشعر العربي: ١٥٩

[٦]-الأعمال الشعرية:٢/ ١١٠

المقهى – عن اليأس والحزن ، فتتساوى فيه حالة الانتظار مع حالة الموت[1] ، كما يكشف سياق التحول في شكلية الجليد عن التحول الذي يطرأ على المجتمع ، فيذيب إطار الصلابة والتماسك بين أفراده لتصبح الخطوات حذرة من الانزلاق ، وهي صورة عن حالة القلق واليأس من هيمنة الآخر وبطشه ، وترتبط دلالة الإنطفاء مع حالة الموت والحزن والمصير المأساوي الذي كان صورة متكررة لمستقبل الفرد العراقي المعنَف حيث لا مكان للأحلام والرغبات، فتكشف الأسئلة الاحتمالية التي ترافق حالة الانتظار عن مصير حتمي وهو الموت المؤجل بوصفه نمطاً من أنماط المقاومة للهرب من عنف الآخر وخيانته ، وهي خطوط عامة للصورة المجتمعية التي يتماهى معها الشاعر ،إذ يكتسحها لون العنف وانطفاء الرغبات ، كما يُظهر فيها نمطية العلاقة التي تربط الفرد بالآخر من خلال إتقان الصيغة التي يطرح من خلالها حالة العدمية وصراع الهُوية المجتمعية عبر سيل من الأسئلة الاحتمالية للوجود، فالذات الوجودية تحمل أعباء الألم التي تحفزها مفاعيل السلطة ، وتحاول التخلص من العنف السلطوي من خلال ترسيخ فكرة العبثية واللاجدوى من الحياة والتطلع للمصير المأساوي كمصير حتمي ومخلص للذات[2] ، لتغدو أرواح المغدورين في هذا الوطن رمز عن هُوية مجتمعهم المقهورة:

روحُ فتى فحميَ الشعر

تُحلقُ مثل فراشةِ حقلٍ رُسِمت باللون الاسود ،

في حيٍ لم يُعرفُ بعد

من أحياء بلادٍ سيئةِ الطالع .

كم يبدو الشعرُ طليقاً ، وهو على دراجته!

فحمياً فوق وسادةِ نومه!

روحٌ كجبينٍ معروق في وجهٍ مجهد،

تركت جسداً عند رصيفٍ،

محتفياً بفرادةِ مقتله [3].

تتزامن القصيدة مع تفاصيل الحياة التي شهدها هذا المجتمع في المدَة التي أعقبت سقوط النظام الصدامي وشيوع ظاهرة الطائفية، فجاءت تحمل عنوان (علي) الاسم الشيعي الذي شكل في فترة من فترات هذا الوطن رعباً لحامله ، لترسم مشهداً من مشاهد الفوضى، وهو مشهد القتل على الهَوية الذي يمثل ظاهرة العصبية الطائفية ، إذ أن ((العراقيين في نزاعهم الطائفي كانوا ينسبون كل فريق منهم إلى الرجل الذي يعتبرونه رمز عصبيتهم الطائفية فيقال إن

---

[1]- ينظر: الشغف بالهوية: ٨٥-٨٦

[2]- ينظر: تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي: ٥٠

[3]- قصائد لنهار غائم: ٧

هؤلاء ربع علي وأولئك ربع عمر))[1] فتزايدت حالات القمع والتصفية على أساس مذهبي وهذا ما يدل على فشل الدولة والإدارة التي كانت تقود العراق آنذاك .

تكشف الشخصية عن زيف الواقع من خلال اتخاذها اللون الأسود الذي تعامل معه الشاعر بكثرة في قصائده ، بوصفه دلالة على الحزن والألم والسوداوية التي ألمت به وبمجتمعه[2] ، كما توحي بالتعب الذي أنهك هذا الوطن ، ليتحول الجسد إلى بناء رمزي وليس حقيقة فيكون واقعة اجتماعية دالة على العنف و الهمجيه[3] ، إنها صورة مألوفة من صور التحديات التي أدت إلى انقسامات في الهُوية المجتمعية أنتجت هُويات مذهبية وطائفية وعشائرية وغيرها ، وهذه الانقسامات حولت الجسد الإنساني إلى رقعة صراع ، أي تحويل الجسد إلى منظومة إخضاع بممارسات مختلفة الذي يسمى في المصطلح الشائع الاستعمال السياسي للجسد[4] ، المشهد الذي ألفه هذا الشعب حيث الاغتيال وصرخات الموت المجانية:

كم ألِفَ المارةُ مشهدَ هذا الجسدِ،

وتلك الندبةِ في الرأسِ ،

والصرخةَ ، والموتَ المجان !

لكن أحداً لم يألفَ بعدُ فراشةُ حقلٍ باللونِ الأسود،

ورياحاً تدفعُ كل السفن المأسورةِ، بأناةٍ

كذراعِ فتاةٍ، عن ساحلِ دشداشته... [5]

تقدم هذه الصورة الشعرية مشهداً عن الانحطاط الإنساني الذي وصل اليه هذا المجتمع فالموت والاغتيال اصبح بالمجان ،حيث تشتت العراقيون وانقسم المجتمع إلى طوائف لا تتوانى أن تفتك أحداهما بالأخرى[6] ، الأمر الذي أصبح نموذجاً عن الصراع الهُوياتي فيه ، بالإضافة إلى زيادة معدلات العنف وهيمنة القوي على الضعيف وغلبة حامل السلاح على الأعزل واضمحلال مواريث القيم والأخلاق[7] ، إنها صورة قديمة في تاريخ هذا المجتمع ولكنها تُستحضر كل زمن حتى شكلت هُوية له ، هي نموذج عن الشخصية المهيمنة التي ترى أن السيادة والمكانة المعنوية المُهابة في النفوس لا تتحقق إلا بإلغاء الآخرين وهذا الإلغاء لا يتم

---

[1]- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، علي الوردي ، د.ط ، د. ت : ١/ ٢٢

[2]- ينظر: البنى الاسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢١٣

[3]- ينظر: الشعف بالهوية: ١٩٢

[4]- ينظر: من النسق إلى الذات ، عمر مهيبل، منشورات الاختلاف- الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٧م -١٤٢٨هـ : ٦٠

[5]- قصائد لنهار غائم: ٨

[6]- ينظر، السيرة والعنف الثقافي:٢١٣- ٢١٤

[7]- ينظر: ازمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية: ١١٢

إلا من خلال إسالة الدم و ظلم الآخر[١] ، فتحضر مفردة الرياح بوصفه رمزاً دالاً على الاستعمار والأعداء والخير والشر وهذا ما وظفه العديد من الشعراء في قصائدهم [٢] فإن هذا الصراع يكشف عن كينونة الكائن الهامشي المقطع الأوصال بوصفه مشهداً مألوفاً في هذا الوطن:

طفتُ خنادقكم ماءً ،

تبتلُ به الأردية،

الأحذيةُ،

الأعضاءُ المبتورة ،

والجرذان [٣] .

يتوجه بالخطاب إلى هذا الشعب المتماهي مع المآسي مستعرضاً آلامهم الشخصية والجماعية ، فالخنادق هي رمز الحماية ، والماء هو المعادل الموضوعي للحياة [٤] ، ولكن دلالة دلالة الطفو تمنح السياق بُعداً دالاً على الركود واللاحياة ، حيث يتحول رمز الحماية إلى بؤرة موت وخراب في حياة هذا المجتمع ، فتظهر واضحة صورالقتل والعنف حين تطفو أحذية القتلى وأعضاؤهم المبتورة في مشهد متكرر من مشاهد الحياة في هذه البقعة من الأرض .

يمكن تفسير التشاؤم المنبعث من صورة الموت والقتل بأنه تعبير عن خيبات الآمال السياسية والاجتماعية للذات والجماعة[٥] ، فالنص في تماهيه مع الواقع ينقل صورة الحدث وإحساس الجماعة ليؤكد على إن هذه الصورة التشاؤمية هي هُوية لهذا المجتمع وشاهد من شواهد وجوده ، فالقمع وسياسة تكميم الأفواه سائدة فيه منذ القدم :

كأن الرصاصةَ من كاتم الصوت

أطلقها قاتلٌ منذ سنين

عليكَ . ولكنها لم تصل ، وتؤرخ لهذا الجبين

سوى اليوم ! [٦]

---

[١]-ينظر: النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي، المغرب-الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٥ : ١٢٢-١٢٣

[٢]- ينظر: الرمز في شعر أمل دنقل: ١٧٣

[٣]- قصائد لنهار غائم: ٦٣

[٤]- ينظر: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، علي آيت أوشان ، دار الثقافة – الدار البيضاء ، ط١، ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ : ١٥١

[٥]- ينظر: الموت في الشعر العربي:٣١٤

[٦]- قصائد لنهار غائم: ٧١

يكتب هذه القصيدة مرثاة للكاتب والصحفي (كامل شياع) الذي أُغتيل عام ٢٠١٢ فيرثيه بتحويله إلى رمز للمجتمع الذي سادت فيه ثقافة القمع ، فيصور الرصاصة التي أردته قتيلا قد أطلقت منذ زمنٍ في هذا الوطن وعاثت فيه موتاً وفواجع حتى وصلت إليه اليوم.

يحيل التأكيد على وجود مفهوم القمع السلطوي إلى مظاهر الصراع وأزمة الهُوية الذي تبرزه ((صورة انقسام المجتمع بين طبقة محكومة وأخرى حاكمة ، وزيادة المسافة بينهم في المظهر والفكر وأسلوب الحياة ، ونمو كل منهم في اتجاه متباعد ، وضياع الاحساس بالوطن ، وزيادة مشاكل الاندماج في المجتمع والتعامل المؤقت معها وليس الجذري والتربص بالآخر))[١] كل هذا يحول المجتمع إلى قطيع غاب حيث يتخفى القاتل و يصغي المقتول إلى الموت برضى وابتسامة :

رأيتُك بين الزحام،

تقابلُ سحنة قاتلك المتخفي وراءَ اللثام

رضياً ومبتسماً ،

ووفياً بوعدك[٢] .

يقف كامل شياع الذي يمثل عند الشاعر نموذجاً عن الفرد العراقي المفكر صاحب الفكرليواجه خسة قاتله بصلابة ورضا وإيمان بمبدأ عاش وقُتل عليه ، إذ تعني فكرة اغتيال مثقف بهذا الوعي قتل لأي حلم في تغيير واقع هذا الوطن المأساوي ،أو مزاحمة وحوش السلطة في التقدم وشغل المناصب العليا ، لأن مصير هذا سيكون القمع والتهميش ، فكثير من مظاهر تهميش دور العقل وغياب الوعي يكون ثمرة لسطوة القمع ضد الشخصية المثقفة بوصفها احتجاجاً صامتاً ومكبوتاً ضد استعلاء الآخر المهيمن والاستلاب والقهر[٣] ، ولهذا فإن اقتلاع جذر كامل شياع من هذه الحياة وجذور جموع كبيرة من أبناء هذا الوطن تكشف عن أيديولوجية العنف والتنكيل التي تتبناها الحكومات المتعاقبة على هذا المجتمع حتى استحال إلى كيان مستلب الهُوية ، حيث يُغيَب الأفراد وتكمم الأفواه وينتشر الموت:

سأكتبُ عن إخوةٌ حلَقوا في مخالب نسرٍ وغابوا،

عن الصمتِ كالصمغِ فوق الشفاه.

عن الكلماتِ التي نسجت شرك العنكبوت.

أو الكلمات التي لم تعد كلمات.

---

[١]- أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية ، عبير بسيوني رضوان : ١١١

[٢]- قصائد لنهار غائم: ٧٢

[٣]- المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي ، فاضل ثامر ، دار ، سورية – دمشق، بيروت- الحمرا، بغداد- ابو نؤاس ، ط١ ، ٢٠٠٤ : ١٣

عن الحكمةِ المستعادةِ كالرملِ في ساعةِ الرمل،

عن جثثٍ كم توارت بأحشاءِ تاريخنا

التي لاتكلُ عن الاجترار [١].

يتخذ من دراما الواقع العراقي ومشاهده انعكاسات عن الهُوية المجتمعية التي برزت وبشكل ملحوظ في هذا الوطن فيعرضها في قصائده كاشفاً الألم الوجودي الذي يعيشه الفرد في هذا المجتمع ، حيث التغييب في مصارع المجهول يطوي ذوي الفكر المنادي بالحرية الذين أخذوا على عاتقهم المطالبة بحقوق الضعفاء ، فالتغييب بوصفه فعل قمعي انتهجته الأنظمة القهرية للتحكم في المجتمع يقوم على محورين هما الاستبداد والعنف لترسيخ هواجس الخوف والإذعان في الذات الإنسانية وشلها عن الحركة المضادة [٢] .

تبرز سياسة تكميم الأفواه بوصفها نوعاً من أنواع القمع الفكري الذي يعطل الفكر ويبرمجه على وفق ضوابط الآخر ، لتبقى الكلمات الصادحة فقط الكلمات الواهنة مثل شرك عنكبوت ، فالتحدي الأكبر لهُوية المجتمعات يكمن في استعمارية السياسة الحاكمة التي تسودها، وتتجه إلى تنميط الفكر الاجتماعي وفق معاييرها ، كما تفرض هُوية شمولية على هذا الواقع في إطار من الإجماع الإجباري والتوافق القسري [٣] ،وفي خلفية هذه الصراعات يكون الموت ومشهد الجثث واقعاً مألوفاً للمجتمع العراقي ، إذ بات جزءاً لا يتجزأ من تاريخ هذا المجتمع الذي لا يكف عن إعادة الزمن بوجوه قمعية مختلفة:

زائرتي في الليل ،

نحن بنينا لغة الموت وذقنا لبن الخسارة

...زائرتي، نحنُ قتلنا السنين

ولم نر التاج ، ولا الإمارة! [٤]

يستعمل أسلوب السرد للحديث مع زائرته / الذكرى كاشفاً عن صراعات مجتمعه ووطنه، فيتماهى مع الجماعة عبر استعماله للضمير(نحن) الذين كانت الحياة بالنسبة لهم مواجهة مع الموت بسبب الظرف الاجتماعي والتمرد الذي انتهجته أغلبية هذا المجتمع ضد الأوضاع في هذا الوطن ،حيث أمضى هذا المجتمع حقباً زمنية في تأمل أن يكون القادم أفضل ولكن تأملاته تلاشت هباء.

---

[١]- الربع الخالي وقصائد أخرى ، فوزي كريم، المدى للإعلام والثقافة والفنون، بغداد-أبو نؤاس، بيروت – الحمرا، سورية- دمشق، ط١، ٢٠١٤ : ١١

[٢]- ينظر: سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور ،صاحب الربيعي، صفحات للدراسات والنشر، سورية- دمشق، ط١، ٢٠٠٧ : ٥٠

[٣]- ينظر:أزمة الهوية والثورة على الدولة :١٠٧

[٤]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٢٢٥

ينطوي الشكل السردي الذي يقدمه الشاعر على إبراز الهوية المجتمعية السائدة حيث القمع والموت وخسارة الأحلام ، فتظهر فيه هُويات مختلفة حسب مقومات نشوئها منها المشرعنة التي تنتجها المؤسسات المهيمنة من أجل أن تديم هيمنتها ، والمقاومة التي تنتج عن انشطار الواقع نتيجة سلوك العناصر المهيمنة ، وأخيرا المصممة التي يتصورها الفاعلون في المجتمع من أجل الحفاظ على هوياتهم الأصلية ومكانتهم في المجتمع [1] ، وبصورة عامة تميل الهُوية المجتمعية العراقية إلى التشاؤمية وانعدام الملامح ، كما توحي بالانغلاق والسواد دلالة على الظروف التي سادت على هذا المجتمع وإلى مستقبله المجهول ، ومرد هذا إلى هيمنة السلطة وتهميشها للآخر/ الفرد حتى تلغي أي سيادة غير سيادتها فلاصوت يعلو فوق صوتها.

[1]- ينظر: القبيلة والقبائلية أو هويات مابعد الحداثة: ٥١

المبحث الثاني

تمثلات الإرث المجتمعي في العراق:

مرت على الوطن العربي عموماً والمجتمع العراقي خصوصاً ظروف اقتصادية ونفسية متباينة أسهمت في تشكيل حالات الفقر والحزن وخيبة الأمل، التي يمكن فهمها على أنها: و قوع الفرد في موقع الدونية وظهور حالة من اختلال التوازن بينه وبين الآخر فلا يجد له سبيلا سوى الرضوخ والتبعية ، إذ تنسحق انسانية الإنسان وحقه في الوجود إثر تضخم الذات المتسلطة[١] ، مما يؤدي إلى طغيان مشاعر الكآبة، وهذه الهُوية لا يمكن فهمها بمعزل عن الأسباب التي ساهمت بخلقها والتي تشكل في أغلبها صراعات من أجل تحقيق الذات و استرداد الحقوق، فكان الشعراء يلحون على إبراز هذه الجوانب بوصفها هُوية مجتمعية تلازم المجتمع العراقي إذ ظهرت في الغالبية العظمى من قصائدهم حتى أصبحت وكأنها هُوية الشاعر والمجتمع في آن [٢]، وفوزي كريم يحمل هذا الألم الوجودي في شعره ويجعله ثيمة لقصائده التي ارتبطت بهموم المجتمع والوطن التي كان شاهداً عليها ، حاضراً فيها أومنفياً عنها ، إلا أنه كان شديد الإرتباط والإحساس بها ، فهو يميل إلى التمرد على هذه القضايا والهموم مما جعل لشعره نمطاً خاصاً في التماهي مع الوضع العام للمجتمع وظروفه يستمد منها مادته بإيقاع رافض وصاخب تارة وشجي ومتألم تارة أخرى، فكل إنسان له شخصيتين أحداهما ترغب في الخضوع لقواعد المجتمع والأخرى تحاول أن تثور عليها[٣] فيحاول أن يوفق بين اندفاعاته وحاجاته من هذا المجتمع وما يفرضه هو عليه ، وهذا ما يؤكد على أن نفسية الفرد في المجتمع وما يتكون حولها هي من خلق الجماعة التي ينتمي إليها أو صورة منعكسة عنها[٤]، ليبرز خطابه الشعري بوصفه وثيقة تصوير لحالة المجتمع والفرد ، وإدانة لكل من ساهم في وصوله لهذه الحالة المأساوية.

١- الفقر نسقاً ثقافياً:

تمثل قضية الفقر أبرز القضايا التي هيمنت على المجتمع العراقي التي تناولها أكثر الشعراء والأدباء في مدوناتهم ، حيث تشكل هُوية مجتمعية بارزة في المراحل التي أعقبت فترة الستينيات ، فالثورة التي يفترض أنها قامت من أجل تحرير الشعب جلبت له أبشع الدكتاتوريات التي ظلت الواحدة منها تعقب الاخرى حتى تحول الشعب إلى ظلال أحياء والبلد بكل طاقاته

---

[١]- ينظر: التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكلوجية الانسان المقهور ، مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب، بيروت –لبنان ، ط٩، ٢٠٠٥: ٣٩

[٢]- ينظر: الشعر العربي المعاصر: ٣٥٢

[٣]- ينظر: شخصية الفرد العراقي: ٤٤

[٤]- ينظر: المصدر نفسه: ٣٧

الاقتصادية إلى خرابة[١]، ولاسيما بعد دخول العراق في الحرب مع الكويت وفرض قرار العقوبات والحصار الإقتصادي على المجتمع ، حيث عانى الشعب من مصاعب مرعبة بعد هذا القرار ما أدى إلى تحول مكانته من دول العالم الأول إلى مكانة دول العالم الثالث الفقيرة[٢]،حتى أصبح الفقر في هذا الوطن ظاهرة بالغة التعقيد والتشابك ومن ثَمَّ أصبحت دافعاً للعديد من الثورات والاضطرابات السياسية ، بوصف الفقر من أبرز محرضات سلوك العنف لما يخلقه في الذات الانسانية من احساس بالإحباط والعزلة وعدم الشعور بالأمان ، بالإضافة إلى إرتباطه بشكل غير مباشر بانخفاض المستوى التعليمي والأمية في المجتمعات الفقيرة[٣]، فأصبح مفهوم الفقر مصدرَ إلهام للمثقفين والمفكرين والمصلحين الاجتماعيين كونها تدور حول مفهوم حرمان فئة معينة من فئات المجتمع من أبسط حقوقهم الإنسانية[٤]، ونظراً لاندماج الشاعر نفسياً واجتماعيا مع قضايا الوطن الذي يتماهى معه بكل ظروفه وقضاياه لم يبتعد عن مسألة الفقر والجوع في قصائده بل أفرد لها نصوصاً مميزة حملت أبعاداً دلالية واضحة :

((بغداد لي))

وأنتِ لي ، يازهرة السلام.

الجوعُ فيكِ قاربٌ يتيه ، والربان

ممثلٌ جبان..[٥]

يظهر الشاعر حالة المدينة – بغداد- بعد أن استحالت إلى بحرمتلاطم من المآسي والمعاناة ، ليظهر الجوع بوصفه قارباً يحمل أبنائها إلى وجهته المجهولة ، يقوده ربان جبان إشارة إلى زمن سيادة الجماعات الدكتاتورية التي خلقت التفكك والإحباط والفقر[٦]، وهذه المعاناة التي أفرزتها مراحل متتابعة من استلاب الحقوق والتنكيل بهذا المجتمع من كل النواحي كانت منهجاً لإضعاف القيم الإجتماعية والكفر بالقيم الروحية والاجتماعية بواسطة أداتي الفقر والجوع ، حيث أن انحلال هذه القيم يتسبب في نشر الفوضى والعنف في المجتمع[٧]، وهذه غاية غاية السلطات الجبانة التي تسلطت على هذا المجتمع وحرمته من أبسط حقوقه ، إذ مثل اتساع ظاهرة الفقر فيه غياب العدالة الإقتصادية والإجتماعية، إذ تعد السياسات الموجهة لخدمة

---

[١]- ينظر: الروح الحية – جيل الستينيات في العراق ، فاضل العزاوي ، دار المدى للثقافة والنشر ، سورية- دمشق ، بيروت- الحمرا، ط٢، ٢٠٠٣ : ٦٨

[٢]- ينظر: موجز تاريخ العراق ١٩١٤-٢٠٠٨: ١٢٥

[٣]- ينظر: العنف الاجتماعي -دراسة لبعض مظاهره في المجتمع العراقي مدينة بغداد انموذجا: ١٢٩

[٤]- ينظر: الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي، عبد الرزاق الفارس، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا- بيروت،ط١، ٢٠٠١م: ١٩

[٥]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٦٣

[٦]- ينظر: المجتمع العربي في القرن العشرين- بحث في تغير الأحوال والعلاقات، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، ط١، ٢٠٠٠: ١٧

[٧]- ينظر: سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور: ٨٠

مصلحة طبقة دون أخرى هي أهم آليات إنتاج الفقر[١]، وهذه السياسة سادت في المجتمع العراقي حتى أصبح الفقر والحرمان هُوية بارزة له:

- هل عرفت الجوع؟

- الجوعُ صديقي

منذُ صار الخبزُ جرحاً في بلادي[٢].

يشكل الفقر مفارقة سلبية في بلد يحمل أنواع الثروات والإمكانيات الطبيعية ، حتى أصبحت الأشياء التي ليست ذات قيمة كبرى مثل الخبز معضلة ، والحصول عليها مشقة للإنسان الكادح و-جُرح للبلاد- ، كما يرمز الخبز للحقوق المسلوبة للإنسان ، لأن أغلب الثورات تنهض للمطالبة بقوت الحياة ، و يعد الفقر بما يشتمل عليه من حرمان وفاقة وأمية مصدرا من مصادر السلوك العدواني للمجتمع حيث يمثل إشباع الحاجات الأساسية للفرد المحور الاساس لتفاعلاته السلوكية ، و أي اضطراب في القاعدة المعاشية التي يمكن أن تعيق الاشباع سوف ينعكس على احترام الفرد للقوانين[٣] ، وإن نظرة الشاعر الناقدة للحياة متأتية من من اندماجها فيها وفهمها لأبعادها وهذا متحقق بفعل التجربة والمعاناة وإدراك العوامل الفعالة فيها وما موقفه منها إلا نتيجة لهذه المعاناة ومعرفته التحصيلية هذه[٤]، فيحاول من خلال نظرته نظرته هذه إلى خلق عالمه الشعري باستعماله مفردات مرتبطة باستمرارية الحياة مثل الخبز والماء ،ويوظف مفردة الخبز مع الخسارة دلالة استلاب الحق العام والشرعي من قبل الآخر:

نُحدثُ أنفسنا يا ليالي

بأنا مع الخبزِ جئنا

ومنه اصطفينا الخسارة،

وعلمنا أن نغامر صوب الغياب

وعبر الحروف المُعارة

وكلمنا: أن نجوع مع الجائعين[٥].

يوجه خطابه لليل كاشفاً عن أحاديث النفس الخفية فاضحاً حقيقة هذا المجتمع المتهالك ، وهو في اختياره لليل إشارة لما تمثله دلالة العتمة والدجنة من قلق وشر[١]، وإنه حين يتحدث

---

[١]- ينظر: الفقر والفساد في العالم العربي ، سمير التنير ، دار الساقي ، الحمرا- بيروت ،ط١، ٢٠٠٩ : ٥١-٥٢

[٢]- الأعمال الشعرية: ١٥٢/٢

[٣] - ينظر: العنف الاجتماعي دراسة لبعض مظاهره في المجتمع العراقي مدينة بغداد انموذجا: ١٢٨

[٤]- ينظر: الشعر في إطار العصر الثوري، عز الدين إسماعيل، دار القلم ، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٧٤ : ١١

[٥]- الأعمال الشعرية: ٢٦٢/٢- ٢٦٣

بصوت الجماعة وتقصيه عن وجوديتها إنما يبحث عن هُوية لها حيث ((يوجد بين الهوية الجمعية والهوية الفردية علاقات متراصة قد تتناقض وقد تتعاضد لترسم خارطة الهُوية بإحداثيات شخصية وجماعية))[٢] ويصور بأن وجود هذا المجتمع قد تم مع وجود الخبز لوصفه المادة الأولى في الأكل ، فهو ليس كل شيء، ولكنه أول الأشياء، ولامعنى للأشياء التي تعقبه من دون وجوده[٣] ، واستعماله لهذه المفردة تحديداً لأنها تمثل الجذوة التي تشتعل منها ثورة المجتمعات وتتحدد منها قضية الربح أو الخسارة ، ولكن هذا المجتمع كان قدره الخسارة التي لم يصطفيها بملء إرادته ولكن عجزه عن المقاومة والوقوف بوجه العدو كان سبب ذلك ، فكان للخبز أن يدله / هم على طريق الغياب لكي يتلافوا موتهم جوعاً أو غدراً وكان قدره/هم أن يجوعوا مع الجائعين وهو التماهي مع هذه الفئة المنسحقة في غياهب مستقبل هذا البلد المجحف.

يبرز الفقر بوصفه هُوية سائدة وقارة في جبين هذا المجتمع، فالصورة الشعرية التي يرسمها تفصح عن حالة الأسى التي وصل اليها المجتمع بسبب الفقر والحاجة، مما دفعه إلى الإعتزال والترقب أملاً في واقع أفضل ، لكن هذا لا يتم في ظل هيمنة السلطات الدكتاتورية المتعاقبة على هذا الوطن ، ما جعل الحزن والألم يخيمان على الجو العام له حتى لم يعد هناك فسحة للعيش الكريم ، إذ تتشابك قضية الفقر مع قضايا كثيرة في هذا البلد منها قضايا التنمية وقضايا الإصلاح الإقتصادي وطريقة الحكم وممارساته السياسية [٤]، ما جعلها قضية معقدة شغلت ذات الشاعر حتى تسربت في نسيجه الشعري ليكتب شعر الجوع والفقراء:

وأتيتُ مسبل الكتفين. في يدي شعرٌ ، جوعٌ

في هُدبي ، وعلى صدري مفازةٌ للفقراء.

وفي قلبي غصنٌ لعيونكم أنتم.

فكلُ دمعةٍ تُنبتُ زيتونةً ، وكل حزمةٍ من كآبتي

تفتح أبواب الإنسان[٥] .

تقوم نصوصه المرتبطة بقضايا المجتمع على وعي كبير بالنقد، فهو لا يكتب لمجرد الكتابة بل يعالج قضية مهمة حيث يعد العالم الشعري له ((نموذجاً للعالم الواقعي ولكن علاقته به هي غالباً علاقة ذات طبيعة معقدة ، فالنص الشعري آلية جدلية عميقة ذات قوة طاغية للبحث عن الحقيقة وتأويل العالم المحيط ومحاولة التغلغل إلى داخله)) [٦] فيظهر الانفعال

---

[١]- ينظر: من الصورة إلى الفضاء الشعري(العلائق، الذاكرة، المعجم، الدليل):٢٠

[٢]- بول ريكول ، الهوية والسرد: ٣٣

[٣]- ينظر: مقال بعنوان(الخبز أكثر من الورود)، آمال موسى، موقع جريدة الشرق الأوسط الالكتروني، ٢٠١٧م -١٤٣٩هـ، ، العدد ١٤٢٠١

[٤]- ينظر: الفقر والازمة الاقتصادية، اسماعيل سراج الدين- محسن اليوسف، اصدارات مركز ابن خلدون- القاهرة، دار الامين للنشر والتوزيع- القاهرة، د.ط، ١٩٩٧: ٢٥

[٥]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٢٢٧

[٦]- تحليل النص الشعري(بنية القصيدة)، يوري لوتمان، تر: محمد فتوح أحمد، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط، د.ت: ١٨٤

واضحاً في مطلع هذه القصيدة متوشحاً بنزعة الأعتراف بالضعف فهو لا يحمل في يديه ما يدافع به عن هذا الشعب المتهالك سوى الشعر، يسخره ليحمل أوجاعهم ، وثيمة (الجوع) تصور المأساة التي حلت بهذا الشعب فهي تحمل معاني الهيمنة والسيطرة والإذلال لفئة معينة ، إذ تتجلى ظاهرة الفقر بين أوساط هذا الشعب فتعيش نسبة مهمة في حالة حرمان ساحق في الوقت الذي يمتلك البلد ثروات طائلة ، كما يعاني المجتمع بسبب حالة الفقر هذه من حالة تبعية داخلية تجعل المتبوع يمارس مختلف أنواع الإستغلال والقهر والإذلال بحق تابعيه فيجعلهم يعانون معاناة مزدوجة[١]، ولأن الفقر أنيق يحمله وسام على صدره فيفخر بالفقر والفقراء ليخضر في القلب غصن محبة وسلام .

تتحقق الهُوية المجتمعية من خلال اندماج النص بقضايا هذا المجتمع ، لأنها ((قضية الإنسان المعاصرة هي قضية الحرية والمسؤولية ... وقد صارت في عصرنا الحاضر أكثر حدة وأشد بروزاً نتيجة للتطورات التي أصابت حياة الفرد والجماعة والعلاقة بينهما))[٢] فيسعى من خلال قصيدته هذه أن يحدد موقفه من الصراع حيث لا يمكن أن يكتفي بمشاهدة هذا الشعب ينسحق فقراً وجوعاً دون أن يحمل صدى صرخاتهم في شعره وهذا ما يدل عليه رمز (الزيتونة) النابتة من دمعه ، فهو بكل اقتدار يخرج الدلالات من ألفاظها ليرسم هموم الوطن والإنسان ، لأن التعبير عن الوضع الاجتماعي بكل جوانبة السلبية والإيجابية يشكل أهمية عظيمة بالنسبة له ، لا كواجب عليه بل لأنها طريقته في المشاركة الفعالة في هذا المجتمع ، لأن العلاقة بين نتاج الشاعر والمجتمع علاقة تكاملية وكذلك العلاقة بين نتاج الشاعر والمناخ الفكري والشعوري الذي يبعثه على التعبير[٣]، ويوظف الكائنات الخارقة للكشف عن رغبته الانسانية في تغيير واقع الفقراء المجدب ولتنبت أراضي أيامهم القاحلة :

يا فقراء الأرض يا صحارى

يا نبضة الجليد، يا

قافلة الزمان

تفتحي للجان[٤].

تمثل فئة الفقراء أغلبية الشعب العراقي فيستعير لهم الشاعر لفظة (الصحارى) في دلالة على القفر والجدب الذي يعانونه وهو تعبير واضح عن هُوية مجتمعية سائدة ، حيث ارتبطت هذه المفردة ((بالجفاف والظمأ والجوع والامتداد الفسيح واقتحام المجهول))[٥] ولكنهم

---

[١]- ينظر: المجتمع العربي المعاصر:١٨-١٩

[٢]- قضايا الانسان في الأدب المسرحي المعاصر، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي- القاهرة، د.ط، ١٩٨٠: ٣١٤

[٣]- ينظر: ت.س إليوت الشاعر الناقد (مقال في طبيعة الشعر)، ف. أ ماثيسن، تر: إحسان عباس، المكتبة المصرية، بيروت- صيدا، د.ط ، د.ت: ٦٠

[٤]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٤٩

[٥]- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، نعيم اليافي ، صفحات للدراسات والنشر، سورية- دمشق، ط١، ٢٠٠٨م :١٠٥

الصامدون بوجه الأسى ، حيث يستعمل لفظة الجليد للإشارة إلى مدى القوة والتحمل في كيانهم الانساني ، ويؤنسن بعدها القافلة ويتوجه اليها بالنداء ، هذه قافلة الفقراء التي تسير نحو الأبدية ، إذ يدعوها لأن تستقبل (الجان) بوصفهم رمز عن قوة خارقة يطالبها بانتشال هذا المجتمع المسحوق وتغيير واقع حياتهم الأليم والقاسي ، فالمجتمعات المضطهدة تعاني من الظلم والإفقار والتجهيل من أجل إضعافها والسيطرة عليها وبوصفها عاجزةً عن رد الظلم وإزاحة الطاغية تلجأ إلى الخرافات والامور الغيبية والسحر وكائنات أخرى غير انسانية من أجل إيجاد نوع من التوازن النفسي الكاذب لها[١] ، وإن توجهه نحو قوة سارية في الكون مثل الجان يأمل بواسطتها أن يتغير الظرف العصيب ويستعيد الشعب أيام عزه وخيراته ويعود الحق إلى الفقراء ليهنأوا بلقمة عيشٍ مباركة، وهذه الأفعال في حقيقتها لا تصدر عن أي كائن روحاني ذي شخصية محددة بل يقصد تلك القوة الحيادية فوق الخير والشر[٢]،هي ابتهالات الشاعر متوسلاً بكل الكائنات لانتشال الحياة من بؤسها وإنقاذ ما تبقى من غصون هذه الأرض قبل أن تسحقها عجلات الفقر والحاجة ، ويكشف عن حال المدينة بعد أن مارس الآخر مختلف أساليب الجور والحرمان في حقه حتى طال أضعف أفرادها – الأطفال- الذين لم يأمنوا من لدغة الفقر :

في هذه المدينة النائية

أرى صديقاً يتحاشاني

وأفراحاً على عكازة تقطعُ صحراء من الأسمنت،

طابوراً من الأطفال ، طابور دمى عارية العظام[٣].

تشير ظاهرة الفقر المجتمعي إلى حالة الحرمان والتهميش ونقص في سبل العيش ما أدى إلى ارتفاع في معدلات الوفاة وتدني المستويات الصحية والتعليمية ، فيؤكد الشاعر على تغلغل هذه الظاهرة في نسيج هذا المجتمع وتعمقها لتكون صورة أو هُوية دالة عليه.

يقدم هذا النص وثيقة عن مأساة المجتمع في ظل النظام الدكتاتوري ومدة الحصار الإقتصادي على العراق ، ففي هذه المدينة النائية المنقطعة عن سبل الحرية والديمقراطية تفككت أواصر الوحدة المجتمعية وبات الفرد يحذر من صاحبه خوفاً من غدره وارتياباً من انتمائه ، وشاخت في هذا البلد الأفراح بعد أن سادت حالة الفقر والعوز، إذ كان للحصار الاقتصادي على العراق بعد حربه على الكويت الذي التزمت به غالبية الأنظمة العربية آثاراً اجتماعية خطيرة ، حصد أرواح ما يقارب من ١,٨ مليون نسمة غالبيتهم من الأطفال ، فضلاً عن انتشار الأمراض وتدهور الصحة العامة[٤] ،فغدا أطفال هذا الوطن صورة لكائنات من عظم وجلد، وهذا المشهد

---

[١]- ينظر : سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور: ٢٢

[٢]- ينظر: الأسطورة والمعنى –دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، فراس السواح، منشورات دار علاء الدين –دمشق، ط٢، ٢٠٠١: ١٣٠

[٣]- الأعمال الشعرية: ٨٣/١

[٤]- ينظر: التحول الديمقراطي في العراق: ١٥٢ ، للاستزادة ينظر: الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي ، عبد الرزاق الفارس ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠١ : ٦١

بقي يتكرر في هذا الوطن ، ليكتب عام ٢٠١٣ قصيدته (أسافر للمرة الألف) ويأتي مقطعها السابع بالصورة نفسها:

أرى وطني يتضورُ جوعاً.

وكل لقاح الحقول فقاقيعٌ في الريح سرعان ما تتفجر، كل النخيل

شواهدُ موتى أقاموا ، وأخرى شواهد للنازحين.

أراه هياكل عظميةٌ تتأرجحُ فوق حبال الغسيل [١].

تكرار صورة الجوع التي عصفت بجبين هذا المجتمع لم تأتِ اعتباطاً من قبل الشاعر إنما كان يهدف إلى كشف مأساة هذا الشعب الأزلية وتعاقب حقب التهميش والاستلاب عليه ، فإن الفقر والجوع كان له عدة وجوه في هذا الوطن منها : عدم توفير الرعاية الصحية ، والتخلف ، والحرمان من التعليم ، كما يرتبط أيضاً بضياع الحقوق ، ومنع الأشخاص من المشاركة في المجتمع وهو ما يعرف بالإقصاء الاجتماعي، وكل هذه الأمور كان وراءها عدم الإستقرار السياسي وتفشي البطالة وتزايد الهجرة والاضطراب الاجتماعي[٢]، وهذا ما رسمه لنا الشاعر من خلال الدلالة النصية للكلمات **(الموتى، النازحين، هياكل عظمية)** حيث النخيل تتحول إلى شواهد للموتى والنازحين ، دلالة على كثرة حالات الموت والتصفيات الجسدية ونزوح الافراد من مناطقهم ومدنهم قمعاً وتهميشاً، والهياكل العظمية توحي بحالة الاضطراب والفوضى والحرمان الذي يعاني منه هذا الشعب.

تعددت جوانب الفقر في المجتمع العراقي ، حيث لم يكن في المأكل والمشرب والدخل أو ندرة فرص العمل ، بل اشتمل على تهميش طبقة من المجتمع وإبعادهم من المشاركة في صنع قرارهم وحرمانهم من الخدمات الاجتماعية كما يرتبط بإحباط الآمال لأجيال بأسرها[٣] ورغبة الشاعر بإظهارهذه القضية على السطح الشعري جاءت من باب الدفاع عن الذات الإنسانية المضطهدة والوقوف بوجه جبروت الآخر الذي يمارس شتى اساليب التهميش القسرية.

٢- الحزن هُوية عراقية:

تحول الحزن في المجتمع العراقي عبر الزمن من مجرد كونه انفعال بشري آني إلى سمة من سمات الشخصية العراقية بسبب الظروف التي مر بها هذا الوطن كالحروب ومخلفاتها من شهداء وأسرى وسيطرة السلطات الدكتاتورية التي مارست هيمنتها عبر القتل والاعتقال والتعذيب ، فانقسمت الشخصية العراقية إلى نوعين الأولى الشخصية المغلوبة والثانية الغالبة

---

[١]- الربع الخالي : ١٠
[٢]- ينظر: الفقر والفساد في العالم العربي: ٥٧
[٣]- ينظر : الفقر والأزمة الإقتصادية: ١٣

مما أدى إلى خلق نوعين من العاطفة ،عاطفة القوة والغلبة وعاطفة الحزن والشكوى[١]، إنها حالات مهمة في النفسية العربية والعراقية ، ولكنها في الأخيرة واضحة بقوة بسبب دكتاتورية الحكومات المتتابعة على السلطة وحالة الوعي بالواقع ومحنة الذات ، فهي منذ العصور الماضية تعيش في صراع بين الواجب والواقع لكنها كانت بعيدة عنه ، و في العصر الحديث برزت وتطور وعيها وواجهت نفسها والعالم الخارجي ما أدى إلى اصطدامها بهما وكلما تطور وعي الذات زادت محنتها[٢]، وهيمنت عليها مشاعر الحزن والقلق ، فالفرد العراقي لم يسلم من تبعات هذه الحالات النفسية ما جعل هُوية الحزن إطاراً واضحاً للمجتمع على مر العصور.

وقد أثرت النتائج البشعة التي خلفتها الصراعات السياسية وما تمخض عنها من موت ودمار، وتأثير الشكل السلطوي الذي بث فكره وإرهابه في نفسية الشعب ، حيث إن سياستها كانت تقوم على بلورة الفكر الاجتماعي بما يخدم مصالحها فهي لاتمارس تأثيرها على الجسد بل تتغلغل داخله حتى تغزو باطن الذات[٣] ، لذا كان من الصعب التخلص من هذا التأثير ما ولد عنه حالة حزن أزلية:

من يقتفي حزن العراقيين،

من يصغي إلى النوح المبكرِ في اغانيهم ، هناك

في كل منحدرٍ كئيب،

في كل بابٍ مشرعٍ للرمل،

في زمنِ البداوةِ، يستعيدُ مع المغيب

سلطانه،

في موكب الشهداء ، ينتهك المنازل بالنحيب[٤] .

يسرد حكاية حزن هذا المجتمع، فيتوغل فيه ويعاين أوجاعه محاولاً استثارة حماس القارئ عبر ادواته الواقعية مثل (**الأعداء والقهر والظلم**) ولا يقدر إنسان أن يتملص من تأثيرها ،لا بسبب الشعر وحده ، بل بفعل الروح الثورية والشعور بالمسؤولية المجتمعية الذي يشغل عقل الإنسان العراقي وروحه في خارطة هذا الوطن سيء الطالع[٥]، فتمتزج معاناته مع معاناة مجتمعه وينتشر الحزن في كل مفاصله ، منحدراته الكئيبة والأبواب المشرعة للرمل ، ويقصد بها ((الشيء الذي لا يساوي قيمة وهو الناس قليلو العقول... وهو يحمل دلالة الانكسار

---

[١]- ينظر: شخصية الفرد العراقي: ٥١

[٢]- ينظر: الشعر العربي المعاصر: ٣٥٧

[٣] - ينظر: الحياة النفسية للسلطة ، نظريات في الاخضاع، جوديث بتلر تر: نور حريري، دار نينوى للدراسات والنشر ، سورية- دمشق، ط١، ٢٠٢١م- ١٤٤٢هـ: ١٠٣

[٤]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٨

[٥]- ينظر: شاعر المتاهة وشاعر الراية: ١٥٢

أو يوافق الانحناء للتافه))[1] وهذه مشاهد مألوفة في هذا المجتمع الذي ضم النقيضين الخضوع والتمرد في زمن البداوة ، وترمز لفظة البداوة إلى النزوع نحو الاستقلالية الفردية والاجتماعية كون البدوي يتصف بالنزوع إلى الرفض وحب الحرية والاستقلال والانعتاق من النظم التي تقيده[2]، لكن السلطة الحاكمة عمقت الفجوة بين ما يحلم به الفرد ويطالب به وما هو حاصل عليه ، فيتسلط الحزن على المجتمع ويمارس سطوته وسلطانه وينتهك البيوت بصورة موكباً للشهداء، وهي صوره بقيت راسخة في فكره يحملها هماً مغروساً مع هموم مجتمعه الأخرى وهو يعانق الألم، فإن أهم عناصر الانتماء ((التماهي مع ما ينتمي إليه الإنسان فيكون الاعتزاز والتضامن والتوحد ، وبالتالي المشاركة في الإنجازات والإخفاقات ، والأفراح والأتراح، إنها وحدة المصير والمعاناة))[3]، فيخلق عوالم قصيدته من ظروف الواقع والمجتمع ليعبر عن موقفه وموقف هذا المجتمع الرافض:

لِمَ الهمُ يا شعبُ! كوكبنا سارحٌ

ومجرتنا تتلألأُ مثل عروس

من الزنج

ما الهمُ يا شعبُ! هذا متاهُ

يليقُ بنا .

وما هذه الريح تدفعنا ،

سوى رغبةٍ لمتاهٍ سواه ![4]

كان التمزق المجتمعي بفعل الآخر/ السلطة مصدر حزن عميق لهذا الشعب ، فيخاطبه الشاعر مستنكراً شعور الهم وما يرافقه من مشاعر القلق والحزن ، ويتحول الشعر لديه إلى أداة للاحتجاج تدريجياً وفي أحيان أخرى أداة للمواساة[5]، فالشاعر ابن هذا الوطن ومرتبط بهذا بهذا المجتمع وقد عانى نفس ما عاناه أفراده لذا كانت مشاعر الهم والحزن مشتركة ، وإن التوترات النفسية التي يشعر بها الانسان وما يرافقها من شعور بالحزن والكآبة ناجمة عمّا يتعرض له من تهميش وعزل وإقصاء فينتابه شعور باللاإنتماء وعدم الارتباط بالنسيج الاجتماعي واختفاء شكل العلاقات الحميمة المعهودة فينطوي على نفسه ويسيطر عليه شعور الفردانية والوحدة[6]، حتى أصبح الحزن سمة تميز هذا الشعب وتفرده فهو منذ الازل تتقاذفه الهموم وموجات الصراع بأشكاله المختلفة حتى تماهى معها وتآلف ، فإذا اردنا معرفة الابعاد

---

[1]- الهوية والآخر: ٦٠
[2]- ينظر: المجتمع العربي في القرن العشرين: ٢٠٤
[3]- المصدر نفسه: ٦٢
[4]- آخر الغجر: ٦٩- ٧٠
[5]- ينظر: رهانات شعراء الحداثة: ١٠٥
[6]- ينظر: الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي:١٣

النفسية والروحية له ما علينا الا إلقاء نظرة على حالة الصراع التي عاشها هذا الوطن وما رافقها من أزمات لعل أهم مظاهرها وأعمقها اليوم هي عدم الاحساس بالأمن والميل إلى الإنطواء على النفس ومجانبة المواقف الإيجابية تجاه الواقع والركون إلى موقف السلبية المتمثلة في رفض الذات والآخر معاً[1] ، وكل هذه الظروف والصراعات خلقت مشاعرحزن واضحة تركت تأثيرها على النسيج العام للشعب حتى الوقت الحاضر:

كم ستسلخ جلدها من أجل آخر؟

كم تعاود بعثها ، باسم استجابتها لذاك الاسم ، مجهدةً؟

وكم يعلو على أنفاسها لحنٌ حزينٌ من رثاء النفس ،

رغبةُ أن تقاوم اسمها الخالد

من أجل أن تصفو مع الموت الصريح،

حتى تريح وتستريح! [2]

تسببت الأحداث التي مر بها المجتمع العراقي من عهد الاحتلال العثماني وهيمنته مروراً بالعهد الملكي والصراعات التي أعقبت ثورة ١٩٥٨ وصولاً إلى المعاناة التي أعقبت انقلاب ١٩٦٨وماتمخض عنها من حروب وحصار حتى سقوط بغداد عام ٢٠٠٣ في خلق مجتمع يعاني من أزمة نفسية حادة فبالإضافة إلى الوضع السياسي والاقتصادي المتأزم هناك حالة التهميش التي تعرض لها خلال سنواته الطوال .

يكشف الشاعرعن حزن هذا الوطن وشعبه وتوجسهم من زمن قادم ، فيعنون قصيدته باسم (محنة مدينة)، متسائلا متى يتوقف هذا الزمن من إعادة نفسه وكم ستخضع هذه المدينة/الوطن، وكم مرة ستنهض من رماد دمارها استجابة لقادم جديد ، وكم ستبقى تنشد لحن الحزن ورثاء النفس الواضح في شخصية المجتمع العراقي حتى في أوقات الفرح، ويورد الدكتور علي الوردي قصة عن حالة الحزن التي يتعايش ويعيش فيها الفرد العراقي وهي إن أحد الطلاب العراقيين المغتربين في امريكا زار صديقاً له يسكن مع سيدة أجنبية فلم يجد صديقه فجلس يتحدث مع السيدة التي قالت له أن صديقه فتىً طيب لكنه لا يكاد يدخل الحمام حتى يشرع في البكاء ، يقول: فتعجبت من الامر وحين سألت صديقي عن سبب بكائه قال له: لم أبكِ في الحمام إنما كنت أغني بوذية عراقية [3]، فيؤكد الوردي على أن الحزن سمة في شخصية الشعب العراقي في كل الاوقات والاماكن والحالات لتظهربصورة واضحة لا تحتاج إلى تأويل في هذا الوطن وخيمت على كل جزئية فيه :

لم اللحنُ الحزين يجيشُ وسط النخل ؟

---

[1]- ينظر : اغتيال العقل: ٩

[2]- قصائد لنهار غائم: ٣٣

[3]- ينظر: شخصية الفرد العراقي : ٥١

وهذا الموجُ ، يضربُ صفحة الزورق؟

لم الترعُ ، التي سُدت مخارجها ،

على مهلٍ تلون مثل حرباءٍ غُلالتها بلون الوحل ؟

وهذي الكفُ لا تنفكُ تضربُ بابُنا المغلق،

وتدري أننا مُتنا ، وهذا قبرنا نخلتهُ ريحُ المحل [1].

يكشف النص عن حالة من التعارض التي اكتنفت موجودات الحياة في هذا الوطن والتي ألقت بظلالها على الحالة النفسية للمجتمع ، حيث ((يتولد من تعارض الوجوه المرئية مدرك شعوري يختلف عن كل وجه من وجوه الرؤية ...وفي هذه الحالة سرعان ما يتكشف للإنسان ذلك التعارض المحزن بين عالمين هما في ظاهر الامر وفي الحقيقة لابد أن يكونا عالماً واحداً))[2] فالنخل والزورق والترع لابد أن تحمل دلالة الحياة والولادة والأمل الجديد لكن التعارض بين الدلالة الأصلية والمكتسبة أحال صورة الواقع المعيش إلى السوداوية واليأس والنكوص ، فلم تعد لأشكال الحياة ألواناً حتى استهلكها الحزن بفعل الخيبة والخسارة.

تكشف دلالة الموت عن الحزن الذي خيم على هذا المجتمع بفعل الآخر ، كما أن مصدر الحزن هنا نابع من فقدان العلاقة المنطقية بين ظواهر الوجود إذ يظهر لنا من خلال حالة الموت نوع من مواجهة الذات مع الوجود والتمرد عليه ، لأن نظام هذا الوجود سبب لها عذاباً مضنياً وهذه مفارقة واضحة في نظامه[3]، ويكشف عن عذاباته لزائرته الذكرى حين تعرض عليه خسارات هذا الوطن وخيباته ، كما تمثل مشاعر الشوق والحنين إلى الوطن والصحبة أحد أسباب الإنفعال الشعوري لدى الفرد إذ يدل على حالة ما يمر بها الجسد فهو ليس سلوكاً صرفاً، حيث يظهر في الأجساد المضطربة[4]، لذا يمكن عدها دافعاً من دوافع الاحساس بالحزن وأحد ثيمات هُوية المجتمع العراقي:

يكفينا من بيتِ أبينا

من رحلوا عنه ومن قُتلوا.

يكفينا فيءٌ مكتحلٌ

فيءٌ في أعيننا وجلُ.

---

[1]- قصائد لنهار غائم: ١٠٧

[2]- الشعر العربي المعاصر: ٣٥٠

[3]- ينظر: المصدر نفسه : ٣٦١

[4]- ينظر:نظرية الانفعال ، دراسة في الانفعال الفينومينولوجي ، جان بول سارتر، تر: هاشم الحسيني،منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت،-لبنان ، د.ط ، د.ت : ٦٧

يكفينا شوقُ عراقيين أضاعوا الشوق ولم يصلوا [١].

يتجلى شعور الحزن واضحاً في هذه القصيدة ، فالرحيل والقتل والاشتياق مشاعر تمتزج مع الحزن امتزاجاً كلياً ، كما يظهر ارتباط هذا الشعور بالهُوية المجتمعية العراقية من خلال قوله **(يكفينا شوق عراقيين أضاعوا الشوق ولم يصلوا)** لتتضح كثافة الحزن عبر دلالة عدم الوصول في حالة الشوق، وإن الصورة الدرامية المتمركزة حول شعور الحزن الذي يفيض به النص تكشف عن العناصر الاساسية التي يلزم توفرها في كل عمل ذو هُوية درامية وهي الإنسان والصراع وتناقضات الحياة[٢]، وهي عناصر مرتبطة بالمجتمع العراقي الذي ينتمي اليه الشاعر ، تقوم بالكشف عن هُويته، وهي في هذا المجتمع قائمة على التشتت والارتباك الناجم عن فشل الذات الفردية في تحديد هُويتها ، إذ غالباً ما ينشأ تشتت الهُوية بسبب السياق الاجتماعي السائد حيث لا تقدم البيئة خيارات للهوية مرضية للأفراد[٣]، وهذا ما يسبب لهم حالة الحزن والضياع . إن خرائب هذا الوطن تخلق في الراحلين منه حرائق الشوق واللهفة فيستفيق الحزن وتمطر الدموع:

مليئةٌ حقائب السفر ،

والراحلون أسلموا مطيهم

وضيعوا الأثر.

وكلما توسدت ذاكرةُ الغريب

خرائبَ الطريقِ، يستفيقُ في عيونها المطر [٤].

ينبعث الحزن من حالة الاشتياق التي تمر بها الذات وتلعب الذاكرة دوراً في هذا الصراع النفسي ، فالأحداث والاماكن المحملة على كتف الذاكرة وفي حقائب الهجرة تمثل قاعدة للهوية المجتمعية ، والمجتمع عانى من حالات الهجرة والتغرب ولم يحمل معه سوى الذاكرة المشبعة بصور هذا الوطن وخرابه الباعث على الحزن والأسى ، إنها صورة من صور الانسان العراقي الغريب عن أرضه والذي شكل الشوق وما يبعثه من مشاعر ضيق وكآبة صورة عنه تحيل إلى تعيين هُوية مجتمعية قائمة على القهر والكبت ، فالإنسان الذي يتعرض إلى التهميش يتحول إلى فرد منطوٍ على نفسه ينجم عن ذلك شعور بالفردانية وتوترات نفسية مثل الحزن والكآبة [٥] ، وإن ظاهرة الحزن رافقت العراقي في منفاه حتى انتشرت كالعدوى بينهم بفعل مشاعر الحنين والحاجة إلى الوطن ، فيكشف عن هذه المشاعر في قصيدة (حسين مردان) الذي يمثل رمزاً عن شريحة المجتمع المغربة :

---

[١]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢٥٤

[٢]- ينظر: قضايا الانسان في الادب المسرحي المعاصر: ٥٠

[٣]- ينظر : أزمة الهوية والتعصب: ٤٧

[٤]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٢٥٨

[٥]- ينظر: الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي: ١٣

كان يكرهُ بغداد،

لكنه حين يستودع الله فيها يموت.

علمته الشوارعُ كيف يباغتُ ضوءاً ،

ويأسره،

...علمه الفقراءُ المباحون والمستريحون في النفي

حزناً قديماً ،

وحزناً جديداً

وحزناً تجاوزه بين مقهى الرصافةِ والبيت[1].

ينبع استحضار أعلام بارزين في الأدب والشعر والسياسة من رمزيتهم الثورية انطلاقا من الانبهار بتجاربهم والإيمان بقضاياهم الثورية[2]، وهذا ما دفع الشاعر إلى استحضار شخصية الشاعر (حسين مردان) بوصفه رمزاً للفرد العراقي المتماهي مع قضايا المجتمع والمتأثر بها حد الوجع ، فتكتسب هُويته طابع الحزن من تشتت مشاعره الواضح بين هموم الناس والوطن ، الأمر الذي يؤكد بأن الهُوية ((وجود وماهية ، غير إنها لا تمثل جوهراً ثابتاً ومتعالياً على الزمان والمكان بل حالة متحركة ومتداخلة ، إنها صيرورة بالمعنى المجازي والتاريخي الذي يتيح تضمينها إشكاليات وأزمات هي لازمة لها))[3] .

أراد الشاعر إبراز حالة الحزن من خلال استعماله للشخصية وإسقاط هذه الحالة عليها ، بوصفها ظاهرة بارزة ملازمة للفرد العراقي وبأن هُويته مرتبطة بوجوده والظروف المؤطرة لهذا الوجود ، فيتحدث بصوت هؤلاء المشردين في المنافي المثقلين بمذاق الحزن:

نقطع الشوط لانقتفي أثراً ،

أو نحاولُ مجداً وراء الخرائبِ مندثراً

ولنا أملٌ أن نحاوركم ،

أن نحاور فيكم فماً لا يكفُ عن الابتهال،

ودماً يتطلعُ للشمس، يرقبُ خيط الزوال

في استدارتها حين تغرب !

---

[1] - الأعمال الشعرية: ٢/ ٨٢- ٨٣

[2] - ينظر: الآخر في الشعر العربي الحديث: ٨١

[3] - بول ريكور- الهوية والسرد: ٣٧

هذا سبيلُ الرجوع،

أيها الساكنون

جسداً زائلاً، مثقلاً بمذاقِ الدموع [١].

تدور موضوعة النص حول المغتربين من أبناء هذا الوطن القاطعين طريقهم في دروب بعيدة ماحين أثار الرجوع بعد أن تحول الوطن إلى خراب وتلاشت أحلامهم فيه ، ليتحول الوجود بالنسبة إليهم مأزق كبير ويتمثل في أن يُدفع الإنسان خارج موضعه ،أي يكون خارج المكان والمشاركة ومن ثمَّ خارج العطاء[٢]، وهو جوهر الاستلاب الهوياتي للإنسان في المجتمعات المضطهدة ، فالشخصية الإنسانية هي في الغالب صورة مصغرة عن المجتمع الذي تتماهى معه والظروف السائدة فيه بل هي صنيعة من صنائعه[٣]، ويؤكد الشاعر بلفظتي الزوال والدموع على مشاعر هذه الفئة الحزينة التي تغربت عن وطنها وعانت مرارة البُعد والحنين حتى استحوذ الحزن على كيانهم الجسدي والنفسي ، وهذه الصورة المجتمعية تمثلت كثيراً في القصائد التي كتبها إبان سيطرة النظام الصدامي على السلطة وهجرة الكثير من أبناء الوطن قسراً واختياراً حتى غدى الرجوع أمراً مستحيلاً:

في عزلةٍ أرضيتُ فيها راهباً

يحتالُ فيك على عفاف ثيابه

وخلُصتَ ، في كأسٍ ، لبيت آمنٍ

كم شقَ مَدخلُه على طُلابه

أسرى الدموعِ سرو إليه محجةً،

فإذا التقوا سجدوا على أعتابه ! [٤].

كانت الرغبة في تأكيد هوية الذات دافعاً للتمرد ولما كانت الظروف الاجتماعية والسياسية مربكة لهذه الهوية شاعت في هذا المجتمع ظاهرة الهجرة هرباً أو إقصاءً من قبل الآخر، ولكن في كلا الحالتين بقي الاندماج الروحي متصلاً بهذا الوطن ولم يتمكن الفرد من الانفصال عنه أو نبذه ، وهذا يُظهر تماهي الفرد العراقي مع أرضه ومجتمعه رغم كل النزاعات التي يتعرض لها، فالإنسان ((لا يمكن أن يحقق ذاته الا إذا ظل على تماس مع الحقائق الجوهرية لوجوده ، وإذا استطاع أن يُخبر قوة الحب والتضامن ، والواقع المأساوي في وحدته والطابع

---

[١]- آخر الغجر: ١٢- ١٣

[٢]- ينظر: الانسان المهدور– دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، مصطفى حجازي المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- المغرب ، بيروت- الحمرا، ط١، ٢٠٠٥: ٢٥٠

[٣]- ينظر : شخصية الفرد العراقي:٤٢

[٤]- آخر الغجر: ٨١

المتفكك في وجوده))[1] ، وإن قسوة الواقع فرضت على المغترب العراقي أن يبقى خارج حدود هذا الوطن ، أسيراً للحنين ولواعج الاشتياق ولظى الاحزان على فقدان الوطن ، فيمثل موقف اللقاء بينهم وبين الوطن في حال حصوله (سجوداً) حيث يخضع الانسان بكل جوارحه للمسجود له ، وهذه الصور تكشف عن عمق الشوق والحزن الذي عانى منه هذا المجتمع بفعل الحرمان والتهميش والاقصاء.

٣- الشعور بالخيبة واليأس :

تتجلى خيبة الأمل واليأس من الوجود الحقيقي اللذان يمتزجان مع كينونة الشاعر في المجتمع بسبب فشل الثورات ومعها تطلعاته وآماله، حيث فقد السيطرة على مؤسساته وأصبحت المؤسسة السياسية تستغل وتتحكم بالمؤسسات العامة لصالحها ، ما أدى إلى تردي الاوضاع العامة للشعب[2] ، وعمق من شعور الخيبة لديه حتى باتت ثيمة واضحة في هُويته :

زائرتي في الليل ،

نحنُ بنينا لغةُ الموتِ وذقنا لبن الخسارة!

... زائرتي ، نحنُ قتلنا السنين

ولم نر التاجَ، ولا الإمارة! [3].

ينبع شعور المجتمع بالخيبة ومن فقدان مقومات الحياة الكريمة والإحساس بعدم الأمان واختفاء الطمأنينة هذه كلها ظواهر واضحة في نفسية هذا المجتمع الذي لم يرَ في هذه الحياة سوى الموت والخسارة ، خسارة الأرواح وخسارة الحرية والكرامة والحقوق ، فيتحدث الشاعر إلى زائرته/ الذكرى ويسترجع مشاهد هذا الوطن ومجتمعه الذي خيمت عليه الخيبة، بعد أن فشلت المشاريع والطموحات التي ملأت الكيان الاجتماعي وحل محلها التدهور الذي رافق هزائم الإنقلابات والرغبة في التغيير، وأدى إلى تفاقمها تسلط الفئات المستبدة التي ألقت بالطموحات والرغبات في الهامش [4]، حيث انتظر هذا المجتمع منذ القدم المخلص الذي ينتشله من ضحالة الواقع الذي يعيشه ولكنه في كل مرة كان يغرق فيه أكثر وكانت الخيبة له بالمرصاد، حتى أصبحت الهيمنة و تعاظم الدولة ودكتاتوريتها تكشف عن تحطيم المجتمع المدني وتحول الجماعات المهمشة إلى مرتبة الشتات والتبعية للدولة ولمؤسساتها التنفيذية [5]، وإن خيبة الانسان العراقي من المراحل السابقة التي مرت على هذا الوطن أورثته الهموم والكآبة فلم تتعدَ أيام المسرات أصابع اليدين :

---

[1]- المجتمع السوي ، إريك فروم ، تر: محمود منقذ الهاشمي ، ط١ ، ٢٠٠٩ : ٢٥٧

[2] - ينظر: المجتمع العربي المعاصر : ٢٠

[3]- الأعمال الشعرية: ٢٢٥/٢

[4]- ينظر : الانسان المهدور: ٢٥٢

[5]-ينظر: اغتيال العقل: ١٠٢

تُحصون مسرات الأيام

بأصابعكم،

وعلى أعتاب بيوتكم المسقوفة ِبصفيح الآلام

تقفون، وتنتظرون[١].

يحاول أن يخترق حجب الزيف ليمسك بأزمة الحياة بواسطة القصيدة والدراسة النقدية ليوجهها نحو طريق التعبير عن أزمة المجتمع الروحية[٢]، ويخلق للمتلقي عوالم هُويته المجتمعية المشحونة بطاقة الخيبة والألم ، حتى لم تعد أفراح الحياة تُذكر مراتها، فيقف أبناء هذا الوطن على أعتاب هذه الحياة المشحونة بالصراعات وهم ينتظرون الخلاص ،إذ أدت المشاكل السياسية والاجتماعية إلى تفاقم حالة التشاؤم وهذا ما جعل النتاج الأدبي والشعري يطفح بالنقمة والأسى[٣] وهو في كشفه عن هُوية هذا المجتمع كان لابد أن يصطبغ شعره بصبغته ويترجم أحاسيسه، تأكيداً على حضوره الإنساني وسط المجتمع من خلال محاولة النقد والرفض ونقل الصورة الشعورية للذات الإنسانية[٤]، فيصمت لتتحدث القصيدة عن الحالة النفسية التي أَلمَت بهذا الشعب وهو يواصل الحياة رغم مرارة الخيبة التي تغلغلت فيه:

سوف أحشو فمي بالنشارة والصمغ،

أختارُ ركناً قصياً،

أراقبُ منه الجموع

وهي تسعى إلى غير غاية

بعينين غافيتين وقد أتعبتها الدموع[٥].

تحاصر المجتمع مشاعر مختلطة من الملل والكآبة والخيبة يكشف عنها عنوان القصيدة (خرس)واختيار الشاعر جانب الصمت عبر حشو فمه بالنشارة والصمغ هو دليل هيمنة العقائد العمياء وتكميمها لحرية الأفراد ، في حين يسعى هذا المجتمع المتعب إلى غير غاية هو دليل على عدم امتلاكه قرارة مصيره واستلاب إرادته ، أما العيون المتعبة من الدموع فهو دليل الخيبة في تحقيق الحرية التي يسعى اليها أزلياً، ويطلق مصطفى حجازي على الحالة النفسية الناجمة عن الشعور بالخيبة والخسارة والفشل في تحقيق مشروع الوجود ب(الاكتئاب

---

[١]- قصائد لنهار غائم: ٦١

[٢]- ينظر: أنسنة الشعر: ٨

[٣]- ينظر: الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ، يوسف عز الدين، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، ١٩٦٥م – ١٣٨٥هـ : ٢٠٢

[٤]- ينظر : حركية الحداثة في الشعر العربي المعاصر: ١٣٠

[٥]- الأعمال الشعرية: ١٦٦/١

الوجودي) الذي يدخل المرء في حلقة مفرغة من جلد الذات وشعورها بعد أهميتها والغرق في العطالة بدلاً من الاستجابة إلى التحدي[١]، وهذا هو الفخ الذي وقع فيه المجتمع العراقي بفعل الصراعات والظروف التي مرت عليه والتي أدت إلى فشل تطلعاته في الحصول بالحرية والحصول على هُوية مستقرة وآمنة ، كما أن أزمة هذا المجتمع ترجع بالدرجة الأولى إلى ضعف الدولة وتصارع الآيديولوجيات السياسية إلى جانب تردي الوضع الإجتماعي والصحي[٢]،وهذه الاسباب جميعها أدت إلى عطب في الهُوية المجتمعية العراقية من خلال مشاعر الخيبة وفقدان القيمة .

٤-الخوف من الآخر:

يشكل الخوف من الآخر أو من المستقبل في هذا المجتمع أحد موجهات هُويته، وهو رد فعل طبيعي عند الانسان حين يشعر أن هناك ما يهدد سلامته و أمنه[٣]، وبالنظر إلى الظروف التي عاشها الشعب نرى إنها حالة طبيعية يمر بها ويعاني منها:

إن بغداد على شرفة بابك،

وطيور الخوف –هل تذكرها ؟- تخرج من بين ثيابك،

لمدى الصرخة،

والصرخة في كل البيوت،

لم تعد محنة البحث رموزاً لغيابك[٤].

تستحضر تنهدات الذاكرة الحالة التي كانت عليها الذات في المدينة بغداد حيث الخوف الذي يحيط بهذا الشعب من الغدر والتنكيل لتكون صرخة الظلم متغلغلة في كل بيت من بيوت هذه المدينة ، وإن الخوف يولد حالة التبعية للآخر ، إذ ترضخ الذات للتبعية بوصفها وعداً بالوجود وهو نوع من الاستغلال الذي يؤدي إلى خضوعها للآخر من أجل وجودها[٥] ، فمعاناة هذا المجتمع والخوف الذي أمضى به حياته ومشاعر الكبت التي أفضى اليها الخوف كلها تفضح عن تبعيته وخضوعه القسري للآخر المهيمن الذي دفع بهذا المجتمع إلى المجهول وهو يوعده بإنسانية الحروب والثورات ليصحو على صرخات الحزن يملأ صداها أركان البيوت ، لينهض هذا المجتمع من ركام هذا الخوف الذي انطبع في ملامح وجهه وأصبح هُوية له:

جاء مثل العشب مزهواً

---

[١]- ينظر: الانسان المهدور: ٢٨٧
[٢]- ينظر: الشخصية العراقية: ١٩٩
[٣]- ينظر : الخوف ، صموئيل حبيب ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، د.ط، د.ت : ٩
[٤]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٤٠
[٥]- ينظر: الحياة النفسية للسلطة: ٢٩

وفي عينيه خوف

وعلى جرح يديه

ظمأُ الأرض ، وظلٌ لسحابه .

إنه يبسطُ للضحك يديه

ويُعري لرمالِ الغيظ صدره.

جاء مثل العشبِ مزهواً ، وفي عينيه خوفٌ وكآبة[1].

يرتبط خوف المجتمع بأزمة الحرية فكان تطلعه الدائم نحو أفق مفتوح وأجنحة غير مأسورة ما جعله يهب للثورة ليحقق هذا الحلم ، وفي قصيدة (الفارس) يرسم الشاعر ملامح الفرد الثائر/ الفارس حيث تتجسد فيه كل الدوافع الإنسانية لهذه الثورة مثل الخوف ،والظمأ الدال على الحرمان ، والكآبة المرتبطة بالحزن هي حالات للفرد العراقي المهمش ، لتأتي الثورات والانقلاب بوصفها رد فعل على هذا التهميش والاقصاء ، فالغضب الذي تنفثه الجماهير الثائرة هو غضب مكبوت يظهر من حالة عدم التمكن من الإذعان والخنوع من قبل الأفراد المقهورة فتظِهر أنماطاً مختلفة من الكراهية والحقد مثل الانتقام العشوائي من رموز سلطة الاستبداد بوصفه تعبير عن بركان الصمت المفتعل الذي ينفجر فجأة فيدمر ما حوله[2]، وإن صورة الخوف التي خيمت على الذات العراقية كان مردها حالة الاضطهاد التي تعانيها في ظل صراعات الدولة وهذا ما خلق هُوية حزينة ومكبوتة ، يؤكد عليها من خلال تماهيه مع الجماعة و استعماله للضمير (نحن) ، وتفصيل الجزئيات التي تشكل صورة هذا المجتمع :

نحنُ أبناءُ فسائل النخل .

نتزاحمُ وأياهم في متاهة الرائحة : رائحة الشاي والقهوة

والحامض والدارسين والحشيشة والعرق والنفتالين

والحصرانِ الدبقةِ

والوحل والتراب والشمس والمراوح والمخاوف

وتجليات الأرواح والكتب والنعلان والحيامن الآسنة

ورائحة الغرقى تنبعثُ من مجرى الأحزان [3].

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٢٦٨

[2]- ينظر: سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور: ٦٩

[3]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢٤٨- ٢٤٩

يقوم هذا النص المجتزأ من قصيدة (تعال نعزز الهوة التي تخلفها الجذور) على تصوير حالة المجتمع العراقي أبان الحكم الملكي مع تأكيده الواضح على الهُوية الوطنية التي تكشفها دلالة العبارة **(نحن أبناء فسائل النخل)** فالنخل رمز للعراق ، كما يرسم صورة للحياة العراقية التي تتضافر الحواس بتشكيلها لتمنح القارئ انطباعاً عن المكان والكيان الانساني الساكن فيه، وإن الفرد العراقي محكوم بالخوف والإنكسار منذ القدم، حيث يتداخل الخوف مع مكونات المكان الذي يعيش فيه ليخلق حالة من حالات الاستلاب ، وطبقاً لفهم التفسير النفسي للإنسان المستلب فإن الإنسان في العصر الحديث وحيد وخائف فهو يعيش في ظل انعدام المعايير وضمن حالة من التمزق والاستسلام الذي لا يجعل منه فرداً بل ذرة خائفة يقذف بها هنا وهناك[١]، كما كثفت الظروف والصراعات والثورات من عمق هذا الشعور حتى استحال شعوراً أزلياً ، ما أدى إلى انقسام هذا الكيان إلى قسمين أحدهما تابع وخاضع والآخر رافض ومتمرد.

إن المنجز الشعري مرتبط دائماً بحدث وقضية ، ومنجز الشاعر متميز من حيث إحاطته بقضايا مرتبطة بصميم هذا المجتمع وجزء من تركيبته النفسية ،وهُوية هذا المجتمع مُستلبة ومنطوية ومنغمسه بالكآبة والحزن والقهر، بسبب ما مر عليه من محن ومآسي نتيجة الحكم الاستبدادي الفردي المتعاقب وإشكالية الدولة غيرالناضجة ما أدى إلى ضعف روح المواطنة وتجزء الهوية واضمحلال الوعي الاجتماعي [٢]، و تشتت الذات الشاعرة واغترابها تأكيد على الترابط بينها وبين المجتمع ليظهر للقارئ نتيجة مؤكدة بأن هُوية الأفراد هي المحصلة النهائية لهُوية المجتمع[٣]، وتكون الاخيرة محصلة عن الظروف السائدة فيها .

---

[١]- ينظر: الانسان المستلب وآفاق تحرره، ايريك فروم ،تر: حميد لشهب ، تقديم : راينر فونك، شركة ندا كوم للطباعة والنشر، د.ط، د.ت : ٤٦

[٢]- ينظر: الشخصية العراقية: ٢٠٩

[٣]- ينظر : المصدر نفسه : ٢٢-٢٣

الفصل الثالث

الهُوية التجييلية

مدخل:

ارتبط مصطلح الجيل بالتحولات الثقافية التي اجتاحت البلاد العربية بشكل عام والعراق بشكل خاص وبظاهرة الحداثة الشعرية التي ظهرت في خمسينيات القرن الماضي ، وتقترب

هذه المفردة في دلالتها ((على المجموعة التي تجتمع بفترة زمنية وتحت ظروف متشابهة ومتقاربة في الأفكار والمواقف وربما في المشكلات أيضاً))[١] وبدأ هذا المصطلح يشيع بوصفه ظاهرة كثر الاهتمام بها من قبل الأوساط الأدبية لما يمثله من دافع للتميز عن غيرهم من الأجيال اللاحقة والسابقة بإبداعاتهم الأدبية ومنجزاتهم المعرفية ، وشاع في أوساط النقاد العراقيين الذين حددوا مفهوم التجييل بأنه ((الإلمام بدقة بالمشهد الشعري العراقي حين يتم تجزئته، ذلك لضخامة النتاج الأدبي الذي يستدعي اللجوء إلى تجييل الكتابة الشعرية في العراق لمتابعة ستراتيجية التبدلات الحاصلة في الثقافة ...وهذا ما يعده أغلب النقاد أنه جوهر التجييل))[٢] ولا يشترط هذاالمفهوم التحقيب الزمني بل يشير إلى الملامح التي تميز أدباً ومجتمعاً بعينه ، لذا فهو يشير إلى الجماعة من المبدعين الذين يشتركون بموقف أو قضية محددة ويبحثون إنتاج طروحات بصددها[٣]، وعلى هذا الأساس كان ظهور جيل الستينات الذين دعوا إلى تعميق التحول الذي بدأه الرواد خلال الستينيات ، كما كان ظهوره مقترناً بحركة المجتمع وظروفه الموضوعية[٤]، فكانت القصيدة طريقهم لتسجيل مواقفهم الرافضة أو المؤيدة في آن ، ويرى فوزي كريم : إن قصيدة الستينيين كانت جريئة في إعلان مقاصدها وقاطعة في اتخاذ الحكم الذي تريد وجرأتها متأتية من إحساسها بالانتساب إلى الجماعة التي جاءت صوت واحد[٥]، فكان هذا الصوت ناقداً وباحثاً في نصه عن كل ما هو إنساني ومتفرد وهذا ما حاول هذا الجيل أن يعكسه في منتجه الثقافي ، إذ حاول أن يثور على الوضع الراهن بدءاً بالوضع السياسي والاجتماعي ، مما نتج عن هذه الثورة ((اقتراح نموذج شعري جديد يولد في حاضنة هذا العقد الزمني ويتسمى باسمه))[٦] فكان هذا النموذج الشعري هُوية يتسم بها ، ولكون الثورة هي السمة البارزة في حركته أصبح الشاعر الستيني منقسماً بين نقد الواقع وإثبات ذاته ، إذ بدا مثقلاً بهموم العالم والمجتمع حد الانصهار فيها فضلاً عن همه الذاتي الذي يعاني منه ، فبدا في شعره متمرداً ومشاكساً ورافضاً[٧] ، فالظروف التي عاشها الشعب العراقي وتحديداً الستينيون صاحبها اختلافات في الأفكار بين المثقف والأيديولوجيات التي كانت سائدة ما أدى إلى تكون ((فضاء ثقافي تلتقي وتفترق داخله اتجاهات أدبية وفنية وجمالية متعددة ... فإذا ما ألقينا نظرة شاملة لحركة الثقافة في عراق منتصف الستينيات فإننا نكون أمام تنوع ثقافي خلقته تلك اللوحة السياسية المتنوعة حيث القوميون والبعثيون والشيوعيون وجماعة القيادة المركزية وأصحاب الاتجاهات الإسلامية))[٨] وكل هذا التنوع الثقافي والآيديولوجي جعل هذا الجيل ينتج خطاباً شعرياً متميزاً، منفتحاً على الثقافات القديمة أو منطلقاً من عالم الأحلام والرؤى والتخيلات محققاً بذلك دلالة شعرية متوائمة مع فلسفته ومبتغياته ورؤاه .

---

[١]- الهوية التجييلية وتراكم الصورة في الشعر العراقي السبعيني (قراءة في ضوء نظرية الأنساق الثقافية)، رياض كريم العمري، المجلة الدولية للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ١٨، ٢٠٢١: ١٦٠

[٢]- تجييل الكتابة الشعرية في العراق بين التنظير والإجراء(دراسة في الجيل التسعيني)، سعيد حميد كاظم: ١٦

[٣]- ينظر: الهوية التجييلية وتراكم الصورة في الشعر العراقي السبعيني : ١٦٢

[٤]- ينظر: الموجة الصاخبة- شعر الستينيات في العراق ، سامي مهدي ، دار ميزوبوتاميا ،بغداد- شارع المتنبي ،ط٢، ٢٠١٤ : ٢٧

[٥]- ينظر: إضاءة التوت وعتمة الدفلى: ١٢٦

[٦] - الهوية التجييلية وتراكم الصورة في الشعر العراقي السبعيني : ١٦٤

[٧]- ينظر: رهانات شعراء الحداثة، فاضل ثامر، الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق، د.ط، ٢٠١٩: ١٧

[٨]- البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم: ٣٣

المبحث الأول

التراث الثقافي:

يجنح الشاعر الستيني في محاولته لإثبات هويته الثقافية إلى ولوج عوالم التجريب الذي نحا منحيين أحدهما هادىء ورصين يحترم التراث ويتواصل معه والآخر جانح ومتطرف يقوم على مقاطعة التراث جهلاً وتعالياً عليه [١]،مما جعل النتاج الأدبي متنوعاً ومفتوحاً للتأويل بهدف التميز ، و إن شعراء المنحى الأول كانوا ثائرين على كل ما يسمى وضوحاً أو مباشرة في التعبير الشعري وهذا دفعهم إلى الإغراق في التعميات وجعل المعاني غير واضحة في كثير من الأحيان[٢]، ما أدى بهم إلى استحضار التراث الثقافي ليثبتوا درجة الوعي التي تميزوا بها وقدرتهم على نقل صورة الواقع بكل الطرق المتاحة لهم ، إذ تزداد تجربتهم أصالة وشمولاً بانفتاحها على ينابيع الإيحاء والتأثير وتتحرر من إطار الجزئية والآنية وتندمج في الكلي والمطلق ، فالنماذج التراثية تمكنهم من الخروج عن نطاق ذاتيتهم المغلقة إلى تجارب أخرى أكثر اتساعاً وحكمة[٣]، حيث يستمدون منه شخصياتهم وأحداثهم، وليحبكوا بها أفكار قصائدهم وتتكامل رؤيتهم ، منطلقين من اعتبار أن أهم الأسس التي يجب أن تتحقق في المثقف هي الإلمام بالتراث الذي يبرز الملامح الفارقة لثقافة جيل عن غيره[٤].

إن هؤلاء الستينيون في بحثهم عن التميز وجدوا فيه ضالتهم ، فحاولوا أن يقرأوه بعين الحاضر وكان همهم منه عناصره القادرة على إغناء قصائدهم وتميز جيلهم الشعري[٥]، لذا يمكن تحديد مفهومه بأنه ((مخزون العطاء الإنساني الذي لا يتحدد بالزمن الذي انقضى بل بالزمن المستمر من الأول إلى الآخر))[٦] ويعود سبب ارتباطهم به ومنهم فوزي كريم إلى تأثرهم بأبرز شخصيتين من رواد الحداثة الشعرية هما (السياب وأدونيس) اللذان لم تنحصر ثقافتهم الشعرية على نتاج محدد بل انفتحا على الثقافات الشعرية في كل مكان[٧]، وإن ارتباط التراث بالثقافة يرجع إلى كونهما أسلوب في التعبير عن معتقدات الأفراد والأجيال تحدد توجهاتها ومقاصدها ونمط حياتها، إذ يمثل الأول ((الذاكرة المرجعية أو الخلفية التي ينطلق منها الفكر الثقافي سواء أكان هذا الفكر الثقافي متفقاً مع معطيات التراث أم متضاداً معه))[٨]، وإن دور الشاعر في تمثيل هُويته التجييلية والدفاع عنها يحتم عليه العودة إلى الموروث الثقافي شأن أكثر أفراد جيله من الشعراء الذين أفردوا له مساحة واسعة من شعرهم ، فحين نقرأ نصوصهم الشعرية وطروحاتهم النقدية نجد أن التراث كان حاضراً بتميز ما ينبئنا باطلاعهم عليه واعتزازهم به[٩]، لذا فإن استعمال التراث عنده كان بفعل المسايرة ، فالموروث الثقافي هو إحدى سمات الجيل الستيني وهو ما يميزهم عن الأجيال الأخرى ،حيث أعادوا إحيائه بأنساق

---

[١]- ينظر: الموجة الصاخبة: ٢٣٢

[٢]- ينظر: دير الملاك- دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، محسن طميش ، دار الرشيد للنشر ،منشورات وزارة الثقافة والاعلام – سلسلة دراسات، د،ط ، ١٩٨٢ : ١٦٤

[٣]- ينظر: إستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي- القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م- ١٤١٧هـ: ١٧

[٤]- ينظر: الثقافة والهوية والتكنلوجيا، محمود الضبع مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، الاسكندرية- الاسكندرية-مصر، د.ط، ٢٠١٦: ٧٣

[٥]- ينظر: الروح الحية: ١٨٢

[٦] - الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة، عفيف البهنيسي، منشورات وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، د.ط، ٢٠٠٩: ١٤١

[٧]- ينظر: الموجة الصاخبة: ٢٥٦

[٨]- الثقافة والهوية والتكنلوجيا: ٢٠

[٩]- ينظر: الموجة الصاخبة: ٢٥٥

حديثة مع الإبقاء على الإطار العام للنسق التراثي القديم، ومن أبرز اتجاهات الموروث التي أظهرها الشاعر وجيله :

الأسطورة فكراً تجييلياً :

وظف الشاعر الأسطورة توظيفاً بارزاً في شعره ِتأثراً بأكثر شعراء جيله الذين استعملوا في شعرهم مختلف الأساطير والرموز، وتعود أسباب ذلك إلى محاولتهم مجاراة الخمسينيين ومضاهاتهم أو لشيوعها في الشعر العالمي أو لتأثرهم بالسياب الذي نجح في استعمالها في بعض قصائده أو لاهتمام النقاد العرب اهتماماً غير عادياً بشعر الأساطير والرموز[١]، وتختلف الاسطورة عن الحكاية في أن أبطالها آلهه أو أنصاف آلهة أما الحكاية فلايوظف هذه الشخصيات فيها .

جاءت نصوصه الاسطورية متميزة ذات حضور طاغٍ ونبرة نقدية صادحة ، وذلك لقدرتهاعلى ((التمثيل الدرامي والحسي ...أي استثمار الروح العاطفية لعلاقة الإنسان بالكون هي التي تفسر سر خلودها في الضمير الإنساني لأزمان طويلة))[٢] و جاء اختياره لها على وفق رؤية فلسفية منظمة ، فكان توظيفه لأساطير الرحلات الخيالية ((لعكس آمال الإنسان وطموحاته التي يريد تحقيقها وذلك بعد أن يقتحم عوالم مجهولة ربما تكون قد شغفته شوقاً لكشف مجاهيلها ... ومسرحاً يستعرض فيه الأديب قدراته الفكرية والفنية والأدبية يوجه فيها النقد لخصومه))[٣] كما كشفت هذه الأساطير عن ((حلم بعض الشعراء بالابتعاد عن الواقع والغور بعيداً في ذواتهم أو الهروب إلى عوالم بعيدة يحققون فيها ما تصبو إليه أرواحهم المثقلة بأعباء الحياة))[٤] أما أساطير الخصب والنماء والبعث والولادة فتشير إلى تأملات الذات في الموت والحياة ورغبتها في تغيير العالم الذي تحيا به وولادة عالم جيد ، وإن غايته في بسط فلسفته للوجود جعلته يجد في الأسطورة طريقه لتحقيق هذه الغاية، ما جعل ارتباطه بالجيل الستيني ارتباطاً مميزاً حيث لم يجعل طرحه ومعالجته من جهة حزبية أو آيديولوجية وإنما من جهة الذاكرة الثقافية الجمعية[٥] ، فهو ككل فنان يحاول أن يتفرد بتوقيع قصائده بنوع أدبي مبهر مبهر للقارئ ، إذ أن النص الأسطوري يحافظ على طاقته الإيحائية بالنسبة للأجيال كما يحافظ على ثباته لفترات زمنية طويلة [٦] ، فهي رسالة خالدة تخلد الحدث وتعيد إحياء الدلالة في كل مرة يتم توظيفها في النص الأدبي ، كما إنها ليست حيلة جمالية في العمل الشعري إنما عامل مهم يسهم في اكتشاف الإنسان المعاصر لذاته ومنح تجربته بعداً شمولياًللنهوض بعبء

---

[١]- ينظر: المصدر نفسه : ٣٥٢- ٣٥٣ وينظر للإستزادة : تحولات الشعر الستيني في النقد العراقي (التحولات التشكيلية والبنائية-التحولات الدلالية- التحولات الايقاعية)، بشرى موسى صالح – بيداء عبد الصاحب عنبر الطائي، مجلة كلية التربية – الجامعة المستنصرية ، العدد الرابع، ٢٠١٧ : ٤٥و ٤٦و٤٧و٤٨

[٢]- تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي: ١٧

[٣]- الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث ١٩٩٩، محمد الصالح السليمان، منشورات إتحاد الكتاب العرب- ٢٠٠٠: ١٧

[٤]- المصدر نفسه: ٧١

[٥]- ينظر: أنسنة الشعر: ٤٥

[٦]- ينظر: الأسطورة والمعنى: ١٢

الهواجس والرؤى المعاصرة[١]، ومن هذا المنطلق نجد أن أكثر نصوصه تتناول الأسطورة لتخفي وراءها غايات وأفكار لا يمكن التصريح عنها أو لزيادة التشويق عند المتلقي، ومن أهم الأساطير التي وظفت من قبله ومن قبل أغلب شعراء هذا الجيل هي أسطورة كلكامش:

عند زقاقٍ –كان الغمر يشي بالفجرِ-

تراءى لي كلكامش

يقطفُ من دفلى الدارِ

وردتها

ثم يبيعُ شذاها للعطارِ[٢].

يلتفت الشعراء الستينيون إلى أسطورة كلكامش حيث كان لها حضور بارز في نتاجهم الشعري[٣]، لما فيها من مساحة حرية واسعة للمغامرة في التعبير عن الرأي، وإن هذه الشخصية الأسطورية تمثل بالنسبة للشاعر ((وعيه الأول بالنسبة للحياة ومصاحبة اليأس في نيل مطالبه التي لا تختلف عن مطالب العراقيين عامة))[٤].

تتراءى له في زقاق محلته القديمة هذه الشخصية العظيمة التي تبحث عن الحياة المثالية والخلود الأبدي في عالم بعيد عن الصراعات والشرور، فيقطف من دفلى الدار وردتها وهي رمز قريب إلى قلب الشاعر إذ أن وجودها مرتبط ببيت والده ، وكأن كلكامش يقطف أغلى ما في الحياة ليبيع شذاه للعطار في حالة مؤازرة للشخصيات البسيطة والفقيرة في هذا المجتمع حيث يجسد معاني الخير في صورة هذه الشخصية الأسطورية ، وهذا بدوره يؤدي إلى تضخم أنا الشاعر من حيث أن ((الشعر وإن كان يجسد معاني الخير ويحث عليها وفقاً لوظيفته الاجتماعية فإنه جاء لتضخيم (الأنا) وتعالي إحساسها بالحياة المندغمة مع الحرية... وبوصف التجارب القائمة على الصراع والتوتر التربة الخصبة لولادة الفن))[٥] وهو قبل أن يبحث عن الواقعية يبحث عن العاطفة ويبثها في شعره لذا كثر اهتمامه بالأسطورة وشخصياتها لكونها ((تلجأ إلى الخيال والعاطفة والترميز وتستخدم الصورة الحية المتحركة))[٦] وهذا ما حاول أن يوصله عبر أبياته للقارئ ، ليبصر بعدها كلكامش مرة أخرى على دجلة متنكراً فيتنبأ له بمصير هذه الأرض:

يخرجُ إلى دجلةَ وعلى الرصيفِ يبصرُ كلكامش

---

[١] - ينظر: دير الملاك: ١٢٢

[٢]- الأعمال الشعرية: ٢٠٠/١

[٣] - ينظر: خطاب السلطة في الشعر العراقي الستيني عقد التأسيس اختيارا،دعاء حسين عودة، رسالة ماجستير في كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، ٢٠٢١م- ١٤٤٢ هـ : ١١٧

[٤]- البنى الاسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢٤٥

[٥]-الإنثوية في الأدب ،النظرية والتطبيق، ابراهيم احمد ملحم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد- شارع شارع الجامعة، ط١، ٢٠١٦ : ١٨

[٦]-الاسطورة والمعنى: ١٣

متنكراً :

((ماحل على هذه الأرض يحلُ ثانيةً وثالثةً ،

يحلُ رابعةً وخامسةً ، يحلُ سادسةً وسابعةً ،

وثامنةً وتاسعةً يحل.

ويحل من جديد ما استطعمته هذه الأرضُ من الروع.

أيام الكائنُ معدودةٌ . وأعماله أنفاسُ ريح.))

((ولكنك متنكرٌ كلكامش بقناع الحاضر!))

((بقناع الحاضر .

ففي هذه المدينة يموتُ الإنسانُ مغموماً

في القلبِ. وفي القلبِ يأسهُ وهو يهلك)) [1].

يتخذ من أسطورة كلكامش مورداً للدلالات الإيحائية التي يشحن بها قصيدته ، فهومن خلال استحضاره لها يسهم في ((ترصين التجربة وإعطائها أبعاداً هي غير تلك التي كانت ستكون لو أن الشاعر اكتفى بموضوعها ذاته))[2]

يلتقي كلكامش بالشاعر ليخبره بمصير هذه الأرض ، حيث تعيد دورة الظلم نفسها مرة تلو الأخرى ويكشف عن ذلك بأسلوب التكرار (حل ، يحل ، ويحل) وكلما تعودت هذه الأرض على هذا الواقع كلما ازدادت حدته وقسوته، والموت يتربص بالناس، فكلكامش الباحث عن الحياة لا يجد في هذه الأرض حياة ، وتنكره بقناع (الحاضر)هو قناع الغم والحزن والألم ليعبر عن عجزه في تحقيق الخلود على هذه الأرض التي يعجز فيها الإنسان عن العيش بكرامة وحرية .

تتخذ شخصية كلكامش في تجربته ابعاداً عدة ، فهي مرة تحمل هموم ونوازع التحرر والإنعتاق ومرة أخرى ترضخ للهزيمة والإنكسار، إذ يضفي عليها الواقعية لتشاركه همومه مشرعة عن ضعفها حيناً وتمردها حيناً آخر في انتظار خلاصها وخلاص الإنسانية[3].

جاء توظيفه للأسطورة رغبة في الكشف عن حلمه في الحياة الأبدية ، التي تختلف عن حياته التي يعيشها ، لذا كانت خيبة الشخصية بهذا الواقع تعبيراً عن خيبة تحقيق الحلم الذي كان هاجسه ، فيميل إلى الأبطال الخارجين من جغرافيتهم ليمثل حنينهم إلى الحياة التي تمثلها

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٢١٧/١

[2] - الآخر في الشعر العربي الحديث تمثل وتوظيف وتأثير: ١٥٥

[3]- ينظر: الآخر في الشعر العربي الحديث تمثل وتوظيف وتأثير:١٦٠

أماكنهم ،كأنهم لا ينتمون إلى المكان إلا لكي يغادروه[١] ، ثم يوظف شخصية أنكيدو- الحسية- كمرادف لشخصية كلكامش –الواقعية- :

((حلم أنكيدو مريع وآياته باطلة :

-كُل أنكيدو الخبز فهو قوام الحياة. واشرب الخمر

فهو عرف هذا البلد – قالت البغي.

أكل وشرب واستطار نشوةً.

دبت رائحة الفرات في

مفاصله وتعرَق جسده بفعلِ رائحةِ الطلع.

كلكامش هل تذكر الديدان؟

حلمنا مريع وآياتنا باطله[٢].

يجمع في قصيدته بين حلمين في شخصيتين متناقضيتين الأولى واقعية تبحث عن الحياة المثالية والثانية شخصية تميل للحسية على حساب الواقع و على الرغم من قوتها العظيمة إلا إنها تنساق وراء ملذاتها وأهوائها دون اكتراث ما أدى إلى إغوائه من قبل إحدى الباغيات ، فيقول عنه (حلمه مريع وآياته باطلة) وهو يكشف عن رغبته بالحلمين حلم كلكامش في حياة أخرى لا تطولها يد الظلم وحلم أنكيدو في عيش هذه الحياة بملذاتها والاستمتاع بها بأقصى ما يمكنه رغم بطلانهما بفعل الواقع المقيت فيتوجه في خطابه إلى كلكامش متسائلاً إن كان يذكر الديدان والتي يقصد بها الظروف التي يقبع هذا البلد تحت وطأتها من ظلم وقهر واستبداد والتي نخرت جسم الوطن وبددت أحلام شعبه ، ليؤكد مرة أخرى على بطلان هذين الحلمين وعدهم تحققهما .

تتمثل هنا وظيفة الأسطورة كآلية مركزية لتشكيل النصوص وتمثيل الواقع وخلق صلة بين عالم الحاضر وعالم الماضي[٣]، وهذا يعود إلى مقدرة الشاعر وفهمه لثيمة الشخصية الأسطورية ومدى مطابقتها للحالة التي يبغي إيصالها للقارئ ، مصوراً حالة الإنسان العربي الذي يعيش ممزقاً بين النداء الملح للواقع المباشر وهاجسه في تحقيق هويته ، فينطبق هذا على أغلب نتاجه الشعري[٤] ، و إن الرغبات الحسية لا تملك المقدرة على تغيير عبثية الواقع، الأمر

---

[١]- ينظر: كتابة الذات –دراسات في وقائعية الشعر، حاتم الصكر، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤ : ٥١

[٢]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢١٨

[٣]-ينظر: سيمياء الكون، يوري لوتمان، تر: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠١١: ٨٨

[٤]- ينظر: حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر: ٣٢

الذي يكشف عنه من خلال هذا المقطع من قصيدته (عودة يوليس) ، وشخصية عوليس شائعة في الاستعمال الشعري الستيني[١]:

فقد رجعتُ عارياً ، كما ذهبت ،

حاملاً ذات اليقين :

أنني لا باحثاً سدى ولستُ هارب.

زوادتي تحملُ ذكرى ما رعيتُ من ثمارِ اليأس.

عجل ،أيها الملاك،

عجل واخترق حجاب ها الأفق الأبله،

خيرني أكن صنيع صمتك.

أو راعياً في حقل بيتك.

يسبقني حطام ما خلفت .

يسبقني على طريق عودتي ،

لزوجتي ،

لعرشِ مجدٍ لم تعد ذاكرتي إليه ،

يسبقني منتصراً كأنه الفاتح [٢].

تسيطر شخصية (عوليس) في أسطورة الأوديسة عليه فيستحضرها كمعادل موضوعي لشخصيته المغامرة المتصارعة مع أمواج الحياة المتلاطمة ، والباحثة دوماً عن طريق للعودة للزوجة / المدينة ، فيتجرد من انتماءات الآخرين ويتفرد بذاته عن أي أيديولوجيا أو قوى سلطوية ويتشابه مع عوليس الأوديسة في هذا ، فمن خلال المادة السردية التي تبعثها رمزية الأسطورة تُظهر نسق الهُوية وتؤكده باللون والصورة والكلمة[٣]، حيث يستحضر هذه الشخصية لشعوره بالتشابه بينهما فهو عوليس عصره ، الثائر المحارب الذي أفنى حياته وهو يروم الوصول إلى موطنه وزوجته ، ويجمع في هذا النص بين أسطورة كلكامش وعوليس ((فهو من أخذ ثمار اليأس وقدم عروض الطاعة والإذلال لنزوات غيره... فثمار الخلود تحولت إلى ثمار يأس ...وكل ذلك جر بالشاعر إلى عزلة كعزلة عوليس وغربته عن عرشه وسلطانه))[٤].

---

[١]- ينظر : الموجة الصاخبة: ٣٦٢ ، وينظر للإستزادة : شعراء البيان الشعري:٨٣

[٢]- الأعمال الشعرية: ١/ ١٠٢

[٣]-ينظر: القبيلة والقبائلية او هويات مابعد الحداثة:٤٩-٥٠

[٤]- البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢٤١

عاد عوليس / الشاعر عارياً / متجرداً مثلما غادر حاملاً ذكرياته وآلامه التي جناها في موطنه ،فيتسول بالملاك وهو دليل النقاء والطهارة والأمل ليخترق هذا الأفق/ الواقع ويجرده من كل أشكال الفوضى والظلم ، ويسبقه في رحلة عودته حطام هذا الواقع وسلطته التي خلفها وراءه عند رحيله ليراه مازال مهيمناً على كل ما في الحياة ومنها الزوجة/ المدينة، ليشهر هذا الحطام المتفشي انتصاره بوجه الغيارى الثائرين، هذه الرؤية التحليلية للنص تؤكد على إن حضور الشخصية الأسطورية تحقق بُعداً خطابياً جديداً، يمكن تفسيرها بمقارنتها بشخصية الشاعر وتاريخه وتقاربهما معاً[١]، ويستحضر من نفس الأسطورة شخصية (بنلوب) زوجة (عوليس) معادل موضوعي لمدينته وإحساسه بالإغتراب بعد عودته إليها:

أطلُ من غيابي

أطل من ثيابي

أبصر ((بنلوب)) على فراشها

ملفوفةً بالقطنِ كالرفاة

تمارس الجنسَ مع السعلاة

فهل أشدُ القوسَ كي أنجز ثاري؟

أعائدٌ من دون أعداء

...وهل هذا انتصاري؟[٢] .

يستعمل الشاعر الشخصية الأسطورية (بنلوب) ، التي تشكل محط اهتمام لأغلب شعراء الجيل الستيني[٣]، لتدل على مدينته (بغداد) حيث يصورها وقد رضخت للسلطة على الرغم من الويلات التي ذاقتها من وراء هذا الحكم المستبد والذي وصفه ب(السعلاة) فهو يصفها بتواطؤها مع السعلاة/ الدكتاتور، وكأنها تمارس معه الجنس دلالة على الرضوخ والاستسلام. وهو الذي تحمَل ما تحمَل من غربة وقمع من أجلها لينصدم بها وقد أسلمت نفسها لغريمه ، وهذه الشخصية الأسطورية محط إهتمام شعراء الجيل الستيني ،إذ أراد من هذا التوظيف الأسطوري أن يعلن عن نفسه، وكأن الإنسان المعاصر قد صار يواجه الحياة مرة أخرى بالوجه نفسه الذي رآها به في البداية يوم بدت له لغزاً كبيراً وسراً رهيباً وعند ذلك أحس الإنسان المعاصر بحاجته إلى المنهج الأسطوري القديم في وضع المعادلة الجديدة التي تجعل الحياة بالنسبة له مقبولة ومفهومة [٤]، فيصبح يوليس الشاعر في حيرة هل يشد القوس ليأخذ ثأره من الذي استغل أرضه وانتهكها وقتل أحلامه في أن يعيش آمناً فيها ؟ أم يأخذ ثأره من المدينة التي غدرت به

---

[١] - ينظر: خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني:٢٢٢

[٢]- الأعمال الشعرية: ١٠٤/١

[٣]- ينظر: خطاب السلطة في الشعر العراقي الستيني (عقد التأسيس) إختيارا : ٢٧

[٤]- ينظر: الشعر العربي المعاصر: ٢٢٤

وأسلمت نفسها طواعية للعدو؟ وهل ثأره سيعيد إليه الزمن الذي قضاه وهو يعاني الغربة وفقد الأحبة والبعد عن أرضه وأهله، وهل سيكون هذا انتصاره بعد كل الذي عاناه؟ ، هو يلبس قناع يوليوس في أغلب قصائده التي تناولت العزلة والغربة، فهي وصف للظروف التي مرت به في المهجر، فضلا عن حبه لمدينته التي أعطت تصوراً آخر للأسطورة[١]، فالشاعر حين يخلق يوتيوبيا خاصة به ما هو إلا دليل على قسوة ما تعرض له في منفاه من حنين إلى مدينته ولكنه حين يعود إليها لا يجدها هي نفسها التي كانت ماثلة في ذاكرته فهي محكومة بقوة عليا تسيطر عليها وتتحكم بها وحين تثور حمية الشاعر على مدينته لا يجد إلا ركوب المغامرة وفي الأعم الأغلب يعود منها خائباً [٢]، وهذا الأمر مثَل انكسار الهُوية التي يبحث عنها فقد ضاعت بضياع مدينته التي استبيحت من قبل الآخر، فبنلوب الشاعر لا تحفظ عهودها إذ تسلم نفسها طواعية للطاغية:

((بنلوب))

لا تمسك بالخيط

يفرُ الوعدُ من بين يديها.

آه، لا تمسكُ بالوعد!

تُرى أبصرُ عينيها حصاتين

ونهديها رحاتين

وهذا الجسدَ العاجي عاجاً ليس غير!! [٣].

يدمج الشاعر بين واقعه المعاش والأحداث التي تقوم عليها الأسطورة حيث تدور فكرتهاعلى محاولة يوليس الدائبة للعودة إلى أرضه وزوجته التي يتربص بها الأعداء، كما إنها تلمح إلى حالة الفوضى التي يخلقها الآخر المستبد ، فيعكس من خلالها احتجاجه ورفضه لهذا الواقع ، فإن الأشياء داخل بنية القصيدة ليست مجرد مفردات بل هي مجموعة علاقات لامتناهية ، والدلالات التي توحي بها قد تكون ضمنية أو صريحة وقد تدل على الصور والأفكار الذهنية الواقعية والمتخيلة[٤]، إذ يوظف الرمز الأسطوري من وجهة نظره الخاصة حتى يشحن النص بدلالات متعددة ، ولعل هذا التوظيف يعود إلى ((يأس الإنسان وعدم يقينه بالعالم الخارجي وحياته المثيرة للشفقة والكئيبة إزاء هيمنة المادة ...وذلك جهد يعطيه الشاعر إهتماماً زائداً ليستخلص الزبدة مما يبقى غارزاً في اللاوعي من جذوة اللغة أو المعنى))[٥] وبنلوب يوليس التي بقيت تغزل الخيط حفاظاً على وعدها لزوجها بأن تبقى وفية له لا يمسها أحد غيره

---

[١]- البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢٤٤

[٢]- ينظر: كتابة الذات: ٦٤

[٣]- الأعمال الشعرية: ١٠٣/١-١٠٤

[٤]- ينظر:رهانات شعراء الحداثة: ١١٠

[٥]- البنى الاسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢٤٤-٢٤٥

تختلف عن بنلوب الشاعر التي لم تحتفظ بالوعد فهي امرأة من عاج ،مدينته التي رضيت بالدكتاتور وأسلمت نفسها له وخانت عهدها مع الشاعر ، فالنص تعبير عن مقاومة الشاعر للواقع الذي ساد مدينته إذ أن الأسطورة عند الشاعر امتزجت بالانكسار والخذلان وهذا يعود إلى شعوره الذاتي بالانكسار[١]، وينتقل الشاعر من كلكامش إلى (ديموزي) وهو تموز إله الخصب والنماء :

بطيئاً أخوضُ في غابة الطين،

أدخلُ مملكة الطينِ طفلاً.

هنا سوف أدفأ،

في ظلِ صفصافةِ ((إينانا)) الغريقة

وفي ظلِ نخلٍ غريقٍ لسومر.

هنا ألتقي ،

وهنا أنتقي الصحبةَ الصالحة [٢].

يتمثل حضور الأسطورة في النص الشعري تأكيد الشاعر على هُويته التجييلية على الرغم من أنه يحاول أن يجردها من معناها القديم ويلبسها معنى أقرب إلى نفسه، وهذا تمثيل لمهمة الشعر التي يقول عنها سارتر إنها خلق أسطورة الإنسان التي تتضمن الإضافة والاحتجاج والاستمرارية في الوقت نفسه[٣]، فهي عملية كشف يؤكد عليها أدونيس بقوله: ((إنها الكشف عن عالم يظل أبداً في حاجة إلى الكشف ، وإنها هذا السفر الدائم إلى ميتافيزيقيا الكيان الإنساني))[٤] فهذه مهمة الشعر التي تبناها الشاعر والتي حاول إبرازها عبر توظيفه الأسطورة وشخصياتها في نصوصه.

تحمل القصيدة عنوان (حلم ديموزي المريع) هي حلم بالانبعاث مرة أخرى ، انبعاث الطبيعة وكل ما يمت بصلة للإنسان ، حيث يوظف الأسطورة السومرية ويستحضر شخصية ديموزي إله الخصب والنماء الذي قدمته إينانا ضحية للآلهة وعند تسليمه للعالم السفلي جفت الأرض وأجدبت ، وإنه يتقنع بهذه الشخصية الأسطورية محاولاً الهرب إلى الموت أملاً بانبعاث جديد فلا يتردد في خطوته نحو الموت ليتحول في كنفه طفلاً منتزعاً أدران الحياة المقززة فيدفأ في ظل صفصافة ونخل غريق ، إذ أن الموت في نظره خصب، والحياة مجدبة ، حتى الأرواح التي يألفها لا يجدها في هذه الحياة المقيتة بل يلتقي بها في غابة الموت .

---

[١]- ينظر: المصدر نفسه : ٢٤٦

[٢]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢٨٩

[٣]- ينظر: حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر: ٤٨

[٤]- المصدر نفسه: ٧٢-٧٣

يحاول بوساطة الأسطورة الانتقال إلى عالم رحب من السيادة والاستقلال ، فالضغط على حريته أفقده جزءاً مهماً من حياته دفعه إلى محاولة التخلص من هذا الكابوس وإن كان سبيل ذلك هو الموت[١] ، ثم يتساءل ديموزي/ الشاعر في نفس القصيدة إذا خرج من الماء ماذا سيرى وكيف سيكون شكل الحياة:

إذا عُدتُ ثانيةً

هل تُرى تعشب الرغباتُ .

وتكشف عن وردةٍ في محيطٍ يضجُ برائحة الملح !

هل يتوقفُ نزف الضحايا ؟!

وأي صديقٍ سأوثرُ لو عدتُ

من غادرَ النفسَ أو غدَرَ النفسَ !

أو من طوى السرَ في لغةٍ لا تبين

وعانقَ عبر قناعِ الأكاذيبِ

أقنعةَ الآخرين؟! [٢].

تبدأ شخصية الاسطورة التساؤل عبر حوار داخلي يمتزج فيه صوتها مع صوت الشاعر وهو يخوض في غابة الطين غارقاً تحت الماء ،هل ينبعث الأمل من جديد لو عاد هل تتفتح رغبات النفس في ولادة جديدة لحياة جديدة فتزهر الورود في محيطٍ مالح ، هو تساؤل حول إمكانية تحقق المستحيلات في هذه الطبيعة المتماهية مع واقع الحياة ، وهل سيتوقف نزف الضحايا؟؟.

يحاول ديموزي/ الشاعر عبر تساؤله أن يكشف عُري المجتمع ومواضع التردي والانهيار، فحين يتعرض المجتمع للهيمنة والتسلط من قبل الآخر فإن الموت يسكن في كل مفرداته وتخلو الحياة من مضمونها وهذا ما يحاول أن يكشفه عبر وثيقة الشعر الإنسانية [٣]، ثم يتساءل عن الصحبة التي سيؤثرها من غادر النفس أي الذين قضوا نحبهم وانقضت آجالهم وهم يدافعون عن حرياتهم وكلمة الحق ، أو الذي وجد في الغدر والخيانة ومرافقة الظالم أرضية يبني عليها مستقبله واسمه ، ففي قراءة هذا النص نلحظ أنه ينتقل من صورة المثقف بوصفه عنصراً في حشد إلى كونه غير منتم تسيطر عليه الشكوك وعدم اليقين [٤] فالنص تساؤل عن مصير الحياة وكونيتها وفاعلية الذات فيها ،فديموزي المحتجز بفعل الموت في العالم السفلي يمثل الشاعر

---

[١]- ينظر: الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه: ١٣٧

[٢]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢٩٠-٢٩١

[٣]- ينظر: تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر: ٦١

[٤]- ينظر: السيرة والعنف الثقافي: ٢٠١

الذي يشعر بأنه أسير هذا الواقع ولكنه على الرغم من مآسيه يأمل أن يكون بمقدوره أن يسهم في استحداث تغييرات جوهرية ليعود ثانية وتعود معه مظاهر الحياة إلى هذه الارض[١]، أما عشتار أو(إنانا) فهي إلهة الحب والجمال والحرب وزوجة تموز أو (ديموزي) يوظفها ليحيل إلى رغبة الإنسان في البقاء وقد استعملها شعراء الجيل للإشارة إلى ما يحويه الجمال من جوانب وجودية وتصوير وجه الحياة من خلالها[٢] :

لكن فراشةَ ذاكرتي يأسرها النور ،

تستيقظ بين رُكام الأيام الأولى ،

وتعود إلى الماخور

لترى عشتار على الجدران تعريها

مروحة السقفِ وتلقيها

فوق الجمهور

عُصفوراً ميتاً[٣].

تحيل القصيدة إلى تنهدات الذاكرة بدءاً من عتبة العنوان (رباعية لوفيلد رود) والأحداث التي تعقب العنوان حيث البيت الذي كان يسكنه في لندن مع زوجة وطفل ، فيدخل في دوامة حلمية تحيل إلى أسطورة عشتار والطفل يتحول إلى مغامر والزوجة نصف النائمة تنادي عليه بشبق ، ليستيقظ بعدها وحش الذاكرة في أيامه بين بيوت البغي حيث تتجرد المرأة من إنسانيتها وتتحول إلى كائن عبثي ، فكلمة عشتارفي الأكدية تفيد معنى المعبودة الشخصية أو تمثالها أو بمعنى الآلهة المقدسة وكان هذا الاسم يطلق أيضاً على النسوة اللائي كن يمتهنن البغاء المقدس في المعابد ويخدمن فيها [٤]، واستحضاره لشخصية هذه الأسطورة مع جمعها لصفتي الحب والحرب وتعريتها وإلقائها كالعصفور الميت دلالة على ما تتعرض له المرأة في هذا المجتمع من استضعاف وعنف، فقد جسد العراقيون القدماء جميع خصال المرأة في الإلهة عشتار(إنانا) انوثتها وطباعها فتعددت وتنوعت صورها فتارة هي المرأة القوية التي لا تقهر ومرة أخرى هي المرأة المستضعفة التي تقع فريسة سهلة بيد الرجل [٥]، وهذه صورة من صور الواقع التي عالجها من خلال توظيفه للأسطورة ومنحها دلالات معاصرة ، فالآلهة الاسطورية التي ترعى الإنسان بقواها تحتاج إلى طقوس لحفظها وصيانتها من أجل ديمومة قواها الخارقة في بقاء الحب والجمال والخصب والنماء وغيرها من الصفات التي اتصفت بها ((فإذا كانت القوى

---

[١]-ينظر: عشتار ومأساة تموز، فاضل عبد الواحد علي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع-سوريا- دمشق، ط١، ١٩٩٩: ١٧

[٢]- ينظر:خطاب الرؤيا في الشعر العراقي الستيني ، مريم جابر عياش، رسالة ماجستير كلية التربية للعلوم الانسانية –جامعة المثنى ، ٢٠١٧م ـ ١٤٣٨هـ : ١١١

[٣]- الأعمال الشعرية:٣٤١/١- ٣٤٢

[٤]- ينظر: عشتار ومأساة تموز: ٢٥

[٥]- ينظر: المصدر نفسه: ٦١

الإلهية قد عملت على تجديد الطبيعة في الزمن الميثولوجي ، فإن الطقس وحده هو الكفيل باستنهاضها من جديد لتكرر أفعالها النموذجية الأولى، وتجدد حياة الطبيعة سنة بعد أخرى))[١] ويوظف دلالة الثور المجنح الأسطورية للتعبير عن رغبته في مغادرة هذا الواقع المحدود إلى فضاء كوني رحب:

ثورٌ ذو جنحٌ من آشور ،

يجتاحُ طريق الخمارات ِويخطفُ شاعرها المخمور.

وعواءُ رجالٍ يتعالى .

ينفرجُ جناحُ الثور

فيلوحُ صباحٌ صلبٌ مثل حصاة ،

فأخفُ كأني معقودُ

بجناحِ الثور،

أُباعدُ شأنَ الموج، أُباعد وأعودُ

بمذاقِ الغرين ، أو رائحةِ الرحمِ الأولى [٢].

تشير دلالة أسطورة الثور المجنح (لاماسو) إلى القوة والحماية ، فهو نوع من الكائنات الأسطورية المختلطة التكوين فقد ضم رأس إنسان إلى جسد ثور وجناحي نسر، يرمز للحماية عند الآشوريين كونه يمثل الروح أو الاله الحامي من الأعداء والأمراض والشرور لذلك كانت توضع تماثيله عند مداخل عواصمهم ومدنهم وقصورهم لوقايتهم من الشرور والأمراض والأخطار ، ولها قدسية عندهم فهي تدل على سعة طموح الإنسان وشدة تعلقه بالحياة [٣]، وهو في النص يمثل رغبات الإنسان وآماله التي تخطفه من الخمارة وهو في حالة اللاوعي صورة تخييليه، ليشاهد جناحيه وهما ينفرجان ، والجناح يرتبط بالرفق والحنان وكذلك يدل على الانتقال والتخلص من بيئة والانتقال إلى بيئة أخرى [٤]، ومن خلال دلالته الاسطورية يشير إلى الرغبة في الاستعلاء والخروج عن المحدودية المادية نحو آفاق متحررة من القيود الحسية ، أي إنه رمز عن رغبة الذات في احتضان النقاء الروحي والكوني المطلق[٥]، وفي النص يدل على على رغبة الذات للتحرر من عبء المكان والواقع والانتقال إلى حالة أخرى وواقع آخر

---

[١]- الاسطورة والمعنى: ١٧٥

[٢]- الأعمال الشعرية: ٥١/٢-٥٢

[٣]- ينظر:الثور المجنح في الحضارة الآشورية –قراءة سيميائية ، حيدر فاضل عباس، مجلة الباحث الإعلامي ،جامعة بغداد-كلية الآداب، العدد ٣٣-٣٤: ٢٨١ ، وللإستزادة ينظر : الثور المجنح لاماسو رمز العظمة الآشورية ، حكمت بشير الأسود ، منشورات المركز الثقافي الاشوري- دهوك، ط١، ٢٠١١: ٢٤

[٤]- ينظر: الاغتراب والبطل القومي، صلاح نيازي ، مؤسسة الانتشارالعربي، ط١، ١٩٩٩: ٧٧

[٥]- ينظر: الثور المجنح في الحضارة: ٢٨٧

ليكشف له الصباح الذي يمثل هنا الاستمرار الروتيني للحياة عن واقع قاسي ، فيشعر بالخفة على جناح الرغبة بالحرية والانتقال ولكنها رغبة مترددة بين حلم الرحيل والارتباط الروحي بالمكان الذي يحمل مذاق الطين ورائحة الوطن ، فتبقى الذات تتأرجح كالبندول .

أراد الشاعر من خلال الصورة الأسطورية أن ينتج خطاب شعري موغل في العمق الزماني والمكاني ليشكل نسيجاً تفاعلياً مرتبطاً بالذات ، فإنساب خطابه الأسطوري ليحقق مدلولات عدة تتناسب مع فلسفته ورؤاه ويمرره ليحقق مبتغاه الشعري[١]، وهذا ما تميز به شعر هذا الجيل إذ يدل اهتمامهم بها على سعة المعرفة ودليل النضج الروحي والعمق الفكري.

أسطرة الحكاية:

يكثر توظيف الحكايات الخرافية والشعبية في نصوص شعراء الجيل الستيني، وذلك لكون أفكارها تقترب من الواقعية ، وهي تتشابه مع الأسطورة بوصفها تطال كل القدرات العقلية التي يدخل نسق الخيال في بلورة الدوافع التي تنشأ فيها [٢]، وجاء توظيفها الدلالي مرتبطاً بفكرة الحياة والانبعاث بعد الموت وما تنطوي عليه من فكرة التجدد والتغيير:

أمواجٌ تُغرق مسام تطلعنا القلبي برائحةِ الاسطورة

امواجٌ تداعبُ الوسائدَ ساعاتِ الليل .

ومراياها تتناوبُ والشمسَ، على إختراق أجسادنا

امواجٌ تنبشُ رائحةَ الروثِ، الطلعِ ، الطينِ، الغربِ،

الصفصافِ، وجاغِ التنورِ،

نداء غراب البين وراء السور،

القصبِ، الغرينِ، رائحةِ شموع الخضر.

دماءُ النذر تخضب نفقَ صباي إلى الأسطورة [٣].

يؤكد الشاعر من خلال هذا النص انتسابه للأسطورة حيث يوظف التراث للإحالة إلى فكرتها وهو تقديس جزئيات الحياة ، فيشير إلى نمطيتها هذه بقوله : ((أن الاسطورة تتعين بزبدة التاريخ وحكمته وتفلت هذه الزبدة والحكمة لتستقل عن التتابع الابله للتاريخ عبر عواطف الشاعر وعقله ورؤاه))[٤] فهو يتأمل الماضي بتاريخه وتراثه و يسترسل للغرق فيه وكأن

---

[١]- ينظر: الهوية التجييلية وتراكم الصورة في الشعر العراقي السبعيني: ١٦٧

[٢]- ينظر: خطاب الاخر في الشعر العراقي السبعيني: ٢٠٥

[٣]- الأعمال الشعرية: ١/ ١٩٩- ٢٠٠

[٤]- شاعر المتاهة وشاعر الراية – الشعر وجذور الكراهية:١٩

أمواجه الهادئة تهويدة المعشوق على قلب العاشق ،إذ يحيل الموج إلى الماء الذي يُعد في نظر المتأمل فيه دليل على الحركة الجديدة التي تأخذنا في سفر لا يتحقق في الواقع إطلاقاً[١]، حيث يؤنسن الشاعر الأمواج فتعيد إليه (رائحة الروث، الطين، الطلع...) وهي تفاصيل تحيل إلى الزمن الماضي للشاعر، و إن الباعث على حركية النص هو فعل السفر بالذاكرة من الوطن وإليه والذي تعمل الأسطورة على تكثيفه كونها تعبر عن أحداث تجري((في ماضٍ ناءٍ متخيل ، لازمن له وتروي أصول البشر والحيوانات وما هو خارق للطبيعة، فضلاً عن كونها فكراً أو معتقداً ...تروي تاريخاً مقدساً، أو حافلاً بالخوارق والاعاجيب))[٢] وإن الدلالة الاسطورية هي إعادة بعث وخلق جديد في الذاكرة ، فتأتي تأملاته وذكرياته مختارة بدقة حيث يؤنسنها كما لو أنها هي هو، تكون قابلة للاندماج في العالم وهي متشبعة بلوعاته ولوعات الوطن وتفاصيله (القصب ، الغرين، رائحة شموع الخضر) هذه التفاصيل ذات العمق الوجودي تمتلك كينونة أعمق وأشمل من ذاتها[٣]، ويوظف الشاعر الدلالة الأسطورية لحكاية طائر العنقاء تعبيراً عن رغبته بإعادة بعث الحياة من جديد:

أيها الطائر

كم تحجبني عنك نداءاتي ، ولاتدخل

لي نافذةٌ، تألفُ صوتاً واحداً،

ظلاً بحجم الكف،

من يجرؤ أن يغفلَ نهدين نهاريين لم تبلغهما الرغبةُ،

جُنحين على صاريةٍ في مرفأ يحجبهُ الفجر.

لماذا أيها الطائرُ لاتدخلُ!

إني منذ عشرين أوافيك بما يُخبرُ هذا الركن ،

إني منذُ ألفين أَطعتُ الشمس في مشرقها ،

طاوعتها ظُهراً،

وفي المغربِ طوَعتُ جناحيها لهذا الركنِ

هل تدخلُ عشاً من مغيبِ الشمسِ

قل لي،

---

[١]- ينظر: الماء والاحلام دراسة عن الخيال والمادة: ١١٥
[٢]- البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢٢١
[٣] - ينظر: المرايا والدخان: ١٦٨

أيها الطائر؟! [١].

ذكر طائر الفينيق أو طائر العنقاء في الأساطير العربية القديمة وهو دليل على القوة وعلى الانبعاث والحياة الجديدة ، لذا استحضرها الشاعر في أكثر من قصيدة ليعبر عن رغبة كامنة في ذاته بأن تتغير هذه الحياة الهرمة ويخرج من رمادها واقعاً يافعاً جميلاً، ويرد في الشعرالكثير من الإشارات إلى رموز الانبعاث بوصفها دلالة معبرة عن جدلية الموت والانبعاث[٢].

يكرر الشاعرنداءاته للطائر / البعث الجديد ولكن نداءاته محجوبة لا تسمع ، والنافذة هي بصيص الأمل والرجاء الذي يتطلع إليه ، والنهد مرتبط بالطبيعة الحية الذي لم يبلغ الرغبة بعد هو النهد الفتي الصغير الذي شب حديثاً في دلالة على ارتباطه بالولادة الجديدة ، ولادة الحياة والطبيعة ، وهذا يدل على إن ((جوهر الأسطورة وبؤرتها الحقيقية تكمن في أساطير الخليقة والنشوء لأنها تشير إلى الأول دائماً (الكون والعالم الأول) الآلهة الأولى ، الإنسان الأول ، ولذلك تؤجج هذه الأساطير الشوق إلى معرفة الأصول ، وهو شوق أصيل في الروح الإنساني ونزعة من نزعاته القوية))[٣] ويكرر كلمة (لا تدخل) بوصف التكراريمثل لون من ألوان التجديد في الشعرإذ يكشف عن اهتمام المتكلم بنقطة حساسة في العبارة حين يسلط الضوء عليها[٤] ، وينتظره في زمن يحدده بـ(منذ عشرين) وهي المدة التي قضاها مترقباً الانبعاث الجديد، و(منذ الفين) قد يكون هو عمر أسطورة الطائر والذي ارتبط بشروق الشمس لأنه يتجدد باستمرار[٥] ، فلا يحضر الطائر ولا تتجدد الحياة وحتى لا تخيب آماله يترجى أن يحضر البعث من المغيب.

كما يتخذ توظيف حكاية العنقاء أو الفينيق في قصائده أسلوباً للكشف عن موقفه القومي من القضية الفلسطينية:

يا طائراً يحومُ فوقَ جثةِ القتيل

بحثاً عن الثأرِ سدى ،

لو أنني متُ على مشارفِ الجليلِ

ملثماً بغضبي ،

أو تحت سكينِ أخٍ لم أأتمنهُ

---

[١] - الأعمال الشعرية: ٥٩/١-٦٠

[٢] - ينظر: اسطورة الانبعاث عند أدونيس- أدونيس عند أدونيس، بغوس سامية ، رسالة ماجستير في كلية الاداب واللغات والفنون- جامعة وهران- الجزائر، ٢٠١١-٢٠١٢م: ٦٠

[٣] - متون سومر(التاريخ ، الميثولوجيا ، اللاهوت، الطقوس)، خزعل الماجدي ، الأهلية للنشر والتوزيع، الاردن-عمان، ط١ ، ١٩٩٨: ٦٥

[٤] - ينظر: البنى الاسلوبية في شعر فوزي كريم: ١٤٨، ينظر للاستزادة : الانساق الثقافية في شعر أديب كمال الدين، نور رحيم حنيوي ، رسالة ماجستير في كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة المثنى ، ٢٠١٨م – ١٤٣٩ هـ : ٨١

[٥] - ينظر: أسطورة طائر العنقاء ، موقع فنتازيا الألكتروني، http://fantasyh.net

أو بقيتُ شاهداً !!

٣

يا طائراً ألقى على ضريحي

جناحه المبتل :

لستُ شهيدَ وطني المحتل،

لكنني سدىً وقبضُ ريح!! [١].

تتلاحم الدلالة الأسطورية مع الحدث الذي يرسمه ، وبالنظر إلى فاعلية أسطورة العنقاء نلحظ أن اعتمادها في القصيدة يدل على الرغبة في الخلاص ، كأنه يريد منا أن نخرج من رماد عجزنا وضعفنا وتشتتنا العربي المنهار ليعلن فجر النصر والخلاص والبعث الجديد[٢] فالطائر الذي يحوم فوق جثث القتلى دلالة على المطالبة بالثأر، إذ يوحي مشهد الولادة الجديدة له بولادة جيل مطالب بثأر قتلاه ، حيث يقوم الخطاب على صورة تنبؤية عن مشهد موت الشاعر الذي قد يكون على جبال الجليل وهو يتقدم للدفاع عن هذه الأرض ، أو قد يكون حتفه غدراً واغتيالاً كموتٍ شائع في وطنه ، إنه يتعامل مع هذه الدلالات بوعي فني مركز ولكنها قليلة العمق شفافة تستبطن خطين الحاضر الواقعي والماضي الأسطوري وهي أبسط حالات الدرامية[٣] فيكرر النداء مرة أخرى (يا طائراً) وهي نقطة ارتكاز القصيدة ، لتكشف عن السيميائية المتولدة منها ، إذ تشكل هذه النقطة تصارع تياران في القصيدة هما تيار الموت وتيار الانبعاث، وهذا يظهر عبر الدرامية المتولدة عن رمز العنقاء[٤]، كما تكشف عن الحالة النفسية التي يمر بها و شعوره بعدم الفاعلية وعدم القدرة على الخلق والتفتح على نقيض العنقاء .

إستحضار الشخصيات التاريخية :

اتجه الشاعر شأنه شأن باقي أفراد جيله إلى استحضار التاريخ في نصوصه منطلقاً من فكرة أن ((النص والتاريخ منسوجان ومندمجان معاً كجزء من عملية واحدة ، والدراسات الثقافية تركز على أن أهمية الثقافة تأتي من حقيقة أنها تعين على تشكيل وتنميط التاريخ))[٥] فوظف الشاعر الشخصيات التاريخية معبراً من خلالها عن قلقه ورؤاه ، كما يصور من خلالها الواقع ، فقد وجد الستينيون أو نفر منهم في الشخصيات التاريخية طريقة للتعبير عن همومهم

---

[١]- الأعمال الشعرية: ٢/٢٢-٢٣

[٢] - ينظر: شعرية الإغتراب بالرموز عند شعراء الحداثة المعاصرين، عصام شرتح، مجلة رسائل الشعر ، العدد ٧، ٢٠١٦: ٦٦

[٣]- ينظر: الاسطورة في الشعر العربي المعاصر، يوسف حلاوي، دار الآداب، ط١، ١٩٩٤: ٤٠

[٤]- ينظر: المصدر نفسه: ١٤٨

[٥]- النقد الثقافي : ١٧

واهتماماتهم في قصائد محملة برسائل أيديولوجية [١] ، وهذا التوظيف للشخصيات التاريخية إضافة إلى كونها قناعاً يتستر خلفه الشاعر لتحميه من بطش القوى الآيديولوجية المهيمنة في ذلك الوقت ، هي أيضاً إثراء لتجربته الشعرية، وأول ما يطالعنا من هذه الشخصيات هو البهلول ،إذ استهوت الشاعر هذه الشخصية التاريخية حتى استحضرها كمعادل موضوعي لذاته في أكثر من موضع في قصائده ويعود ذلك إلى إحساسه بأنه والبهلول –الحكيم /المجنون- شخصيتان متشابهتان :

أمتحنُ ردائي برداء البهلول

وندائي بنداء الغول

وقطيع همومي بقطيع الراعي،

فاراها تأكلُ عشباً برياً

وتنز على بعضٍ [٢] .

أسقط الأبعاد النفسية لشخصية البهلول مثل التشرد والضياع والخوف من التصريح بآرائه محتجباً خلف قناع يحميه إذ يقوم بتعرية الحقيقة لائذاً بالجنون ، فيمثل توظيفها التعبيري((لحمل بُعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر أي أنها تصبح وسيلة تعبير وإيحاء في يد الشاعر يُعبرمن خلالها أو يُعبر بها عن رؤياه المعاصرة))[٣] وبالإضافة إلى غرائبيتها نراه يلحقها بنداء الغول دليلاً على صيحات رفضه الصادحة مثل نداء الغول الذي لا يمكن ان يتجاهله أحد ، ثم قطيع الراعي الذي ينافس همومه بالكثرة وهو يرعاه ولا يتمكن من التخلص منه لأنه ثروته التي جناها من هذا الزمن ، هو يرى ذاته بهلولاً بصوت غول يرعى قطيعاً ، دليل على شخصيته الممتحنة ، فالبهلول يمارس دوراً ذا مفارقة كبيرة ، هو ظاهرياً غيره باطنياً لا يقتنع بتمثيل دور المضحك الساذج فيمارس عمقاً دور التعرية على مستويات عدة ومنها السياسي [٤] ، وهو إذ ينسج صورة للحيوان / الغول في محاولة لخلق جو مشحون بالصراع والخوف ثم يعود ثانية ليستعير صورة الراعي الذي يرعى همومه في محاولة مستمرة منه لأنسنة الحيوان بوصفه رسالة عن التحديات التي يواجهها التي تشير إلى فساد طبع البشر لتكون همجية الحيوان في مقابلها أنسنة.

ينطوي النص على كثافة حكائية مشتملة على سيميائية عميقة ، وتقوم سيميائية هذا النص على جملة من العلاقات التركيبية بصفتها دالة أي متعلقة بشكل المضمون [٥] .

---

[١]- ينظر : الموجة الصاخبة: ٣٥٤

[٢]- الأعمال الشعرية: ١/ ٥٣

[٣]- إستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ١٣

[٤]- ينظر: أنسنة الشعر: ١١٥ و١١٦

[٥]-ينظر: السيميائيات – نحو علم دلالة جديد للنص، مصطفى شادلي، تر:محمد المعتصم،رؤية للنشر والتوزيع- القاهرة، ط١، ٢٠١٥: ٢١

يأتي نصه الشعري تجسيداً لعذابات الإنسان في معترك الحياة فيكون بلغة بسيطة ورشيقة مناسبة لهذا المعترك الغامض والملتبس لقدر الإنسان ولمأزق الحياة الذي لا يوفر إجابة[١] ، كما إنه رداء يوحي بحالة التأمل والحكمة المنبثقة من التجربة :

وانا بثياب البهلول ،

وقناع المتأمل

أرخيتُ فمي المترهل

فوق ذراعي واستسلمت

لطيور خريف العمر غلى ما تجهلُ تطوي الأيام.

وكما ينتزعُ الشكُ ثياب البهلولِ ويُلقيه إلى الأسرار

عُرياناً ،

تنتزع الريحُ من الصفصافِ الباكي والدردار

في ((لوفيلد رود))

أوراق خريف العمر[٢] .

يستحضرمرة أخرى شخصية البهلول بوصفها معادلاً موضوعياً عن الفكرة التي يحاول تقديمها للقاريء ، وخلق صورة وخطاب شعري مميز يرفع من مستوى النقد الأدبي له ، إذ يقوم النقد الأدبي على العلاقة بين النص والدلالة وتمييز النص بين نوعي الدلالة – الصريحة والضمنية، فالنص الذي تزداد قدرته على إنتاج الدلالة الضمنية تزداد أدبيته وشيوعه [٣] ، وتظهر الدلالة الضمنية في نصه بتقمصه لهذه الشخصية وتأمله - طيور الخريف / الظروف العصيبة - ، لتطوى الأيام دون أن يحرك ساكناً خوفاً من افتضاح شخصيته والتنكيل به من قبل السلطة ، ففي تقنعه بجنون العقل يحاول أن يساند المظلومين والفقراء من خلال الإفصاح عن معاناتهم وإيصالها إلى ألحاكم عبر بث الحكمة والوعظ والإرشاد عند البهلول وعبر الشعر عنده، وينتزع البهلول/ الشاعر رداء الخوف والعجز في منفاه فتنتزع ريح المنفى سنين حياته وهو يجالد الغياب والوحشة ، والعُري هو تعبير عن قلة حيلته ووقوعه رهينة لهذه الحياة .

يتحول النص عنده إلى ((وسيلة وأداة ...يستخدم لاستكشاف أنماط معينة مثل الأنظمة السردية والإشكاليات الآيديولوجية وأنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص)) [٤] وهذا

---

[١]- ينظر: فوزي كريم: الأصوات الشعرية الفاعلة عضلياً هي التي ترقع كتب النقاد، عبد الرزاق الربيعي ، مجلة نزوى الألكترونية https://www.nizwa.com

[٢]- الأعمال الشعرية: ١/ ٣٤٢

[٣]- ينظر: النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية : ٧١

[٤]- النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية: ١٧

نابع من المعرفة التي ينطوي عليها شعره وشعر الجيل الستيني عموماً ،إذ يُظهر تميزاً ملحوظاً من خلال تنوع الشخصيات الحاضرة فيه ، ليدل هذا على مستوى عالي من المعرفة حصنتهم من التقوقع والتصلب على نمط شعري واحد ودفعتهم إلى فهم لعبة الزمن ومعطياته[١] ومن هذا المنطلق حملت الشخصيات التاريخية التي استحضرها رؤيته وفهمه للوجود وكيفية تحقيقه ، على اعتبار أن رغبة الوجود هي الرغبة الملحة للإنسان ، وغاية الإنسان في مغامراته الطويلة هو تحقيق هذا الوجود وفهم معناه [٢] ، ثم يقف عند شخصية السندباد الجوال الذي يجوب البلدان بحثاً عن المعرفة وعن عالم خالٍ من الظلم والقهر فيسقطها معادلاً موضوعياً لشخصيته، فهو مثل الملاح الذي يبحث عن مستقر، وقد وجدت هذه الدلالة عند غيره من الشعراء الستينيين [٣] :

أنا ذلك السندبادُ بلا رايةٍ.

حملته الظهيرة

زوارقَ أشلائها ، حنط تلك الزوارق،

أوحى لها أن تكون:

سراجاً توقدُ من نخلةٍ

جذرها ثابتٌ وأطرافُها في سماءِ الفصول [٤] .

وجد في شخصية السندباد إمكانيات غنية تعينه في التعبير عن تجربته الذاتية ، إذ جمعت هذه الشخصية بين المغزى الشعوري العام والخاص الذي يرتبط بتجربة الشاعر الخاصة والتي أفادت من المغزى العام، حيث إستطاع أن يعبر عن أشياء واقعية على الرغم من إنه كان يبني في الوقت ذاته صورة خيالية لمشاعره ،[٥] فمشاعر الابتعاد عن الوطن(بلا راية) دلالة على الهزيمة والانكسار ، حيث تقوده الأقدار إلى مصيرٍ مجهول ،استطاع أن يجعل هذه الشخصية تحمل مشاعر الثائر المعاصر المهزوم ويعبر من خلالها عن أدق القضايا التي أثرت فيه والتي عمقت من شعوره بالهزيمة والخذلان كل ذلك من خلال المضمون التراثي العام للشخصية وهو المغامرة والصراع مع الحياة والأقدار المؤلمة التي واجهتها ،[٦] لتكون (النخلة) رمزاً للوطن الصامد رغم المآسي والخطوب التي تتكالب عليه شامخاً عالياً فوق أدران الواقع ،هو النور الذي يضيء عتامة هذا المصير ((إن رحلته ليست رحلة كشف ومغامرة يعود بعدها بالطرف الفريدة كما كان شأن السندباد ، ولكنها رحلة في عالم الضباب والمجهول))[٧] فتأخذ هذه

---

[١]- ينظر: تجييل الكتابة الشعرية في العراق بين التنظير والإجراء: ٤٩
[٢]- ينظر: الشعر العربي المعاصر: ١٦٩
[٣] - ينظر: الموجة الصاخبة: ٣٥٦، وينظر للاستزادة: خطاب السلطة في الشعر العراقي الستيني: ١١٥
[٤]- الأعمال الشعرية: ١٤٨/٢- ١٤٩
[٥]- ينظر:الشعر العربي المعاصر: ٢١٢
[٦]- ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ٢٧٥
[٧]- الشعر العربي المعاصر: ٢٠٩

الشخصية دلالات معاصرة عنده ،لتتحول دلالة رحلاته إلى محاولات كشف عن آلالام النفس الإنسانية عبر الزمن :

وانغمس الحبُ بليلِ هذه القصائد

ومات َسندبادُ

في السواحل الغربية

يبحثُ، في إصبعه عن لغتي الرتيبة ،

وفي دمي

في جسد الأرض عن الحصاد [١] .

يعالج في القصيدة المواضيع ذات الصلة بحياته التي يعيشها والحالة النفسية والاجتماعية التي تسيطر عليه أما الحب الذي يتغنى به الشعراء فلم يجد له صدى في شعره بل خيمت عليه موضوعات أخرى ذات أبعاد نفسية حتمتها حياته والأوضاع الصعبة التي عاشها ، وهو يستعير من السندباد اسمه فقد دون ملامحه ومدلول الاسم هو المغامرة والهجرة أما التجسيد الواقعي له فهو يمثل تجربة الشاعر ذاته ومغامرته الواقعية في الحياة ، إذ يمثل تجسيد عصري واقعي[٢]، إذ يصورعبرهذه الشخصية مشاعر العزلة والابتعاد عن موطنه، ووظف لذلك مفردة (الموت) ((باعتباره انقطاعاً مباغتاً لمصير باهر بصدد الاكتمال ، وباعتباره فراقاً موجعاً يقضي على الأحياء بالألم وعلى الميت بالعزلة))[٣] فموت السندباد في السواحل الغربية دلالة على الانهيار والإنكار ولكنه يحاول المقاومة باحثاً عن أثر الكلمة ، إنه نموذج ((لطموح الإنسان المعاصر إلى اكتشاف ذاته والوصول إلى اليقين أو ما يشبه اليقين))[٤] ، أما دلالة اللغة فهي إعادة خلق في الشعر والحياة ، تشير إليها عبارة (وفي جسد الأرض عن الحصاد) أي عن البعث والولادة الجديدة ، إذ ((تتحرك الذات وهي تحاول الإفلات من قبضة الانهيار / الموت راغبة في تأسيس وجود مغاير للوجود الجمعي))[٥] وهو من خلال محاولاته الدائبة للوصول إلى لغة تحوي مشاعره الانسانية كانت دافعه للولوج إلى عوالم أخرى بعيدة وشخصيات مختلفة لتحقيق أفضل مستوى من التأثير.

الإندماج مع الشخصيات الادبية:

---

[١]- الأعمال الشعرية: ٢٤٦/٢

[٢]-ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ٢٤٦

[٣]- الموت في الشعر العربي: ٦٤

[٤]- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،محمد فتوح أحمد، دار المعارف ،ط٣، ١٩٨٤ : ٢٨٠

[٥]-تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر: ٣٨

مع تعقد الحياة وتوسع مدارك المثقفين في هذا الوطن أخذت الأشكال الأدبية لشعراء الجيل الستيني تستعين بشخصيات أدبية وثقافية قديمة ، مؤكدين على إن تراث هؤلاء الأدبي ((يحوي على منابع الإلهام وكنوز الفن والحكمة ما هو جدير بالالتفات إليه والاسترفاد منه))[١] فعمد الشاعر على استحضار تلك الشخصيات الأدبية بوصفها طريقة للإحالة إلى رؤاهم ونظرتهم الفلسفية للحياة وتثبيت لهُوية الجيل التي ينتمي إليها ، إذ يندفع إلى تعزيز أواصر الانتماء إلى هذه الهُوية من خلال سرديات متخيلة يستحضر فيها رموز ثقافته الأدبية فيحبكها مع سردياته لتزوده بحس مُلهم لفهم الذات والهُوية[٢]:

سأحاولُ طيرة إبن الرومي

احاولُ بيتاً يسكنهُ العرافُ بشعرِ أبي الطيب.

معتقلاً في أقفاصِ أبي تمام .

وأكون يتيماً يرعى الثمرَ المنكرَ في بستانِ أبي نواس،

محزوناً في سقطِ الزندِ.

وأنزل شأن البغدادي

إلى أقبية الممرورين المنتبذين ظلالَ الفاقةِ.

كان إبن نباتةَ يخرجُ من قبوٍ في (الشورجة)

في صحبةِ رائحةِ بهارٍ وديون[٣] .

تعد فكرة استدعاء الشخصيات الأدبية التراثية من أهم الوسائل التي تبناها الشاعر وجيله، فهي من أبرز سمات الحداثة في الشعر التي واكبوها، إذ يتخذ من الشخصية التي يستحضرها قناعاً يبث من خلاله أفكاره ورؤاه ، كذلك للحوار معها حول قضايا فردية أو جماعية ، أو يتحدث عنها بوصفها تشكل معلماً مؤثراً من معالم وطنه وأمته[٤] ،وقد شكلت الشخصيات محور هذا النص محاولاً من خلالها إبراز مفارقات الحياة بين الماضي والحاضر تارة ، كاشفاً عن فرادة هُويته وانتماءه الثقافي الذي يوصفه بأنه خليط من ثقافة المتنبي وأبي تمام والمعري وابي نؤاس وغيرهم من الشعراء القدامى ، فيوظف شخصية الشاعر ابن الرومي وتطيره الذي اشتهر به ، دلاله على هلعه وخوفه بسبب معاناته من فقد الأهل والأصحاب وتطاول الأيادي الغادرة على الأبرياء ، وابن الرومي كان كارهاً للحياة مع شعور قاتم بالظلم مدركاً

---

[١]- الفولكلور قضاياه وتاريخه، يوري سوكولوف، تر: حلمي شعراوي- عبد الحميد حواس، راجعه: عبد الحميد يونس، مكتبة الدراسات الشعبية- القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠ : ١٣

[٢]- ينظر: الهوية والذاكرة الجمعية: ٧٦-٧٧

[٣]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢٠٦

[٤]- ينظر: إستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ٢٠٩

خسارته بالحياة وخاب في فرض إرادته على مجراها[١] ، واستحضاره لهذه الشخصية بتراثيتها الخالصة يرجع إلى أثرها البارز في شخصيته وتفكيره ، وليس غريباً أن يكشف عن إعجابه بالمتنبي ، وقوة تأثير هذه الشخصية بذات الشاعر، إذ كان اعتداده بنفسه وغروره يشكل سمه ذاتية شخصية ، وهذا ما أثر على شخصيته الشعرية على الرغم من أن شعره كان مرتبطاً بمعاناة الإنسان وعلاقة الفرد بالجماعة التي يعيش فيها ، وأفكاره تتراوح بين الحياة والموت والنيل والحرمان والقوة والضعف والفوز والخسارة وتقلبات الحياة وزوال نعيمها[٢]، وهي دلالات ترتبط بأفكار شاعرنا وفلسفته في مواجهة الحياة والواقع.

يدخل شعره في (أقفاص أبي تمام) وينهل من حداثته التي يكتنفها نوع من الازدواج، فهي تُلغي ذاتية الشاعر وفرادة تجربته ليحولها إلى جزالة الكلمة وذكاء الجملة ، فيكرس الموهبة لصالح المخيلة التي تنحصر في قوة اللفظ ومتانة التركيب[٣] ، ثم يتقنع بقناع اليتيم ويسكن مدرسة أبي نؤاس محاولاً أن ينحو منحاه ، إذ تعد هذه الشخصية الأدبية رمزاً من رموز التحول وتوظيفه في القصيدة ينسجم مع نظرته وجيله للتجديد الشعري، لذا جاءت هذه الشخصية في نصوص العديد منهم [٤] .الإرتباط بالشعر القديم لا يعتمد على الإرتباط بطرق تعبيره بل بالروح الإنسانية المبدعة التي حركته[٥]، وهذا ما جعله مصاحباً لشعر هذا الجيل الذي كان مهتماً بتوظيف هذه الشخصيات بوصفه نوع من التعبير عن الخبرة الروحية للشاعر، إذ يكشف هذا التعبير عن ((هُوية الإنسان كتجربة فريدة ، عبر الحيرات والتساؤلات بكل ما تنطوي عليه من ضعف وعزلة ولايقين))[٦] .

يوظف الشاعر وغيره من شعراء هذا الجيل شخصية أبي العلاء المعري لمحاولة تثبيت فكرة تشابه فلسفتهم الوجودية ، إذ كلاهما يرون إن حق الإنسان مسلوب وإن الضعيف مهُمش والوطن ما عاد يحتضن أبناءه بل غدا يغربهم ويفنيهم ،وإن كان المعري أعمى البصر فإن عماهم يعود إلى القتامة التي تسيطر على نظرتهم للحياة والواقع[٧] ، وإن الأسباب التي جعلته يرى أن ثمة تشابه بينه وبين المعري تعود إلى التداعيات النفسية التي جمعت بينهما ومعاناتهم في الحياة ((فقد لُقب المعري برهين المحبسين – العزلة والمرض- وكذا الأمر لدى فوزي فهو سجين عزلته في المنفى ومرضه الذي لازمه منذ وصوله إلى منفاه الأخير في لندن ...ثم إنهما اعتزلا الناس عن رغبة منهما فضلاً عن تقارب المدة الزمنية لعزلتيهما))[٨] هذا إضافة إلى تقارب فلسفتيهما وتشابه ظروفهما .وإن استدعاءه لهذه الشخصيات الأدبية التراثية عملت على انتقال علاقته بموروثه من مرحلة التعبير عنه إلى مرحلة التعبير به ، و ساعد على هذه الإنتقالة

---

[١]- ينظر: تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ، دار العلم للملايين للترجمة والنشر ، بيروت – لبنان، ط٧، ٢٠٠٦: ٣٤٢/٢

[٢] - ينظر: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، عبد الوهاب عزام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- مصر، ط٢، د.ت : ٢٦٣

[٣]- ينظر: ثياب الامبراطور: ٩٧-٩٨

[٤]-ينظر: خطاب السلطة في الشعر العراقي الستيني: ٩٧ ، وينظر للإستزادة: خطاب الرؤيا في الشعر العراقي الستيني: ١١٠ و ١١١

[٥]- ينظر: الاسطورة في الشعر العربي المعاصر: ٢٨٢

[٦]- ثياب الإمبراطور: ٩٦

[٧]- ينظر : خطاب السلطة في الشعر العراقي الستيني: ٩٦

[٨]- البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢٠٢

القيم الفكرية والروحية والفنية الصالحة للبقاء والاستمرار التي يزخر بها هذا الموروث[1]، فيميل مرة أخرى إلى استحضار شخصية أبي العلاء التي شغلت شعراء هذا الجيل ووظفوها في قصائدهم بوصفها قناعاً عن فكر فلسفي وشعري مهم:

كأنني أدخل في المدينة الغائبة

مدينةٌ وطأتُها ، فعادني صوتُ أبي العلاء.

"أرِح عظامَ أهلك القتلى !

أرِح عظام أهلك القتلى !"

وكنت مأخوذاً بما يرجع من مراكبِ الصيد

من الأصداء،

والسمكِ الحي ، الذي سرعان ما يُقلى:

" اللحم لإبنِ آدم ، وفُضلةُ العظام

للقطط السائبة" [2].

يتخذ من هذه الشخصية نظيراً أدبياً له ، فهو صوره في عزلته وصراعه الحاد مع الحياة الذي أدرك قصوره ومحدوديته ، وهو من خلال توظيفه لهذه الشخصيات يؤكد على ارتباطه الشديد بالتراث الادبي وما تحمله دلالاته من سيميائيات مشابهة لما في ذاته.

يتأمل نفسه وهو يعود إلى مدينته بغداد لتتكشف له آثار مدينة فيرثي أطلالها الشاخصة في مخيلته ويحضرفي ذهنه صوت أبي العلاء ليستنهضه بأسلوب التكرار ليريح عظام أهله القتلى ، قد تكون دعوة للثأر أو لتقبل الواقع ، ثم ينقطع عن صوته ليدخل في صورة من صور الماضي حيث مراكب الصيد وأصداء الصيادين وصورة السمك المقلي ، هذه العودة الزمكانية منحت النص نوراً كشف عن العلاقة بين تجربتيهما ، فكلاهما ملهمان في الاندفاع إلى أعماق الشعور الإنساني والتأمل في معنى العواطف والأفكار التي تمنحها صورة الواقع الإنساني ، لذا كانت تشغلهما الدلالات الغامضة الملتبسة التي تتخفى تحت الألفاظ المجردة مثل الإنسان ، المدينة ، الحياة ، الموت ، والأهل، وغيرها[3] ، وتداخل صوته مع شخصياته الأدبية يمنح السرد قيمة شعرية مميزة :

ثم يردد ضحكتهُ إبنُ الحجاج :

---

[1]- ينظر: إستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ٢٤-٢٥

[2]- آخر الغجر: ٨٩

[3]- ينظر: ثياب الإمبراطور: ١١٩

هربتُ من موطني إلى بلدٍ

قد صَفرَ الجوعُ فيه منقاري

صَفَر فيه الجوعُ المنقار ! تضج ببيروت الأشعار .

تضج السوقُ . يضجُ اللحنُ المسروقُ.

يضجُ البحرُ بوعدٍ لم يألفه الهاربُ من تنديدٍ في الأحداق .

رقاقُ سيوف الوطنِ تدغدغُ خاصرتي .

ويعانقُ عنقي حبلُ الأشواقِ [١].

يتماهى مع شخصية ابن الحجاج -أحد نوابغ الشعراء العراقيين في القرن الثالث الهجري- كاشفاً عن هُويته المندمجة بشخصيات تراثه المغمور بالمعاني والدلالات ، واستحضار هذه الشخصية تحديداً لتشابه ظروف حياتيهما، إذ كانوا دائمي المواجهة مع المستبدين والمتسلطين، وحاول ابن الحجاج أن يكشف هذا الفساد عبر شعر السخرية فارتبطت تجربته بتجارب الهامشيين والمنشقين والشطار وشعراء الكدية ،حيث يطرق عالماً محظوراً عبر البساطة والظُرف مع إستبطانه للعمق والخطورة [٢] .

يكشف عن عمق معرفته بهذه الشخصية ومكانتها المهمة في الموروث الثقافي لهذه الأمة ويعيد تفعيل دورها من خلال هذا النص، إذ أن من علامات الشاعر الناضج لا أن يختزن الموروث المعطل فحسب بل يعيد تفعيل أكبر قدر ممكن من طاقاته المعطلة وبمثل هذا الفعل يحرز نتاجه الخصب والإكتناز[٣]، ومن خلال هذا التفعيل التراثي يسرد سيرته الذاتية وهو يرحل عن العراق إلى بيروت ليجدها تضج بالحروب الأهلية فتزداد معاناته وآلامه، وبيروت التي تضج بالشعراء والناس وملامح الحياة المتصارعة لا تختلف عن الحياة في وطنه ،فكلاهما نموذج لملامح الحياة الإنسانية العنيفة المحتقنة بالكفاح الأخلاقي والروحي الحاد والتي تنكشف فيها شخصية الفرد وهُويته[٤].

يغلف نظرته إلى المدينة بالبعد السياسي الذي عبث بجمالية المكان ، فالبحر الهائج هو دليل السلطة أو السياسة وهو((لا يعدو أكثر من قوة غازية معبأة بالجنود))[٥] وعلى الرغم من نصال المآسي التي يغرزها الوطن في جسد هذا الهارب –المنفي- تتحول الأشواق إلى حبل مشنقة يُعانق عنقه ويزيد معاناته.

---

[١]- الأعمال الشعرية: ٢٠٧/١-٢٠٨

[٢]- ينظر: إستعادة الشاعر إبن الحجاج البغدادي خفة روح زمانه وهاجي المتنبي، محمد مظلوم ، موقع إندبندنت عربية ، www. Independentarabia. com

[٣]- ينظر: ت. س إليوت الشاعر الناقد: ٤٦

[٤]- ينظرالمصدر نفسه: ٦١

[٥]- الإغتراب والبطل القومي: ٧٠

يكشف ابن الحجاج بصوت الشاعر عن محاولة بقاء الحاضر موصولاً بالتراث الشعري القديم ، وعن قلق الإنسان الأبدي واستقطاب المشاكل التي عانى منها، وترجمتها ووضعها موضع البحث للتخلص من أكبر قدر من العوائق التي تواجه الذات الإنسانية عبر الزمن [١].

إنه ليس شاعراً فحسب بل هو ناقد أيضاً لذا يكشف عن تأثره بشخصية الجاحظ النقدية وافتتانه بمؤلفاته وما تحمله هذه الشخصية من قيمة دلالية حاول أن يوصلها للقارئ:

كان الجاحظ يتعوذُ من سوءِ الظن ،

مفتوناً حيناً بالإنصافِ

وحيناً بلسانِ العائب

والخوفُ من الخطلِ وما فَضُلَ عن المقدار .

لكني إذ أتصفحُ أوراقَ ((كتاب الحيوان))

لا أغفلُ إسمي

يتردد:

((عبتَ كتابي في خلق القرآن...))

((وعبتَ كتابي في الرد...))

((وعبتَ كتابي في القول ...))

إني أُصغي للجاحظِ دوماً،

وأعيبُ عليه،

ويردُ عليَ [٢].

اهتمام الشاعر بشخصية الجاحظ هو اهتمام بعلم الكلام الذي كان يتصدر الجاحظ العمل به، وتظهر قدرة هذا العلم على إحقاق الباطل وإبطال الحق وتقوم الأعراف الشعرية على تعزيزه ما دفعه إلى أن يكتب في أي موضوع يشاء في الأصل ونقيضه ، ذماً ومدحاً دون شعور بالتناقض[٣]، وهذا ما يشير إليه الشاعر بقوله :(مفتوناً حيناً بالإنصاف وحيناً بلسان العائب) حيث يؤكد على إنه يميل إلى الانتقائية في الشعر واتجاهه في الحياة ، ونظراً إلى تجزء الجيل وانقسامه أخلاقياً إلى فئة المنشدين طرباً للدكتاتور وأخرى ترفعت عن ذلك ، فهو

---

[١]- ينظر: حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر: ١٠٠

[٢]- الأعمال الشعرية: ١/ ٣٣١-٣٣٢

[٣]- ينظر: ثياب الإمبراطور : ١٢٧

يحدد انتمائه إلى المترفعين المندفعين بهاجس أخلاقي ، ليشبه اتجاهه الحداثي ((برأي الجاحظ قبله في احتقار المعاني التي نتعثر بها على قارعة الطريق))[1].

يدل النص على الترابط بين الجاحظ والشاعر من خلال نقاط بارزة تجمع بينهما وبين أغلب شعراء الجيل هي الثقافة التي كانوا يتميزون بها وكذلك انصرافهم إلى الكتابة والتأليف في المجالات الادبية المختلفة .

إن من خصائص الموروث الثقافي بما انطوى عليه من أسطورة وتاريخ وأدب وغيرها كان حلقة وصل بين أغلب شعراء هذا الجيل الذين وجدوا فيه مرآة لكشف لواعجهم الروحية وغضبهم إزاء واقع مفرط في التوتر وكذلك الكشف عن ثقافة جيل شعري لا ينتمي الا لذاته ولهذا التراث الذي انطلق منه، فكان سمة بارزة في هُوية هذا الجيل الأدبية والشعرية.

المبحث الثاني

التوظيف الرمزي:

[1]- إضاءة التوت وعتمة الدفلى: ١٦١

عانى شعراء الجيل الستيني وما بعده من سيطرة السلطة الدكتاتورية وهيمنتها على النتاج الأدبي فكانت أفكارهم ونتاجهم مقيداً، إضافة إلى تأثرهم بالشعر الغربي وبحركة الحداثة العربية ، فكان شعر الغموض أبرز أُطر نتاجهم والذي يتأتى من ((تكاثف العناصر الفنية التي تغلب على تكوين النص الفني من حيث الألفاظ ودلالتها وإيحائها الموسيقي والتصويري ، وينبع ذلك من النص وجوانيته وعوامل تكوينه الخارجية مع التزامه بالمعيارية))[١] لذا كثر استعمالهم للرمز، للإيحاء تارة ولتكثيف الدلالة تارة أخرى ، فهو بالنسبة للذات الستينية يمثل أسلوباً في تجاوز البنى التقليدية باتجاه حداثة الخطاب الشعري إذ يأتي استنطاق الرموز والتقنع بها والتحدث بصوتها تعبيراً عن القضايا المعاصرة بلغة حية[٢] ، فهو ((تعبير غير مباشر عن النواحي النفسية وصلة بين الذات والاشياء تتولد فيها المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لاعن طريق التسمية والتصريح)) [٣].

يستمد الشاعر وجيله الستيني رموزهم من واقع الحياة والطبيعة ويمزجوها مع الخيال لتغدو مشحونة بالدلالة المعبرة عن قصديتهم الذاتية وقضاياهم المختلفة ، إذ يرتبط بالجانب النفسي للهم ، ولهذا يفسره فرويد على إنه نتاج الخيال اللاشعوري ، وليست له قيمة إلا بمدى دلالته على الأشياء المكبوتة في اللاشعور نتيجة السيطرة الاجتماعية أو السياسية أو الأخلاقية وغيرها ، وعند غيره من علماء النفس يستمد من الشعور واللاشعور إذ يرفض أن يكون قاصراً على منابع اللاشعور وحدها [٤] .

يشحن الشاعر قصائده برموز تبوح بقلقه النفسي وتطلق خياله لتتجلى تجربته للقارئ مغلفة بالغموض الذي جاء متضامناً مع رموزه ، فأغلبها تكون لها علاقة مباشرة مع حياته وبيئته وما يعتريه من مشاعر الخوف والحنين كما هو شائع عند أغلب الشعراء الستينين ومنهم سعدي يوسف وحسب الشيخ جعفر وغيرهم[٥] ، مما اضفى على تجربتهم طابعاً شعرياً مكثفاً، حيث شكّل ((أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف وتحديد أبعاده النفسية ، وفي هذا الضوء ينبغي تفهم الرمز في السياق الشعري، أي في ضوء العملية الشعورية التي تتخذ الرمز أداة وواجهة لها))[٦] ، ولما كان الحديث عن الرمز يتباين بين الضيق والاتساع فإنني لا أرى داعياً للإسهاب في الحديث عن المصطلح لاسيما وإنه يُعد هُوية جيل ، والاكتفاء ببيان نوعية الرموز التي وظفها الشاعر في أعماله والتي تفرعت حتى أغنت تجربته الشعرية .

العنونة:

---

[١]- الغموض في الشعر العربي ، مسعد بن عيد العطوي، مكتبة الملك فهد الوطنية- تبوك، ط٢، ١٤٢٠هـ :١٧٢

[٢]- ينظر: خطاب الرؤيا في الشعر العراقي الستيني: ٢١٨ وينظر للاستزادة : شعرية القصيدة القصيرة عند شعراء البيان الشعري – فوزي كريم انموذجا ، عدنان حميد ياسين ،رسالة ماجستير في كلية العلوم الانسانية قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة المصطفى العالمية ، ٢٠١٧م -١٤٣٨ هـ : ١٤٠

[٣]- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، محمد فتوح أحمد ، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٤: ٤٠

[٤]- ينظر: المصدر نفسه: ٣٦

[٥]- ينظر : دير الملاك: ١٦٢

[٦]- الشعر العربي المعاصر:٢٠٠

يحاول الشاعرأن يرسم صورة قصائده بدءاً من العنوان ، وهو أسلوب اتبعه أغلب الشعراء الستينيين [١]، وحينما كان التعبير المباشر لا يتضمن صورة بل يقدم واقعاً مباشراً من دون جهد أو تأويل [٢]، لذا عمد إلى رمزية العنوان في محاولة لإنتاج خطاب مكثف الدلالة ومميز إذ ((تبرز عتبات النص جانباً أساسياً من العناصر المؤطرة لبناء الحكاية ولبعض طرائق تنظيمها وتحقيقها التخيلي ، كما أنها أساس كل قاعدة تواصلية تمكن النص من الإنفتاح على أبعاد دلالية تغني التركيب العام للحكاية وأشكال كتابتها))[٣] فمحاولة شد المتلقي وتشويقه للقراءة فعل يقوم به العنوان لذا التفت إلى هذا الأمر وحشد عناوين قصائده بالغموض ، بهدف تحفيز المتلقي والانجذاب نحوها واختبار مقدرة الذات على تفريغ حمولاتها الدلالية و تفكيك شفراتها [٤]، وفي غوصنا بين عنوانات قصائده نجد الكم الهائل من العنوانات الرمزية المميزة:

في قصيدته المعنونه ب **((جنون من حجر))**[٥] نلحظ الرمزية الواضحة في كلمتي الجنون والحجر واللتان توحي دلالتيهما إلى الشعر والواقع القاسي ، فهو يرمز إلى الشعر بالجنون ، كونه لم يكن معتدلاً في شعره بل كان جامحاً، متمرداً وضاجاً في رمزيته ومباشرته ، والفضاء الرمزي ما هو إلا((تشكلاً خاصاً من تشكلات الواقع عندما يدخل في وعي الذات ويكون لها تجربتها وموقفها منه ، كما إنه هو الذي يحكم منطق الدليل ومستوياته))[٦] ومن المعروف عنه إنه يكتب القصيدة يريد بها الكشف عن انفعالية الذات ، ينظر إلى أشياء الحياة والفن فيذيبها في جوعه الروحي وداخل حيرة المشرد فيه لتولد منها القصيدة التي تبدو مثله متمردة ، مضطربة ، مجنونة حينها تكشف عن جرح تطلعه والفراغ الذي يغذيه [٧]، وأشياء الواقع الذي ينحت منه القصيدة فهو لم يكن طيعاً سهلاً بل كان قاسياً صلداً.

ومن عنواناته الرمزية التي تكشف عن المعاناة في ولادة القصيدة هي قصيدة **((إمراه من رخام))**[٨] فالمتأمل في قصائده يلحظ إنه عمد إلى تأنيث القصيدة للدلالة على جماليتها وبراعة تكوينها ،وهي هنا تمثال لامرأة / قصيدة منحوتة من الكلمات / الرخام ، فدلالة المرأة الرمزية توحي بجمال الاستدارة والخطوط والملمس وحين تكون قصيدة فهي توحي إلى شعرية الكلمات ذات الانحناءات والملمس الناعم ، أما رمزية الرخام توحي إلى معاناته وهو يتفاعل مع مكوناتها وتفاصيلها ليخرجها مثالية مبهرة[٩] ، كما تشي بذلك دلالات المخالب فوق الصدغ ، اللمسة الجارحة حتى تتحول إلى دفء وكلام ، فالصورة الرمزية تعتمد على ما تحدثه في نفس متلقيها من استجابة يتداخل فيها عاملان : أحدهما الخصائص الإبداعية للذات الشاعرة واختلاف

---

[١]- ينظر: الموجة الصاخبة: ٢٦٥-٢٦٦، وينظر للاستزادة: : خطاب السلطة في الشعر العراقي الستيني : ١٢٩، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥

[٢]- ينظر: قصيدة الشعر من الأداء بالشكل إلى أشكال الأداء الفني، ، رحمن غركان ، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر- دمشق، ط١، ٢٠١٠م: ١٠١

[٣]- عتبات النص البنية والدلالة ، عبد الفتاح الحجمري، شركة الرابطة –الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦: ١٦

[٤]- ينظر: النص نظرة إلى العالم والأشياء : ٥٢

[٥]- الأعمال الشعرية: ٥٧/٢

[٦]- من الصورة إلى الفضاء الشعري، العلائق، الذاكرة ، المعجم ، الدليل: ١٠٨

[٧]- ينظر: تهافت الستينيين: ٢٧٥

[٨]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢٦٣

[٩]- ينظر: المرايا والدخان: ٥٧

المتلقي في تعبيره عن هذه الاستجابة [١]، وما طمح إليه من اختياره لرمزيات العنونة هذه هو تحقيق أعلى مستوى استجابة وأفضل تعبير من قبل النقاد.

يتسع طموحه في خلق تجربة شعرية تتجاوز الواقع الأرضي لتحلق عالياً في فضاء النسور/ الحرية ، وهذا ما دلت عليه رمزية العنوان ((**فضاء النسور**))[٢]، ففضاء التجربة الشعرية التي يصبو إلى الكتابة فيها تنشد التعالي وترك الواقع ، هو((فضاء للعب والتجريب تجريب التحليق فوق كل شيء))[٣]، هي رغبة في هجر هموم الإنسان وترك الذاكرة ، والتحليق في فضاء الحرية والعبث والاستراحة في حضن مجاز الشعر، ولكنه لا يتمكن من تحقيق هذه الرغبة لأنه مشدود إلى واقع هذه الأرض ومتماهي فيها ، وبهذا الفهم القائم على تأويل رمزية العنوان والكشف عن مدى ارتباطه بالنص ((يتجاوز الشاعر المتداول والمستعمل من ألفاظ اللغة العادية ليجعل العلاقة بين الدال والمدلول مشدودة إلى شبكة علائقية متناصة))[٤] وهذا يمنح التجربة بُعداً ميتافيزيقياً واضحاً.

يكشف العنوان في قصيدة ((**الطعنة**))[٥] في دلالته الرمزية عن الغدر و شاعر الحزب ، ، الذي كان انتمائه الحزبي هو رغبة لتحدي الآخر ونادراًما يكون عن قناعة فكرية ، فيعبأ الحزب كيانه بصورة البطل المثال فيشحب إنسان الأرض ويتلاشى ، إذ يسعى إنسان الحزب إلى تجريد الأشياء الحية ، فهوغير معني بها ولا بالإنسان ، وليست قصيدته سوى ظلاً خداعاًللإنسان الحقيقي[٦] ، وإن عنوان الطعنة في معناه الرمزي المطلق هو الغدر الذي يصدر يصدر من جماعة ما وهذا كان فعلاً تحكمه المرحلة وفلسفة البقاء للأقوى .

يلعب الشعر دوراً مهماً في إيقاظ الذاكرة من سباتها الزمني للتحول إلى وحش يطارد الذات الشاعرة ، وهذا كشفت عنه الدلالة الرمزية لعنونة قصيدة ((**الوحش**))[٧] فهو بعد هجرته هجرته إلى لندن ظلت تفاصيل الوطن هاجساً روحياً له، حيث حملها معه في ذاكرته حتى استحالت الأخيرة وحشاً يتربص الفتك به ، وإن هذه الصورة الرمزية المستعارة من تصوره للذاكرة ولخبرة الإنسان الذاكراتية ظلت ترافقه أينما حل ، وبقي الوحش/ الذاكرة يتحكم به ويهبه الاحتمالات المخيفة حول الماضي وعن الحاضر ، فكانت مستودع عذابه[٨].

منح صدق الشاعر في البوح عن معاناته رمزيته بُعداً واقعياًومنح ثيمات عناوينه تأثيراً وموضوعية فلم تكن اعتباطية أو مجردة ، ومنها عنوان قصيدته ((**آخر الغجر**))[٩] الذي أطلقه عن مجموعته كاملة كما كان له كتاباً يحمل نفس العنوان ،والغجر هم الجماعة الُرحل الذين لا وطن لهم ولا مستقر فهم في هجرة دائمة ، ورمزية العنوان توحي بالتشرد الذي طال أكثر العراقيين أبان سلطة البعث حتى غدو مرتحلين بين الأوطان يبحثون عن مأمن وموطن، و

١- ينظر: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث: ١٩
٢- الأعمال الشعرية: ٩٤/١
٣- أنسنة الشعر: ١٠٦
٤- السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: ١٤٤
٥- الأعمال الشعرية: ٥١/٢
٦- ينظر: العودة إلى كاردينيا: ١١٤-١١٥
٧- الأعمال الشعرية: ١/ ٦٧
٨- ينظر: أنسنة الشعر: ٥٠
٩- آخر الغجر: ١١

توحي العنونة بالعزلة والوحدة التي شبهها بعزلة الغجر عن باقي الناس كما يوحي بذلك نسق القصيدة أيضاً، فالابتعاد عن المجتمع والجماعة يلازمه شعور بالوحدة والوحشة ، حيث الأنا النصي الحاضر بعمق في النص ينعطف على دلالة العنوان التي توحي بأن المتكلم شخص متعب وتائه ومتشرد [١] ، ولكن الغجر على الرغم من تشردهم وعدم استقرارهم لا يبطلون النسل فهي دلالة رمزية أخرى توحي بالتمرد والرفض ، فالانا النصي أيضاً((رافض لكل أنواع الخضوع فهو مسكون بهموم الذات ورغبتها في تحقيق وجودها وكينونتها وهي تواجه الآخر الذي يريد أن يجعلها تنخرط في صف التحجر والسكون والرتابة)) [٢] وهو في شغفه في في تأكيد وجوده يتعقب هُويته التي تكشفها مرآة الذات فيكتب قصيدة ((**المرآة**))[٣] فهي الأداة التي تعكس الأشياء والشخصيات إذ تشبه القناع ولكن بواقعية أشد ، يتعقب بواسطتها مصير شخصيته المتمرئية ، فيجمع بينها وبين الرمز صفات عدة منها دلالتهما على عالم الخيال، حيث يجمعان بين الحقيقي وغير الحقيقي ، بين جدلية الحس والعقل[٤] وإن الشاعر الستيني يكثر من توظيفه لهذه الأداة بوصفها طريقة للكشف عن مكنوناته والأشياء التي يعجز عن البوح بها بأسلوب مباشر، فهي تقانة لإظهار انشطار الذات وإظهار الإرسال القصدي التواصلي الذي يكشف عن مواجهة الذات لذاتها والوجود[٥]، حيث يظهر السياق النصي للقصيدة أسباب الانشطار والمتاهة التي تعيش بها الذات ،هي حائرة قلقة بفعل الذكريات ، تعيش على أمل أن تحنو عليها الحياة ولكنها لا تجد في هذا الواقع سوى البرك الراكدة التي توحي بجمود الحياة وثقل استمراريتها على الشاعر فحينها ينسحب ويدخل مرآته/ ذاته الباردة .

تخضع دلالة العتبة للحالة النفسية التي تمر بها الذات ويتضح في دلالة عنوان قصيدته ((**حين ينشب أظفاره الليل**))[٦] حيث يصور ((ثقل الليل وكابوسيته المثقلة بالهموم ،فهو ليل غريب مطارد يعتقد بوهن الملاذات كلها))[٧] هي محاولة تصوير لحالة النفس البشرية وهي ترضخ تحت وطأة ليالي المنفى وكآبتها ، فيمنح الصورة شكلاً محسوساً يحاكي نطاق الواقع والظروف التي عايشها ليظهر من خلال العنوان الفجوة الواسعة بين رغباته والواقع الهزيل الذي يعيشه ما دفعه إلى استعمال النبرة العنيفة لمفرداته ، ففي ظل الظروف المحيطة بالفرد المغترب وصعوبة التماهي الإنساني والمكاني يتخذ التعبير نبرة عنيفة في أسلوبه ودلالته ولغته[٨] ، وإن الدلالة التي تمنحها رمزية العنوان تخلق للمتلقي فضاءات رحبه من التأويلات ، ، إذ ((تمارس الخرق على ما يسمى بالدلالة المباشرة للألفاظ حيث يتجاوزها إلى أفق ما فوق الدلالة ...يتحرر فيه الدال من كل قيود الدلالة التقريرية والاستعمالية))[٩] .

---

[١]- ينظر:السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: ١٤٦
[٢]- المصدر نفسه: ١٤٧
[٣]- الأعمال الشعرية: ١/ ٣٠٤-٣٠٥
[٤]- ينظر: الرمز في شعر أمل دنقل: ١٤٠
[٥]- ينظر: خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: ٣٠٨
[٦]- قصائد لنهار غائم: ٥٧
[٧]- النص نظرة إلى العالم والأشياء: ٨٠
[٨]- ينظر: حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر: ١٣١
[٩] - السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: ١٤٤

الطبيعة:

استعمل شعراء الجيل الستيني الطبيعة بكثرة في قصائدهم لإيصال رسائلهم المشفرة للمتلقي عبر شبكة من الرموز تخفي تحت قناعها تأملاتهم عن الوجود والذات والحياة والموت، وهذا موجود بكثرة في شعر سامي مهدي وفاضل العزاوي وفوزي كريم وغيرهم من شعراء هذا الجيل[١] ،كما تكشف عن صراعاتهم النفسية وطبيعة علاقاتهم بالإنسان من ناحية والمواقف والمواقف الحياتية من ناحية اخرى مثل الحب والكره والتمرد والثورة وكذلك طبيعة رؤيته للآخر وموقفهم منه ، فالعناصر الرمزية التي يوظفونها ترتبط بالبُعد النفسي لواقع تجربتهم الشعرية التي تُضفي عليها أهمية خاصة ، فالتجربة هي التي تتعامل مع علاقات الشاعر ومواقفه تعاملاً على مستوى الرمز الفني الممتلئ بالمغزى أو بأكثر من مغزى [٢]، فيجمع الشاعر تحت رداء رموز الطبيعة مكابداته وأهواءه لتستحيل مجرى لا يهدأ:

أهواء المرء وليدةُ مجرىً لا يهدأ

والعزلةُ ماءُ غدير،

يتآخى في زرقته الأحسنُ والأردأ

والخيرُ والشرير[٣].

يستشف من الطبيعة رموزه التي يبث بواسطتها حكمته وفلسفته في الحياة ، وأهواء المرء مرتبطة بشهواته التي يصعب السيطرة عليها ومجانبتها ، إذ يرمزإلى استمرارية مراودتها للذات الإنسانية مثل غدير دائم الجريان هائج في حركته ما إن يُكبح هوىً حتى يولد آخر،هو رمز عن الصراعات التي تولدها أهواء المرء في كيانه حتى تكسح كل شيء في طريقها ، وماء الغدير رمز عن عذوبة حالة العزلة وصفائها وما تبعثه في النفس من هدوء وطمأنينة فيندمج في صفائها المتضادات وتتآلف المتناقضات لتتحقق المثالية في هذا العالم .

يحاول من خلال الرمز ترجمة أفكاره التجريدية ويحولها إلى لغة تصويرية تبرز أهميتها في الأفكار التي تشف عنها والآراء التي تصرح بها [٤]، كما يكشف عبر تكثيفه الرمزي واستنطاق الطبيعة عن العملية الإبداعية التي تتم بها ولادة القصيدة :

كبذرة الدفلى

---

[١]- ينظر: شعراء البيان الشعري:٦٧و٦٨ و٩٩

[٢]- ينظر: الشعر العربي المعاصر: ٢٠٢-٢٠٣

[٣]- الأعمال الشعرية: ٢٦/١

[٤]- ينظر: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: ١٥٧-١٥٨

أدخل بستانكِ مع أشعةِ الصبحِ،

مع اللقاحِ، دون أنسابٍ ولاجذور،

وإذ يجيء بائعُ الزهور

يقطفُ أحلاهُن من جرحي[١].

يكثر من الحديث عن شجرة الدفلى ، وسبب ذلك إنه وجد فيها مجرى داخل كيانه كما كان مجرى الماء داخل السياب تطورت مع الأيام إلى كيان ينشدُ إليه يحمله إلى النور يربطه بالأفق الواسع الرحب ، وهو وجود أكثر غزارة[٢]، حيث يشبه ذاته بهذه الشجرة بصفتها رمز عن إنشداده للعالم الداخلي ، فهي لا تقوم بدور المرايا إذ تحتفظ بكيانها الذي لا ينتسب للضوء والظل فالضوء الذي يقبل عليها سرعان ما تطفئه ، هي / هو تنتسب لعالمها الداخلي فهي لا تستثير نظر أحد بل تتطلع إلى داخلها [٣].

يستعمل اسلوب الحوار مع كيان غير مصرح به تكشف عنه لفظة البستان بوصفها دلالة رمزية عن اللغة/ التجربة ، إذ لم تعد اللغة في تصور الشاعر المعاصر أداة ترجمة للوجود وإنما صارت بالنسبة له وللمتلقي الوجود والتجربة والحياة [٤].

يدخل عالمه الانطوائي / عالم الدفلى مع إشراقة الشمس أو حين انتشار اللقاح إذ تشير دلالة (الشمس واللقاح) الرمزية إلى الولادة الجديدة/ ولادة القصيدة ، فيتجرد من انتماءاته – دون أنساب ولا جذور- ليأتي بائع الزهور/ الذات الشاعرة ليقطف أحلاهن ، ويجسم الكلمات التي تدخل في قصائده فيستعمل لها الضمير (هُن) ((وهو في هذا يشير إلى دور الكلمة في الشعر أو الكلمة الشعرية ، فالكلمة ليست مجرد صوت له دلالة وإنما هي وجود وحضور له كيان وجسم)) [٥] ، إنه يلجأ إلى الغموض الرمزي للتعبير عن نمطين مختلفين من شخصيته،الحالة الإبداعية للقصيدة تارة ، والأزمة الروحية تارة أخرى ، وعودة هذا إلى دعوى العمق وجعل المتلقي يتخيل النص الأدبي بمعاناة تمنحه بهجة الاكتشاف [٦]، وهو ما تميز به جيله الشعري ، لتتحول القصيدة إلى وحش وهو من يروضه ويستميله اليه:

بدوي يعاشر الوحش .

إن مدَ ذراعاً حطَ العُقابُ،

---

[١]- الأعمال الشعرية: ١٤٢/١

[٢]- ينظر: العودة إلى كاردينيا: ٣٢

[٣]- ينظر: المصدر نفسه: ٣٣

[٤]- ينظر: الشعر العربي المعاصر: ١٨٠

[٥]-المصدر نفسه : ١٨١

[٦]- ينظر: الشعر العراقي الحديث مرحلة تطور، جلال الخياط، دار الرائد العربي ، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٧م – ١٤٠٧ هـ : ١٣٤-١٣٥

وإن أصغى تداعت في أذنه لغةُ الأسلاف!

يرثُ الريحُ والوساوسَ

تأتيه خِفافاً، من كلَ فجٍ قريب.

ويرى الشمسَ مثلَ ثقبٍ يهِلُ الرمل منه

على الخلاءِ الرحيب.

يتداعى أمامه الزمنُ الرخوُ: كثيباً

مولداً من كثيب.

إنه شاعر المهاوي ،

ولا يأنسُ إلا بجذوةٍ في المغيب[١] .

يَفرطُ في استعمال الرموز المنتقاة من الطبيعة لتصوير مكابداته النفسية وأزمته الروحية فهو / البدوي يحترف صناعة الوحش / القصيدة التي تتماهى مع الذاكرة ، الذاكرة التي تمثل ثمرة مُرة لما عايشه وهي مصدر التجربة الروحية العميقة [٢]، و يستعمل القصيدة أسلوباً في التمرد على السلطة التي يرمز إليها بمفردة(العقاب)[٣] إذ لم يعرف عنه انتمائه إلى أي تنظيم سياسي أو آيديولوجي ، لكن دكتاتورية السلطة الحاكمة في ذلك الوقت كانت حدية، حيث كانت تجعل الموقف منها إما ولاء مطلق أو خيانة عظمى مما حتم عليه أن يكرس معظم تجربته للحديث عن محنته بالرمز تارة وبالمباشرة تارة أخرى [٤]، وترثه الريح / تجربته التي عاشها فتضطرب الحياة وقانون الطبيعة وتستحيل دلالة الشمس الرامزة للثورة أو الحرية إلى هباء[٥] ويستعمل رمزية الكثيب المتوالد عبر الزمن للدلالة على المجهول الذي يتقاذفه ، فما أن تنتهي مرحلة مشبعة بالسواد حتى تبدأ أخرى ، هي رمز عن المراحل السياسية التي سيطرت على هذا الوطن ، ثم ينتقل من الواقعي إلى الرمزي من خلال جعل المعنى مكثفاً بالدلالة كما يبتعد عن اللغة الواضحة وحجبها بالغموض الذي يضاعفه الرمز :

---

[١]- الأعمال الشعرية: ٣٩/١-٤٠

[٢]- ينظر: أنسنة الشعر: ٤٥

[٣]- ينظر: رمزية الريح في ديوان أرض الفراشات السوداء، حميد لشهب ،موقع الوسط اليوم الألكتروني ، http://www.alwasattoday.com

[٤]- ينظر: أنسنة الشعر: ٨٧

[٥]- ينظر: الرمز في الشعر الفلسطيني المعاصر، رلى يوسف صبحي عصفور، إطروحة دكتوراه كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية، ٢٠١٣ : ٩٥

وفي غابة النخل ودعتُ تلويحةً لصباي

وفي النهر لم أكترث لشبابي الذي يتقاذفه الموجُ، وانتابني

فزعٌ

هنا سوف أقطعُ منفاي في معطفٍ ليس يبلى،

ورأسٍ كثير الوساوس [١].

يكثرمن استعمال الريح والماء والنخيل بوصفها رموز لحالاته واماكنه وصراعاته ولأنها مرتبطة بروحيته ومتغلغلة في كيانه ، هي مشاهد وعى وجودها في حياته منذ أن كان في محلة العباسية ، كما إنه يتبع إسلوب قديم في الشعر وجد عند قدامى الشعراء ، حيث لا يقتصر هذا الشاعر أو ذاك على رسم الطبيعة من الخارج واصفاً نماذجها وإنما يشعر بها ويجسدها في خطابه بوصفها واقعاً لا يُنكر في قراءة جديدة[٢]، فتدور رمزيته في أفق التذكر إذ يلوح للصبا الراحل في بيت والده /غابة النخل، حيث النهر – دجلة – الذي يؤرخ لحياة قاسية ، تكتب أمواجه مصائر العراقيين والأحداث الجسام وحياتهم وبها تنمحي أيضاً [٣]، فيصور اضطراب مشاعره وهو يروم الرحيل ، ويرمز إلى هذا الاضطراب بتقاذف الامواج ،إذ ((يوحي تلاطم الأمواج بتلاطم العواطف وشبوبها))[٤] فيتوقف الزمن وهلة ليستوعب الحدث الذي يعيشه ويتحول الحوار إلى مناجاة – هنا سوف أقطع منفاي في معطفٍ ليس يبلى- هو تدقيق بتفاصيل الحدث – حدث الهجرة- ومدى أهميته وتأثيره على نفسية الإنسان حيث التوجس والقلق ورأسٍ كثير الوساوس ، فالمراحل الزمنية القاسية لا تنفك تراوده وتبقى شاخصة في ذاكرته :

في رأسي يقبعُ، أبداً ، فصلُ شتاءٍ أشيب.

وملامح ماضي

يعلوها اللونُ الباردُ للزمنِ الفضي[٥].

يفصح عن مشاعر غريبة عاشها في مدة زمنية قاسية تعجز اللغة المباشرة في التعبير عنها لذا يلجأ إلى عرض رموزه عليها ، فهذه المدة التي مرت في حياته لم تكن أحداثها هينة لذا تركت بصمة واضحة في ذاكرته يصعب التخلص منها ، هي تشبه الشتاء من حيث برودتها وقساوة ظروفها، فالشتاء هو الماضي الذي يستمد دلالته من لفظة الأشيب، و رغم انقضائها إلا

---

[١]- الأعمال الشعرية: ١/ ٦٧- ٦٨

[٢]- ينظر: قراءة سيميائية في شعر أبي تمام، وليد شاكر النعاس ، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣: ١٣٢

[٣]- ينظر: أنسنة الشعر: ٥٧

[٤]- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث: ١٧١

[٥]- الأعمال الشعرية: ١/ ٢٩

إن ملامحها تراوده ، هو ينظر إلى هذا الزمن على إنه إنسان له ملامح ذات لون بارد خالي من الحياة .فاللون يعد ملمحاً من ملامح الشكل اختلفت النظرة إليه خلال القرون إذ انتقلت من نطاقها المادي إلى نطاقها الحياتي وبعبارة أخرى انتقلت النظرة إليه كشيء مجرد إلى النظر إلى أثره كمنبه للنفس الإنسانية[١] ، فيستمر في رصد الأحداث والحالات التي عايشها الفرد في هذا الوطن وبثها عبر حشد من الرموز :

واقولُ عراقيون

بيتٌ من طينٍ في منحدرِ السيلِ،

ونذرٌ للزمن الملعون.

وأقولُ لقاحٌ نحنُ ليوم لن يأتي ،

تطرحنا ريحٌ في سوراتِ البحرِ

وريحٌ في حافات اللاندري .

من يجمعنا ،

ويلم شتات مضاجعنا

في نومٍ آمن ؟ [٢].

يحرص في قصائده على المحافظة على خيط الدهشة والانسجام الذي يشد القارئ، فيبدأ النص بفعل يؤكد على هُويته الوطنية ليجمع بعدها بين الحقيقي وغير الحقيقي بواسطة الرمز ، حيث يقوم بتحطيم العلاقات التي تربط بين جزيئات الواقع ولا يبقيها على واقعيتها بل تغدو فكرة مجردة وبهذا يتحقق الامتزاج التام بينه وبين ما يوحي به [٣]، ليأتي بعد هذا ليرسم صورة لهؤلاء الذين يسكنون بيت من طين في منحدر السيل وهو رمز للوطن والسيل رمز عن الدمار الذي يتولد من عمق الحياة -الماء- الذي يتحول في لحظات وجيزة إلى شيء مدمر[٤] وكأنهم في تراكم الخطوب عليهم منذورون للمعاناة فلا تمضي حقبة وجع حتى تأتي أخرى أسوأ منها، وعلى الرغم من كل ما يتعرض له هذا الشعب يبقى يستشعر في ذاته الحياة ، فاللقاح يرمز إلى الحياة الجديدة والأمل الذي تنثره الريح / الهجرة إلى المنافي ، وإن الصورة الرمزية

---

[١]- ينظر: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث: ١٧٦- ١٧٧

[٢]- الأعمال الشعرية: ١/ ٧٣

[٣]- ينظر: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: ٤٣

[٤]- ينظر: الرمزية والرومنسية في الشعر العربي، فايز علي، د.ن، د.ط، د.ت : ٢٣٠

التي يرسمها تنهض من ناحيتين أحدهما التخيل والأخرى من الواقع بوصفه مرجعاً للتخييل، فالوقائع التي يرسمها لا تخلو من كونها متخيلة لها وجود في الواقع الذي يُعد مرجعاً لها وللقراءة وهو ما يخلق الاختلاف بين قراءة وأخرى [١]، وهذا ما يبرز واضحاً حين يأتي بالطبيعة بوصفها رمزاً منذراً بالفقدان :

طائرةٌ من ورقٍ حلقت

في دمي

وحينما إشتدت رياحي وأرعدت غيومي

وطغت في فمي

مرارةُ الغيض،

وإرتبكت في رئتي الفصول،

إنقطعَ الخيطُ ولم يبق للطفلِ

سوى مقلةٍ

مليئةٍ بالفضول

وشفةٍ تجهلُ ماذا تقول؟ [٢] .

يرمزإلى حالة الحب التي تنتشي بها العواطف وتحلق عالياً مثل طائرة ورقية تحلق في دمه ولكن هذه الطائرة سرعان ما يفلت خيطها لتحلق مغادرة نحو السماء فلا يتمكن من الإمساك بها بعد أن هبت رياح الأيام ومخاوفها التي جعلته عاجزاً عن التعامل الروحي مع شعور الحب وهذا ما جعله يتوق لمرارة الحرمان والوحدة ، فترتبك الفصول وهي رمز لسنين حياته التي عاشها مشرداً غير مستقر.

هيمنة الرمزية في نصوصه ومنحها السلطة على تكوين الصورة الشعرية عن طريق العبارات اللفظية يعود لقدرتها على الإبانة والإقناع وتكوين رؤية عن العالم وقدرتها على تحويل التأثير في العالم ومن ثم تحويل العالم ذاته بفضل قدرتها على التعبئة والتكثيف [٣].

---

[١]- ينظر: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، يمنى العيد ، دار الفارابي ، بيروت- لبنان ، ط٣، ٢٠١٠ : ١٠٧

[٢]- الأعمال الشعرية: ١٨٦/١

[٣]- ينظر: الرمز والسلطة ، بيير بورديو ،تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب، ط٣، ٢٠٠٧ : ٥٥-٥٦

ومثلما يستعمل الرمز لتكثيف الدلالة على محنته الروحية كذلك يوجهه لتكثيف صورة رثائه لمعاصريه :

أيتها العاصفةُ على الأشرعة المهترئة

أيتها الريحُ اللاطمةُ جبين الجبل الأجرد

أيتها النواحةُ بين القصبِ المهجور

ما أكثف لون عراقيتك ! [١] .

يُعد (نجيب المانع) أهم المؤثرين على تجربة الشاعر الأدبية والفنية ، إذ مثَّل هذا التأثير انفراده في تجربته ، حيث لم يكن من السهل أن يتأثر بأحد أو يتشاكل معه ، لذا كانت وفاة هذه الشخصية حدثاً مؤلماً بالنسبة له دفعه إلى كتابة مرثيته (الموضوعة الماثلة أو موت نجيب المانع).

جاء النص متوسلاً بالطبيعة الغاضبة (العاصفة –الريح) للترميز إلى الموت الذي اختطف صديقه المقرب ، إذ تأتي استجابته لهذا الحدث الذي جرى على المقرب إلى نفسه استجابة قهرية يرصدها وهو في حالة الألم والانكسار، فتعلق رغبته في كشف عراه لذا يرمز إليه بمفردات تدل على فعل التدمير بوصفه هو ذاته فعلاً تدميرياً[٢]، ويرمز إلى الهاربين من صدأ الأيام بالأشرعة المهترئة والجبل الأجرد ، إذ يرتبط الجبل في النظام الثقافي العربي بفيزيولوجية الجسم المشتملة على العقل الذي يتميز به الممدوح والذي يقع في اعلى منطقة في الجسم ، فهو ظاهرة للدلالة السلوكية التي تكون ضدها – مكانياً- (القدم) والذي يخلق بُعداً للمكان الواطئ وتتكيف مع حالة الانحدار نحو الأسفل ، وهذه الدلالة الرمزية متآلفة مع دلالتها في الشعر القديم [٣]، والأجرد هو رمز عن العُري الذي كان يريد به عُري عقيدة الإنتماء الآيديولوجي، حيث لم تترك الأيام أثراً للـ(المانع) ونخبته العارية من العقيدة كما كان الشاعر[٤] ووجود النواحة – الحمام- في القصب المهجور تصور الحياة مجدبة وعارية ، وهي صورة رمزية عن قلة حيلة الإنسان فيها ، كما إنها صورة للذات الواقعة رهينة للقدر بجبرية مطلقة[٥] حيث يوحي استعمال الحمام بوصفه رمز عن حالة الحزن والبكاء التي يعانيها، إذ ارتبط هذا الحيوان ((بتجربة الحزن والفقد ... فالعذاب والنوح الذي تعلنه الحمامة هو المكافئ الخارجي لانفعال الشاعر الداخلي ولحزنه وألمه ونوحه على من رحل منه))[٦] فكل صور الموت ورمزيته هي صورة عن بلده الذي تبرزهذه الصورة فيه هُوية وسمة ولون لا يمكن عدم ملاحظته لكثافته وقتامته ، ونلحظ ذلك أيضاً في مراثيه إلى (منهل نعمة، احمد عبد الأمير،

---

[١]- الأعمال الشعرية: ١/ ٧١

[٢]- ينظر: تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر: ١٨

[٣]- ينظر: قراءة سيميائية في شعر ابي تمام: ١٨٢

[٤]- ينظر: العودة إلى كاردينيا: ١٤

[٥]- ينظر: الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، مصطفى عبد اللطيف جياووك، منشورات وزارة الإعلام – العراق، سلسلة دراسات ، العدد ١٢٣، ١٩٧٧ : ٣٥٤

[٦]- ملامح الرمز في الغزل العربي القديم: ١١٦

عبد الأمير الحصيري، حسب الشيخ جعفر .....)، فيحاول كشف لواعجه وحزنه وتعرية الوضع السياسي عبر توظيف الطبيعة الرمز في نصوصه:

من أي شتاء

تسمعُ يا جيلي هذي الأصوات؟

شعراءٌ في عُلب الكبريت

وقيءٌ في الحانات.

من أي شتاءٍ تهبطُ هذي الرعشةُ فوق كتابك؟

نبضاتُ القمر الأسودِ بين اصابعك السوداء

لا تتركُ أثراً للشعر الصافي ،

للركضِ على أرصفةِ الوطن المتعافي،

للضحك، كأنك يا جيلي المحزون

لا تسمعُ إلا صوتَ أوامرَ في إلقاء القبضِ،

وصدى شعراءٍ

باعوا في صالاتِ العرضِ

شرفَ الأرضِ [1] .

تكشف رمزيته عن وعيه الواسع بالواقع ، فهي طريقة لرؤية العالم من منظور ذاتي عميق و ليست فقط الاحتماء بالنسق الثقافي الذي ينظم بنائه الشعري[2] ، فالرمز الحداثوي الذي يستحضره الحداثوي يمثل وضع الشاعر الوجودي فيعيد صياغة الأحداث وصياغة علاقته بها، فالغموض الشعري ((يعكس التعارضات الغريبة للروح الإنسانية ، إنه يعلمنا بأن الضعف الإنساني قد يترافق مع الفطنة الروحية وإن الالم والإحساس بالخزي قد يحطم انحلال العقل ويطلق عنان الشعر المعتقل هناك))[3] ليأتي النص وثيقة تكشف حالة أطراف النزاع - جيل الشاعر، السلطة، وشعراء السياسة – وعملية التفرد التي تمارسها السياسة بحق شعراء الجيل، فتأتي مفردة (شتاء) رمز عن الزمن الذي يتحدث عنه هو الماضي بقساوته وبرودته ووحشته ، إذ يحضر هذا الماضي كزمانية مأهولة بالأيديولوجيا - السجن / علب الكبريت، القمر الأسود / دكتاتورية السلط - ما أدى إلى حضور التجربة الشعرية المحملة بالرمز كبحث مضني لتحرير

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٣٠/٢

[2]- ينظر:المرايا والدخان: ١٢٢

[3]- ثياب الإمبراطور: ١٠٩

الذات من التحكم والإخضاع [١]، إذ انتشرت في زمن الجيل ثنائية (السلطة – المعارضة) ، وظهور ما يسمى ب (شعراء السياسة) الذين (باعوا شرف الأرض) فكان لابد أن تختار هذه الفئة أحد الطرفين إما السلطة أو المعارضة ومن خلال ذلك يتبنون مفهوم وفكرة وآيديولوجية وسياسة الطرف الذي يختارون الانتماء إليه ، لذا كان اختيارهم للسلطة من أجل الشهرة أو الحماية [٢]، وهو الطرف المناقض له، وتأتي الحيوانات بوصفها إحدى اقنعة الطبيعة لتنطق بما ضجت به مخيلته وتمكنه من التعامل مع أفكاره وتوجساته برمزية مطلقة ، لذا كان الحيوان الرمز وسيلته لسحب الدلالة إلى ما وراء النص ، وهذا ما يمثل تحقيق لطموح الشاعر المعاصر إلى تأسيس منظومة رمزية تقوم بتحقيق هم الكتابة وتدوين التصورات الذهنية بأريحية نوعاً ما[٣] ، وهذا هو الهدف من إلتفات شعراء الجيل الستيني حول الرمز وتوظيفه في أشعارهم:

في الماضي حيث يلوحُ الماضي مسحوراً بكتابه،

أبصرتُك مكترثاً في وحشةِ غاب

تتوعدُ بالسبابةِ أقداراً ،

وتهشُ ذئاباً بكتاب

وتغذُ السير[٤].

يخاطب ذاته عن زمن يعبر عنه بالماضي حيث برزت للجيل سيدة الوهم / الحداثة فيستذكر سحر الحداثة وزهوة الزمن الذي ظهرت فيه ، وإنبهاره بهذا الحدث الإبداعي في زمن تتصارع فيه قوى الظلم والدكتاتورية التي شبهها بالذئاب التي ترمز إلى الخداع والغدر، فيقال فيه :(الذئب يأدوا للغزال) أي يخدع الغزال ، وهو يضرب للشخص الذي يخدع صاحبه ويغدره[٥] ، إذ حاولت إعاقة نمو هذه الحداثة وقمع تطور الشعر العربي، لكن تمسَك روادها بها وانتسابهم إليها قطع على رافضيها طريق إدانتها وكتم صداها.

يحاول من خلال هذه الرمزية خلق عالم قابل للتأويل فهي مجموعة تجارب وأحداث ووقائع أسهمت في منح القصيدة وعي جمالي وطاقة باحثة عن الإيحاء والتأثير[٦]، ليستعمل دلالة (الجرذ) رمزاً لإضفاء المزيد من الغموض على هذا الايحاء:

ينتصبُ على صارية جرذٌ أنهكه الجوعُ

١- ينظر: سرديات ثقافية – من سياسات الهوية إلى سياسات الإختلاف: ٩٨

٢- ينظر: هوية الفكر العربي المعاصر وما قبل- دراسة وبحث، نزار يوسف ، ٢٠١٢ :٤٨٢

٣- من النسق إلى الذات: ١٥

٤- الأعمال الشعرية: ١/ ٤٣

٥- ينظر: الحيوان في الأدب العربي ، شاكر هادي شكر، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٩٨٥م – ١٤٠٥هـ : ١/ ١٢٥

٦- ينظر: قصيدة الشعر من الأداء بالشكل إلى أشكال الأداء الفني: ١٥

في بحرٍ ، لاتبصره عينٌ لكن مسموع.

تبتلُ بفعلِ الموجِ مفاصلهُ

سوداء بفعل الأصداء! [1] .

يتقنع بشخصية الجرذ فيمنح هذا الحيوان ((بعدا سيميائياً عبر الترميز الذي يوحي بالخوف من المحيط الخارجي الاجتماعي من طرف ونبذ ذلك المحيط له من طرف آخر))[2] ويتأمل الجرذ/ الشاعر إلى نفسه وهو يروم التوجه نحو الحرية التي سمع عنها ولكنه لم يتمكن من تحقيقها ، فتبتل مفاصله بفعل (الموج) وهي رمزية عن تعرضه لإدانات السلطة، إذ تعبر الرمزية التي يوظفها على سَوق آرائه وأفكاره وحماية أصحاب الكلمة من تنكيل السلطة بهم فيتمكنون من مواجهتها مباشرة والإفصاح عن آرائهم فيه[3] ،كما يظهر البعد الإنساني جلياً في الخيل الذي يضمر معنى رمزي مختلف:

تخرجُ من مستنقعٍ آسن

من عتماتِ الذهول

تخرجُ هذي الخيول:

حوافرٌ يخفي صداها التراب

خرساء.

اصدافُ مآقيها مطفأة.

شعرُ نواصيها رعشةُ أولى لحظات الضباب

في الفجر.

من يقرأُ ما فيها من نُذرٍ للخراب ![4].

يشبه حال الظرف الاجتماعي والسياسي بالمستنقع الآسن لما فيه من فساد وبطش فيخرج الأحرار الرافضين الذين يشبههم بالخيول، وهذا الحيوان قد استعمله الكثير من الشعراء بوصفه

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٧٨/١

[2]- البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢١٨-٢١٩

[3]- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ٣٣

[4]- الأعمال الشعرية: ١/ ٨٩

رمزاً للإنسان المتزن فكرياً والذي يدافع عن الحرية في أفعاله واقواله[١] ، باحثين عن مأمن لهم في دروب المنافي ،إذ تتحدث القصيدة بصورة تفصيلية عن هجرة هذه الخيول والتراب الذي تثيره حوافرها الذي يرمز إلى انتهاء الحياة وابتدائها ، كما توحي دلالات الألفاظ(تخرج، التراب) بالهجرة والسفر ، والخرس هنا يستمد دلالته من شعر السياب إذ يوحي بـ(سكون) معين سواء كان غياباً للصوت أو غياباً ً للفعل من أي نوع فهو لا يحيل على الصمت بغياب النطق وإنما يطول كل ما هو سكوني[٢] ، وهو دلالة عن كبت حرية التعبير وأسر الكلام أي إنه انعكاس لقهر الإنسان وتهميشه الذي يؤكده دلالات (الإنطفاء والخراب) ، وإن هذا النموذج من الخصوصية الإبداعية الذي يمثله الخطاب عبر دمج الواقعي والرمزي يمثل تحدياً ً للواقع الضاغط المهيمن وسخرية منه ، كما يمثل احتجاجا ً ضد البنى والخطابات الثقافية والآيديولوجية والقامعة لحرية الفرد[٣] ، فتخرج رمزية الخيول عن دلالتها الإنسانية إلى دلالة مكانية تسرقه وتجذبه إليها:

لقد سرقتني الخيولُ الهزيلةُ

(كان الغبارُ يجاذبُ اظلافها حين أبصرتُ

جدي يعدُ الحصى .

صرختُ به : جدي المستغيث بمن يستغيث به

ها هي الخيلُ عادت إليك ،

وها أنا لم يبقَ في راحتي

سوى خرزٍ ، وقلائدَ للنسوةِ الموثقاتِ بظلِ الفضيلة .

وثالثةً ، لم أبُح بإسمها ، في الوسادةِ حتى أموت)[٤] .

يجعل من قصيدته موضوعاً عن حالات النفس البشرية الفكرية والعاطفية البالغة التعقيد ، وهو لا يتمكن من تبسيطها لأن في ذلك قضاء عليها لذا يعمد عن طريق الرمز على إثارة حالات شبيهة بها في نفس المتلقي [٥].

---

[١]-ينظر: الرمز في شعر أمل دنقل: ١٧٢

[٢]- ينظر: البنى الأسلوبية دراسة في إنشودة المطر للسياب، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء-المغرب، ط١، ٢٠٠٢: ٢١٠

[٣]- ينظر:المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي: ٩٢

[٤]- الأعمال الشعرية: ٢/٩٧- ٩٨

[٥]- ينظر:الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: ١٣٥

تدور هذه النصوص حول تأثيرات الهجرة عليه ، وانفعالاته وهو يكابد مشاعر الحنين والإنشداد إلى هذا الوطن ، فيخلق سيرة ذاتية ترتكز على نقطة أساسية هي دلالة لفظة (الخيول الهزيلة) الرمزية والتي توحي للمنافي التي سرقته من أرض ومن ذكرياته وكل ماله قيمة عظيمة في نفسه ، إذ يرتبط حضور هذه المنافي بصورتها الرمزية في هذه القصيدة بشكل مؤثر في تجربة الشاعر الفكرية والإنسانية[١]، ليواصل بعدها عرض حالته وهو يصارع الامكنة/ المنافي وحنينه إلى مدينته :

لقد سرقتني الخيولُ، وأنتِ بكفين تستترين!

تجردتُ من وارثٍ، وإستقيتُ الكتابةَ منكِ، وكنتِ الكتابة

وعاشرتُ أحرفها فيكِ حتى عطشتُ

ونمتُ على حافرٍ عربي لديك ، فأودعني في الكآبة[٢] .

يتحول من السرد إلى الخطاب الذي يتوجه به إلى مخاطبة – مؤنثة – ربما هي المدينة كما يمكن أن نستشف ذلك من قوله :(استقيتُ الكتابة منكِ ، وكنتِ الكتابة) فكما يُعرف إنه ((يكتب القصيدة الحديثة وتحت يديه مفردات قاموس المرحلة : الوطن، المدينة، الغربة، أنا، الأب، الفقدان ... وإن كل هذه المفردات مرتبطة بالمدينة))[٣] ، حيث لا تكتفي هذه الخيول / المنافي بسرقته بل سرقة انتمائه ، حيث يتحول الاحساس بالانتماء فيها إلى ضياع ويتحول الماضي وذكرى مدينته ملاذاً من الحاضر ، فيعرض مجموعة من الصور التي تكشف عن معاناته وحاله في منفاه الأول –بيروت- بين عامي ١٩٦٩-١٩٧٢،[٤] ويوظف مفردة (العطش) كرمز دال على الاشتياق والحنين للمدينة / الوطن ، حيث ينام على حافر عربي وهو رمز عن المنفى العربي الذي يريد به مدينة بيروت التي لم تنتشله من مشاعر الحرمان والحاجة وإنما زادت على هذا فأودعته الكآبة

اللاوعي:

ذهب الخطاب الشعري الستيني بالشاعر إلى عالمه الداخلي ليستجلي غموضه ويطوف حالماً أو غير واعٍ إلى ما وراء الواقع ليكتشف حقيقته الانسانية ، ويعزو النقاد هذه الحالة إلى الخيبات والصراعات السياسية التي شهدتها الستينيات[٥] ،حيث تمثل حالة اللاوعي قناعاً يضم يضم أشكال التعبير الرمزي ، حيث تتحرر الالفاظ من دلالتها المباشرة وتتراخى العلاقة بين

---

[١]- ينظر:الآخر في الشعر العربي الحديث تمثل وتوظيف وتأثير: ٦٠
[٢]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٩٨
[٣]- المرايا والدخان:٢٦-٢٧
[٤]- ينظر: شعراء البيان الشعري: ١٢١ و ١٣٢
[٥]- ينظر: الموجة الصاخبة: ٢٢٣

الدال والمدلول عن الدلالة الأحادية حيث ينتقل الدال من المعنى الحرفي إلى المعنى الإيحائي فيحيل على معان متعددة[١] ، واللاوعي ينتج مُحكى في حالة يقظة أو حالة حلم يتناول سرداً ذاتياً أو حالة واقعية او خطاباً للآخر فهو يعتمد على الخيال بصورة مطلقة ، هو انصراف عن الواقع الذي لم يعد يستوعب الخيال لينجز أدباً يحاكي الرغائب النفسية المدفونة في أعماق الذات وهو أكثر قدرة على تلقي القبول عند المتلقي وعلى إشباع نفس الكاتب[٢]، والقضايا التي يكشفها لاوعيه مرتبطة أشد الارتباط بقضاياه الواعية بل هي نتيجة عنها، إذ ((يوجد في اللاوعي كل العناصر التي لم تعد محفوظة بتوتر نفسي كافٍ في الوعي انزلقت من تلقاء نفسها ...وخاصة كل الإدراكات الحسية تحت عتبة الوعي))[٣] .

تشكل حالة اللاوعي في قصائده والجيل الشعري الستيني هوية أو ثيمة بارزة ، إذ كانوا يمزجون في قصائدهم بين الحلم والذاكرة والوعي واللاوعي لتتحول القصيدة عندهم إلى نسيج متكامل ينتهي إلى استعارة أو كناية تتعدد بتعدد القراءات[٤] ،ويتمحور لاوعيه الشعري حول جزئيتي (الحلم والخمرة) اللتان ترتبطان بقضايا اللاوعي ، وهوعبر إدراكه لمواده اللاواعية قد يؤسس وعياً لنفسه وشعوراً بأناه ،أو قد ينسحق بمحتويات اللاوعي فتظهر ذاته الشاعرة مكتئبة ومحبطة[٥]، إنه يبحث في رمزية اللاوعي عن إطار حداثوي لسرده يُعري الواقع أو يكشف مكبوتاته .

١-الخمر:

يُعد الخمر رمزاً أثيراً من رموز الصوفية التي استعملها بكثرة ، لوصفها دلالة رمزية للاوعي، لأنه متأثراً بالرموز والفلسفة الصوفية التي تنظر إلى الإنسان على إنه صورة من الله وإن مكانته متميزة وعالية [٦]، وهذا يتوافق مع نظرته وموقفه الإنساني ، كما يتوافق مع اتجاه الجيل الستيني الذي كان متأثراً بالموجة الصوفية القادمة إليهم من لبنان ومصر عن طريق أدونيس وصلاح عبد الصبور[٧] ، واستعماله لرمز الخمرة ورسم الحالات التي ترافقها من نشوة وسكر وغياب للوعي محاولة للرحيل عن الواقع إلى عالم الذات المتسامي اي الانتقال من الوعي إلى اللاوعي، هرباً من واقع مادي واجتماعي وسياسي مرتبك محاولاً العثور على عالم نقي يتسم بالروحانية الخالية من الصراعات[٨] ، وهذا الطريق كان مسلكاً لأغلب شعراء هذا الجيل الذي وجد فيها مهرباً وملاذاً ومنهم السياب وحسب الشيخ جعفر [٩]، فالخمرة رغم

---

[١]-ينظر: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: ٥٠

[٢]- ينظر: التحليل النفسي والأدب ، جان بيلمان نويل ، تر: حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة ، د.ط، ١٩٩٧ : ٦١

[٣]- جدلية الأنا واللاوعي ، كارل غوستاف يونغ ، تر: نبيل محسن ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية- سوريا، ط١، ١٩٩٧: ١٢

[٤]- الموجة الصاخبة: ٢٥٨

[٥]- ينظر: جدلية الأنا واللاوعي: ٣٣

[٦]- ينظر: الشعر والتصوف –الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر- ،ابراهيم محمد منصور، ، دار الأمين الأمين للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت : ٤١

[٧]- ينظر : الموجة الصاخبة: ٣٥٤

[٨]- ينظر: النص نظرة إلى العالم والأشياء:٢٤

[٩]- ينظر : شاعر المتاهة وشاعر الراية: ١٦٥

كونها من اتجاهات السلوك الشاذ إلا أن فرويد أدرك بأن بعض أنواع هذا السلوك هي بالحقيقة ذات معنى على الصعيد الرمزي ، فهي طريقة من طرق التعبير التي يستعملها العقل الباطن ليعبر من خلالها عن نفسه [١] ، ولما كانت غايته رسم الصورة ونقل الشعور بكل الطرق المتاحة لجأ للرمز الخمري ليحقق هذه الغاية :

وحدي ألوحُ في الركام كأن موعدنا يطول.

ياشاهداً في كل منفى

والمنافي لاتزولُ.

اقصيك ، حتى أفتديك

وأبادلُ الصمتَ المُهادن سرَ تكويني

فتُعجبني الحلول .

هي مرةً أخرى

وأمنحُ عادةً للخمرِ عادلةً، وأنكرُ ما أقول [٢] .

يرتبط الخمر بقضية اغترابه بصورة مباشرة فالمنفى ركام والوحدة تدخله في حوار مع آخر هو الليل الذي توحي به دلالة العنوان –حوار أول الليل - يصفه بكونه شاهداً على المنافي والراحلين إليها ، وهو مع الليل في حالة ائتلاف واختلاف فتارة يحاول أن يهرب منه حتى لا تهجم عليه الوحشة وتارة يلجأ اليه ليفتدي صمت الليل بكل الوجود الصاخب ، وكل هذه الأفكار التي تتصارع في داخله تمنحه إدمان عادة احتساء الخمر ليصمت ضجيج الفكر والليل ، وينسى كل حوارات الذات ويلج الفراغ الذي تهبه له نشوة معاقرتها .

إدراك الإنسان/ الشاعر لمشاعر الأسى والكبت تشكل توسيعات للوعي الفردي وهذه الأخيرة لن تتمكن من استقبال هذه المشاعر وتحملها دون اضطرابات ملحوظة[٣] ، وهذا ما يدفعه إلى محاولة تحمل الحياة بكل وسيلة ممكنة ومن هذه الوسائل الخمر فهو وسيلته للهرب إلى عوالم أخرى ونسيان عالمه الواقعي ، ولكن تبقى أسئلة الوجود تراوده فيشرب حتى الثمالة:

---

[١]- ينظر: الإنسان ورموزه – سيكلوجية العقل الباطن -، كارل غوستاف يونغ، تر: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين ، دمشق- سوريا ، ط١، ٢٠١٢: ٢٥

[٢]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٩

[٣]- ينظر: جدلية الأنا واللاوعي: ٥٥

لماذا أولد بين احتمالين هذا اليقين

وأرقبُ من دون طائل ؟

وإني بعيد ،

واشربُ باسمكِ حتى الثمالة.

لماذا حللتُ بهذي المدينة

كأن الشوارعُ فيها سؤال

ورائحةُ الأفقِ تُقرنُ بالموتِ والاستحالة([1]) .

يُكرر تساؤله لذاته عن سبب وجوده في هذه الحياة وعن دوره فيها، بعد أن حرمته الحياة من كل ما يبهجه ويتآلف معه ولم يعد له سبيلاً للتخلص من لوعة الحزن إلا الخمر فيشرب باسم المدينة/ المنفى دلالة رمزية لهروبه منها أو تعبيراً عن حزنه عليها ، فلا شيء فيها حقيقي وواضح حيث المستقبل مجهول ، لايتضح منها سوى رائحة الموت التي عبقت بها وغطت على كل شيء .

تخلق الدلالة الرمزية للخمر عنده وعند غيره من الشعراء الذين تناولوا موضوعة الخمر دلالة مفتوحة تسمح للمتلقي بتفكيك أفكار النص الذي يقدم آفاقاً من الإيماءات الواسعة والمتحركة فتبدو كأنها تعبر عن معانٍ متعددة تتلاءم مع المعاني التي أسقطناها عليها[2] ، وقد يشُخص الخمرة لترمز إلى شخصيات إنسانية :

تعاطيتُ حرفة كل الخمور

وكل الطيور

وحين سمعتُ نُداءً يُداهمني في القصائد

طويتُ رصيفاً

يدي في جيوبي،

وفي الشجرِ الطيرُ،

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٢/ ٢٠

[2]- ينظر: قراءة سيميائية في شعر أبي تمام: ٩٦

والموتُ واحد [1] .

يظهر من استعماله للخمرة بصورتها المؤنسنة إنه أراد الحديث عن شخصيات قريبة من نفسه ، فحين يتعاطى حرفتها دلالة على تعلقه بها وحبه لها وفي هذه القصيدة المتضمنة (مراثٍ إلى منهل نعمة) يظهر بوضوح ولاؤه إلى أولئك المنسيين من أبناء جيله / الخمور وهي دلالة على صفات منغرسة فيهم تُظهرها عادة حالة السُكر مثل الشجاعة في التعبير في زمن يحترس الفرد من القول فهي قناع يستعمله لذاته ويسقطه على الآخرين للدلالة على قدرتهم في مخالطة وعي المتلقي وسلبه منه عبر إنتاجهم الأدبي ونقله إلى عوالم أخرى غير واقعية ، وإن هذا التفسير للدلالة الرمزية لمفردة الخمرة في هذا النص تتأتى من محاولات هذا الجيل المزج بين الوعي واللاوعي وهذا ما جعل قصائدهم نسيج متصل متكامل معقدة البُنى لما تنطوي عليه من غموض وإبهام[2] ، ويستعمل الخمرة بوصفه رمز عن انتقاله من الحسي إلى غير الحسي وارتدائه قناع الصوفيين:

في مقهى عند زقاق ((البتاوين))

أتريثُ مأخوذاً بثياب البهلولِ على الشرفات ،

وعتمةِ روح القديسين.

مخموراً ،

(آخر كأسٍ كان عُجالة من يصطحبون الخمرةِ مطرودين)[3] .

يستعين بالخمرة على تحمل أعباء الواقع فالرحلة إلى عالم اللاوعي هي حالة انتقال إلى غير الحسي والدخول في منطقة اللذة المطلقة في أعماق النفس البشرية ، فيتقنع بروح القديسيين للكشف عن حالة التجلي وإعادة النظر في علاقة الإنسان أو الذات بالعالم وبذاتها، فتصبح القصيدة لحظة كلية تستوعب الوضعية الإنسانية في شموليتها ، فاللغة التي توفرها رمزية الخمرة هي لغة لشمولية التجربة الإنسانية وبحث الإنسان عن وجهته وعن حركته المصيرية[4]، فالقصيدة (صحبة بطرس) بحث عن الحقيقة عبر الذات/ القرين ، حقيقة الوجود والحياة والذات نفسها ، لذا جاء استعمالها للغة الخمرة مناسبة مع تقنعه بقناع القديسين – الصوفيين- فالخمرة من رموز الصوفية الغامضة التي تتلاءم مع غموض الوجود الواقع والحياة، وهي معانٍ شغلت وعيه لذا جاء توظيفه للاوعي الذي تبثه الخمرة كصورة ارتدادية عن الوعي ، كون الأول يملك ذهنية غريزية تكشف عن مشاعر وأفكار قد لا تكون عقلانية

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٤٦/٢

[2]- ينظر: البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم: ٢٧٦

[3] - الأعمال الشعرية: ٢/ ٧٠

[4]- ينظر: الشعر والتصوف: ٩٦

مطلقاً [1] ،هو من خلال توظيفه لهذا الرمز يحتمي به من تشتت ذاتي ولدته ظروف اجتماعية وسياسية صعبة:

تارةً يحتمي بالدخان

وأُخرى برائحةِ الخمرِ...

((...ماستوفتِ الحربُ حقَ الرهان

لكي أحتمي !))

واليدُ الناحلة

أسقطت زهرةً ذابلة!

كلُ مقهى قريبٌ[2] .

يبني قصيدته على فضاء مشحون بالحركة والاحتمالات التي تجعله يقف عند نقطة محددة فلا يستطيع التقدم ولا العودة إلى الماضي وهذا يعود إلى الظروف المربكة التي يعيشها فيلجأ إلى ما يمكن أن ينتشله من الضياع فتارة يختار الدخان، الذي يعبر عن تفاعلات ذاتية عديدة فهو ينشئ ويخفي ، يولد ويميت ، من خلاله يمحو ما يريده أن يختفي ويجدد ما يريد له الظهور[3] ، هو دلالة على الثورة التي يرقب انتصارها لتحميه وتحمي الوطن من مستقبل مجهول ، والخمرة رمزيتها تقترب من رمزية الدخان إذ كلاهما يبغيان التعتيم والغموض حيث تشكل رمزية احتماءه بالخمرة حالة من محاولة التلاشي والابتعاد عبر غياب الوعي، هي رحلة النفس والهجرة الروحية إلى عوالم متسامية يحفها اللطف الإلهي [4]، كما أنها رمزية التمرد ورفض الواقع الذي يشهد فشل الثورة وفشل الحرية – فلم تستوفِ الحرب حق الرهان لكي يحتمي- فكانت صورة الحرب وتظاهرات الجماهير المعبرة عن معترك لا مهادنة فيه مشحونة بالدخان والمشاعر الغامضة وخلفها ينمو شبح السلطة الذي يقود هذا المشهد إلى المجهول [5] .

---

[1]- ينظر: جدلية الأنا واللاوعي: ١٠٢

[2]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١١١

[3] - ينظر: المرايا والدخان: ٣٠-٣١

[4]- ينظر:الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة نصر، دار الأندلس –بيروت، دار الكندي – بيروت، ط١، ١٩٧٨ :٣٦٣

[5]- ينظر: العودة إلى كاردينيا: ٧٥

تشكل الصورة الشعرية للقصيدة ((التراجيديا العميقة التي خلفتها الأنظمة على الإنسان عندما يستعيد صورة الوطن بطرق مغبشة وغامضة))[١] إذ يقدم صورة للمجتمع الذي تحول إلى كائنات قلقة متوجسة تبحث عن ملاذ يعصمها من بطش الأعداء:

وألوذُ كأي عراقي ، بالخمرة .

من يربكني ، يُربكُ هذا الرتلُ من الأحياء

في جسدي نحو الهوةِ، غيرُ مجيء الأعداء؟ [٢] .

تلعب رمزية الخمرة بقوتها الغامضة دوراً في النفاذ إلى جزئيات الواقع وكشف مجرياتها بدرجة متفاوتة من المباشرة قد تقل أو تكثر[٣]، وإن احتماءه وأبناء مجتمعه بالخمرة نوع من أنواع الكشف عن الممارسات المتسلطة ضدهم ، ويستعمل دلالة الجسد بصفته رمز عن البنية المجتمعية التي ينتمي إليها ، حيث ((يصبح الجسد واقعة اجتماعية دالة يكتسب هذه الدلالة من تنوع الرائي ، فالجسد بناء رمزي وليس حقيقة في ذاتها إنه بناء اجتماعي وثقافي))[٤] فانتماء الذات والمجتمع للخمرة تكشف عن محاولة الهرب من الواقع والرغبة في اللجوء إلى العزلة الداخلية للحصول على السلام والاطمئنان ، إن محاولاته في الولوج إلى الرموز المرتبطة باللاوعي وتعدد تأويلاتها يشكل محاولة بعث خطاب يسعى لإنهاء نقص العالم عبر تصويره أكثر كمالاً من الواقع وجعل العزلة التي يوفرها اللاوعي ملاذاً للذات التي تعاني من الاغتراب النفسي[٥]، فتتآلف الذات مع عوالم العزلة والخمرة حتى يغدو كل ما فيها أليف وآمن حتى الظل :

فانسحب صديقي للعزلة

لا يأمنُ ظلاً حولَ الخمرةِ إلا ظله!

لكن في أحد الأيام – وكان الليلُ عراقياً-

دست زوجتهُ تحت فراش النوم جهاز التسجيل

وتعرت ثم دعته لشتم الدولة [٦] .

---

[١]- المرايا والدخان: ١١٣
[٢]- آخر الغجر: ٤٥
[٣]- ينظر: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: ١١٢
[٤]- الشغف بالهوية دراسات ومقالات في السرد: ١٩٢
[٥]- ينظر: خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: ٢٣٠
[٦]- الأعمال الشعرية: ١/ ٦٤

لجوء الشعراء للخمرة إحالة إلى حالة الاحباط والخيبة ، وتتكثف دلالتها الرمزية في هذا النص من فضاء الظل وهو معنى إيهامي عن حالة اللاوعي التي تدخلها الذات بفعل السُكر، فهو يمثل الجزء النفساني الذي لا يمكنه الارتفاع إلى أعالي النشاط الواعي لأنه يشكل جزءاً من النقص والعطالة والسوء الملازمين للإنسانية))[1] فالظل الذي تتخيله الشخصية بفعل الخمر هو الآخر الموثوق ، لا تكون بالضرورة خصماً دائماًفحين يعيش المرء الجانب الاسوأ من طبيعته يظهر الظل بصورة إيجابية ، أما فيما لو كانت الشخصية تعيش عواطفها بصورة إيجابية فإنه يظهر بهيأة سلبية ، هذا يدل على إن وظيفته تقوم على تمثيل الجانب المضاد من الأنا[2] ، فالحالة المزرية التي تمثلها الشخصية والتي توحي بها دلالة الخمرة في تضاد مع الآخر الظل وكلاهما دلالتان عن حالة اللاوعي الذاتي للشخصية .

٢-الحلـم:

يمكن تحديد مفهوم الحلم بأنه عملية تحوير وترميز وتكثيف إبتداءً من ابتعاثها من مراكز الباطن وانتهاءً بإفرازها إلى الحيز المنظور من الحالم[3] ، وهو يمثل نقل المعاني والصور والأحداث الكامنة في الوعي عن طريق اللاوعي الذي يُعبر عنه أدبياً بـ(الحلم القصدي) ، حيث ((تلجأ الذات الشاعرة إلى بنية الحلم القصدي بشبكة شديدة التنوع والاتجاهات المختلفة والمتباينة ...لعمل صورة حلمية مكتظة بفضاء التخيل))[4] وهو عملية معقدة تقوم على العوامل المكبوتة داخل البنية الواعية للذات ، فالصور والرمزيات التي تتألف منها الاحلام تنبثق من معانٍ حقيقية ومواقف لبعض الوقائع اليومية كذلك الانفعالات التي منعت الشخصية ذاتها عنه[5] ، ولكون الحلم تقنية مختصة بالغموض والرمز تتلاءم مع السيكولوجية النفسية له ولجيله الشعري ، جاءت اغلب قصائده موظفاً لهذه التقانة توظيفاً ملائماً للسياق الشعري :

ما الذي حل بالفجر؟

إني أشتت ريحاً لكي يفلتُ الخيط

أستدرجُ الحلمُ فوق السرير المهاجر،

أقتادُ أعمى يُعلمني حرفةٌ،

---

[1]- حديث الأحلام- رمزية الحلم، آنيا تيار ، تر: أديب الخوري، دار الطليعة الجديدة ، سوريا-دمشق، ط١، ١٩٩٨: ٥٤

[2]- ينظر: الإنسان ورموزه: ٢٢٧

[3]- ينظر: خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني: ٢٤٠

[4]- المصدر نفسه: ٢٦٠

[5]- ينظر: جدلية الأنا والوعي: ٩٥

وأُساوم في السوقِ بين المهرجِ بي والمشرد![1]

يسرد سيرته بأسلوب حكائي متخذاً من الرموز طابعاً لتكثيف الفكرة والإيحاء إلى دلالات عميقة فالرمزية ((لا تتحقق إلا داخل إطار من الصور الرمزية المركبة أما الصورة أو الصور الجزئية فإنها مهما كانت قيمتها لا تستطيع خلق قصيدة رمزية حقة))[2] ويبدأها بسؤاله لنفسه عن الفجر، الذي يمثل رمز الحرية ،حيث تشكل دلالة رمزية متعارف عليها في الشعر العربي[3]، ثم يعقبها برموز أخرى فتدور صورة الحكاية حول بؤرة الانتظار، ويستدرج إليه الحلم ليمنح الأول مذاقاً ممزوجاً بالأمل وهذا ما تشير إليه دلالته الرمزية وهو الأمل الذي يمنحه للشاعر في منفاه ، ويشبهه بالأعمى الذي يعلمه حرفة الانتظار فالحلم رغم عماه إلا إنه ينتظر الفجر الذي من غير المعقول أن يبصره ،هي صورة رمزية تقوم على رصد المتناقضات التي تعرض سلسلة متوالية من السلوكيات والأحاسيس والأفكار المصبوغة باللذة والانزعاج في آن معاً، فالحلم هنا لا يفكر ولايتكلم لكنه يخلق الانفعال [4] ، كما قد تشارك الحقيقة الحلم في خلق الانفعال لدى الشاعر :

تُفاجئني في الصباح المدينة. في كل صبحٍ تفاجئني.

تحت ظل الرمادِ الذي يسع الأفق، والمطرِ المتواترِ،

حتى كأني أراوحُ بين الحقيقةِ والحلمِ

أغفو لأصحو ،

وأصحو لأغفو،

لقد أتعبتني مراوحتي [5].

شكلت أزمة الانتماء سبباً في توجه شعرفوزي كريم نحو طابع التمرد والرفض الذي كان يصوّبه نحو السلطة إلى مدينة المنفى/ لندن التي كان رافضاً الانتماء إليها روحياً ، حيث كان وجوده فيها كل صباح يخلق لديه شعور بالمفاجأة كأنه كان يرجو أن يكون هذا الواقع حلماً ينتهي في لحظة ما ليعود إلى موطنه ، إنها حالة من الكآبة التي تتلاءم مع عدم الوضوح المستقى من مفردتي (الظل و المطر) الذي لا ينفك عن الهطول ، فيراوح بين حقيقة وجوده وإجبارية تقبله لها وبين الرفض الذي ترمز اليه دلالة الحلم ، ليعيش في دوامة التآلف والرفض حتى يتعب من المراوحة ، إنها حالة صراع بين الوعي واللاوعي ولكنهما غير متعارضان في

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٤٤/١
[2]- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: ١٨٧
[3]-ينظر:الرمز في شعر أمل دنقل: ١٦٩
[4]- ينظر: التحليل النفسي والأدب: ٢٤
[5]- الأعمال الشعرية: ١/ ١٤٨

الحقيقة بل يكمل أحدهما الآخر كونهما يشكلان معاً الذات التي تحتضن كليهما[١]، وهذا الصراع ليس صورة له فقط بل لأكثر الجيل الستيني الذي عانى من أزمة المنفى الروحية وبقي يراوح بين الحقيقة والحلم / بين التقبل والرفض ، ليتصورالشاعر المدينة بصورة امرأة يراوده هواها فيشتهيها ويزداد ولهاً بها:

حسناً ،

أنت ِمثخنةٌ ، صعبةٌ ، مشتهاةٌ

وأنت ِ يدٌ بين فكين

أصبحتُ دونك ِ ، ألهو بحلمٍ قديم

وآخرُ ينهلُ من عجلات ِ الفزع[٢] .

يشخص المدينة ويحولها إلى امرأة تثير فيه الرغبات المكبوتة فيشتاق إليها ويشتهيها وهو يراها مثل يد بين فكين ويقصد بالأخير السلطة والحزب ، فالمدينة هي البؤرة التي يقوم عليها النسق يضاف إليها حلمي الذات ، فالدلالة التي تكتسبها رمزية الأول هي الرغبة بأن تعود هذه المدينة بكامل أنوثتها وسحرها وتحررها ، أما الحلم الآخر هو رمز عن حالة الذات المذهولة من الصورة التي أصبحت عليها هذه المدينة ، وكلا الحلمين يسحبان الذات إلى حالة لا واعية ، فالتخيل والذهول حالتان للاوعي يحملان إيحاء وغموض مكثف يحققان الرمزية المبتغاة ، إذ تشتمل الأحلام على ((صور وتداعيات وأفكار لم نصنعها بقصدٍ واعٍفهي تطلع بصورة عفوية بدون مساعدة منا وهي ممثل لفعاليتنا النفسية التي لا صلة لها بإرادتنا الواعية))[٣] فإن حالة اللاوعي التي تنسج هذين الحلمين يمثلان مخزون الذات من العواطف ، حيث أنها ليست مجرد تحقيق رغبة مكبوتة كما يراها فرويد بل هي تصوير اللاشعور الذاتي[٤] ،ثم تتلاشى الأحلام وتبحر الذات نحو المجهول:

أنا مبحرٌ

حولهُ النارُ ، عذراء ، فيها حلمٌ يتلاشى

يفضُ بكارتها كالنساء[٥] .

---

[١]- ينظر: جدلية الأنا واللاوعي:٩٤
[٢]- الأعمال الشعرية: ١٣٠/٢
[٣]- البنية النفسية عند الإنسان ، كارل غوستاف يونغ، دار الحوار، د.ط، د.ت : ٩٨
[٤]- ينظر: الإنسان ورموزه: ٤١٦
[٥]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٤٨

يظهر ارتباطه مع باقي شعراء هذا الجيل في نزوعهم نحو السريالية[١] حيث تأتي رغبة الذات للسفر والرحيل والتآلف مع عوالم الغموض إحدى إشتغالات السريالية، التي عولت على الفن بوصفه أداة لارتياد عالم الغوامض ، حيث كان من إحدى وسائل السفر الفني لديهم هو الحلم[٢]، وللتأكيد على الحالة التي عليها الذات الشاعرة يستعمل الضمير (أنا) ،إذ يحتل هذا الضمير بُعداً تكون فيه الذات الفردية أكثر ثباتاً ، وبتصدره الكلام يوحي بإرادة فردانية ورغبة بالكمال مع وجود القرينة التي تلازمه وهي العزلة والتوحد [٣].

يبحر في الأحلام وحوله النار/ المدينة ، حيث كان الشعراء العرب القدامى يرمزون للحبيبة بالنار كدليل على جمالها وإشراقها [٤]، ولما كانت الحبيبة عنده هي المدينة إستعمل لها نفس الرمز ، وهي في حلمه عذراء صبية لم تطأها يد العابثين ويمثل أيضاً الرغبة في الحرية، إذ يمثل السفر عن طريق الحلم ((محاولة للخروج من دوائر الكآبة المحيطة إلى دائرة البهجة والتفاؤل))[٥] ولكن الحلم ينتهي لينكشف الواقع، وتُغتصب الحبيبة وتُراق الدماء فيها ، فالبنى الاجتماعية والنفسية تفككت وأدى تحلل منظومة القيم إلى تدمير إنسانية الإنسان وإهانته وطمس معالم شخصيته وتحول هذا الجيل إلى كبش فداء[٦] ليبقى هاجس الحرية يراوده ويبحث عنها بعيدا عن هذا الوطن :

وتركتك في حُلمي ، ومشيتُ ، أمسحُ أذيالي

بغصون الفرحةِ أتوحدُ فيها

وركضتُ ، ركضتُ

كأن الفرحَ يُجاذبُ أعماقي فيُعريها !

كم كان جميلاً أن أمحو

من أثري الخطوةَ وأفوتُ ،

أتنشقُ سحر ضياعي ، وأغني :

((ياوطني ، الغُربةُ ، ياوطني

---

[١]- ينظر: تحولات الشعر الستيني في النقد العراقي: ٤٣
[٢]- ينظر: الشعر العربي المعاصر:٤٤٩
[٣]- ينظر: الهوية والآخر: ١٢٩
[٤]- ينظر: ملامح الرمز في الشعر العربي القديم: ١٤٩
[٥]- الشعر العربي المعاصر: ٤٥١
[٦]- ينظر: الشخصية العراقية: ١٧٤

تمرٌ ...ورغيفٌ ...وأموتُ)) [1] .

يترك طموحه في بناء عراق اشتراكي بسبب الخلاف الفكري الذي اتسع في الوطن، ولكنه يبقى على عهده بإيهام النفس بتنفس الحرية بعيداً، تأسره فكرة الجوال الحالم مأخوذاً بها ومُباهياً الوطن والجموع بهذه الحرية[2]، فالحلم هنا رمز عن منطقة اللاوعي الحاملة لكل الخطط المؤجلة والرغبات والمكبوتة بفعل تسلط الآخر ودكتاتوريته ، ففي كثير من الحالات ((تخبرنا الأحلام عن أحداث لا تتحقق إلا بعد سنوات ... ويمكن لحلم واحد أن يمثل بشكل رمزي حياة كاملة ...فالأحلام إنما تأتي من الداخل، والحلم هو نتاج من نفوسنا ، إنه نحن أنفسنا ...حقيقتنا الداخلية غير المتغيرة))[3] إنها قضية جيل بأكمله حيث يركن طموحاته وآماله في اللاوعي أملاً في إعادتها يوماً ما ، إنه نتاج تعقيد كبير من المواقف والأشخاص والأحداث التي تشكل بمجملها بنية مهمة في تفعيل دلالة الرمز وقصديته [4] ، فإن اللاوعي بنية متكاملة ومتشابكة من الرموز التي لا تنفك دلالتها إلا عبر القراءة الواعية الدقيقة وماكان يهدف إليه هو تفكيك نصوصه وكشف شفراتها المدسوسة بين رموزه لاستشفاف جماليات المعنى وإيحاءاته التي لا تنضب ومعرفة الظروف التي مر بها والكثرة من شعراء الجيل الستيني ما جعل الكتابة باللغة المباشرة أمراً متعذراً ومخيفاً فكان الرمز وسيلة وأداة لفضح عُري الواقع والسلطة .

الخاتمة

توصلت دراستنا من خلال بحثنا عن الهُوية في شعر فوزي كريم إلى عدة نتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

١. إن مصطلح الهُوية ليس عربياً من حيث الأصل بل اضطر المختصون إلى تعريفه بأنه الحقيقة المطلقة ، ويفيد من هو؟ وماهو؟ أما المحدثون فقد ترجموه بمصطلح (اغتراب) و(اختلاف) وهو يرتبط بالوجود والذات والمجتمع.

---

[1]- الأعمال الشعرية: ٢/ ١٤٢
[2]- ينظر: العودة إلى كاردينيا: ٨٩
[3]- حديث الأحلام: ٢٥
[4]- ينظر: المصدر نفسه : ٣٠

٢. أظهرت نصوص الشاعر اغتراباً نفسياً واضحاً ، فهيمنت هُويته المغتربة على أغلبها،كاشفة عن حيرته وعدم استقراره الوجودي، وحاول في نصوص عدة الهرب من واقعه إلى عالم الذاكرة كما يُظهر في كثير من قصائده غربته المكانية ، ليتحول الإحساس بالهُوية إلى إحساس بعدم الانتماء للمكان والمجتمع بفعل الآخر .

٣. إن الاغتراب الواضح في هُويته أدى إلى تشظيها وتشتتها ونزوعها نحو السلبية والتشاؤم وإنعزالها ولكن هذا لم يبعده عن التأثر مع مشكلات المجتمع ومع الإنسان العراقي الذي كان يعاني من أزمة الهُوية ، التي تمثلت في أزمة الحرية وأزمة التفاهم مع الآخر .

٤. تعرضه إلى ظروف التغرب والهجرة أثرت على استقراره ، ونتج عنها شخصيته القلقة والمترددة، ما شكل هُوية سلبية تقوم على الإحساس بالعدمية والعزلة ، وبحث دائب عن هدف للوجود، واستعمل لإبراز ذلك الأقنعة والاستعارات المندمجة مع حالة الغموض التي يحاول ايصالها ليشي النص بتخوفه ورغبته في عدم المواجهة .

٥. تشبعت قصائده بمشاعر الاغتراب النفسي والمكاني وذلك بسبب شعوره الواضح بعدم الإندماج مع الوضع السياسي والإجتماعي وظروف الغربة التي عمقت من هذه المشاعر ، الأمر الذي أدى إلى خلق حالة من إنعدام الثقة والإحساس بالعجز.

٦. كان للفكر الوجودي الحظ الأوفر في تشكيل هُوية الشاعر ، فنجد علامات الوجودية من حزن وخيبة وتشاؤم وإحساس بالوحدة طاغٍ على نصوصه

٧. ينصهر شعره بشكل واضح مع الهم المجتمعي ،فيرسم صورة لهُوية المجتمع العراقي في ظل الحكومات المتلاحقة وخاصةً تلك التي هيمنت فيها الهُوية الواحدة ما أدى إلى شيوع الصراعات والانقسامات وتفاقم حالات العنف وظهور الهُويات الطائفية والقبلية المستبدة فمثلت ثيمة العنف المتولد من الحروب ومن التهجير والقمع السلطوي أبرز ثيمات الهُوية في هذا المجتمع ، وكذلك بروز الهُويات المقهورة بفعل الظروف المأساوية مثل الفقر والحزن الناجم عن الصراعات السياسية التي سحقت الشعب ، وخيبة الجماهير من مجيء حكومة عادلة توفر الحياة الكريمة لهم ، والمتولد من الخوف من المستقبل والآخر (السلطة) ومن العواطف الانسانية وحالات الشوق والحنين التي يمر بها المنفيين والمغرَبين للوطن والاهل والصحبة ، فكانت هُويته المجتمعية جمع متكامل ومحصلة لكل الظروف التي سادت وألقت بظلالها على نفسية المجتمع وإحساسه بالوجود.

٨. كان الشاعر في بعض قصائده يعمد إلى توظيف الألفاظ القرآنية ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ثقافة دينية وربما كان لها الأثر في تشكيل هُوية أخرى.

٩. تُشكل أغلب قصائده وثائق أدبية تكشف أساليب القمع والإستبداد الذي تمارسه السلطات بإختلاف الأنظمة السياسية من جهة ، والولاء للوطن والشعب الذي يسعى لترسيخ هُويته والتطلع للتسامح والتعايش ونبذ التكاره والصراعات والإزاحات التي تمارسها الأحزاب بهدف الهيمنة والسيطرة على مجتمع عانى من حالات الإضطهاد والتفككك من جهة أخرى.

١٠. ارتبطت هُويته الشعرية بهُوية الجيل الذي ينتمي إليه ، الداعي إلى تعميق التحول الذي بناه جيل الرواد ، فكان الشعر سبيلهم لتسجيل مواقفهم الرافضة ،الأمر الذي دفعهم إلى انتاج خطاب شعري متميز منفتح على الثقافات القديمة من خلال توظيف الأسطورة والحكاية واستحضار الشخصيات التاريخية والاندماج مع الشخصيات الادبية ، وموظفاً للرمز المرتبط بالطبيعة والعنوان وحالة اللاوعي الناجم عن الخمر والحلم.

١١. المرجعيات الفكرية والثقافية والأدبية هي التي هيمنت على شكل هُوية الجيل الستيني وكذلك التوظيف الرمزي والاسطوري ،ما جعلها مشبعة بالثقافة والمعرفة.

الباحثة

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. : الإغتراب في الشعر العربي الرومانسي، محمد هادي بو طارن ، دار الكتاب الحديث- القاهرة ، د.ط، ٢٠١٠م- ١٤٣١هـ
٣. إتجاهات الشعر العربي المعاصر، احسان عباس، عالم المعرفة، سلسلة كتب شعرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، ١٩٩٨
٤. أحادية الآخر اللغوية،جاك دريدا ،تر: عمر مهيبل،منشورات الإختلاف – الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ

٥. آخر الغجر، فوزي كريم، المدى للثقافة والنشر، سورية- دمشق، لبنان- بيروت، العراق- بغداد، ط١، ٢٠٠٥
٦. الآخر في الشعر العربي الحديث ، تمثل وتوظيف وتأثير، نجم عبد الله كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط١، ٢٠١٠
٧. أزمة المفاهيم وإنحراف التفكير/عبد الكريم غلاب/ مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت/ ط١، ١٩٩٨
٨. أزمة الهويات –تفسير تحول ، كلود دوبار ، تر: رندة بعث، المكتبة الشرقية، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٨
٩. أزمة الهوية والتعصب ، دراسة في سيكلوجية الشباب ، هاني الجزار، هلا للنشر والتوزيع- الجيزة ط١، ٢٠١١م – ١٤٣٢ هـ
١٠. أزمة الهوية والثورة على الدولة في غياب المواطنة وبروز الطائفية ، عبير بسيوني رضوان، دار السلام للطباعة والنشر، مصر – القاهرة، ط١، ٢٠١٢م – ١٤٣٣هـ
١١. إستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي- القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م- ١٤١٧هـ
١٢. الاسس الجمالية في النقد العربي- عرض وتفسير ومقارنة، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٣ ، ١٩٧٤
١٣. الاسطورة في الشعر العربي المعاصر، يوسف حلاوي، دار الآداب، ط١، ١٩٩٤
١٤. الأسطورة والمعنى –دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، فراس السواح، منشورات دار علاء الدين –دمشق، ط٢، ٢٠٠١
١٥. إشكاليات الفكر العربي المعاصر،محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، ط١، ١٩٨٩، ط٢ ١٩٩٠
١٦. إضاءة التوت وعتمة الدفلى – حوار مع فوزي كريم، حسن ناظم ، دار المدى ، بيروت- الحمرا، سوريا- دمشق، بغداد – ابو نؤاس، ط١ ، ٢٠١٣
١٧. الاعمال الشعرية، فوزي كريم ، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا - دمشق،ط١، ٢٠٠١ الجزء الأول
١٨. الاعمال الشعرية، فوزي كريم ، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا - دمشق،ط١، ٢٠٠١ الجزء الثاني
١٩. الاغتراب في الثقافة العربية-متاهات الانسان بين الحلم والواقع، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠٦
٢٠. الاغتراب والبطل القومي، صلاح نيازي ، مؤسسة الانتشارالعربي، ط١، ١٩٩٩
٢١. إغتيال العقل-محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية ،برهان غليون، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، بيروت-لبنان، ط٤، ٢٠٠٦
٢٢. أنا أُسيلفي إذن أنا موجود،تحولات الأنا في العصر الأفتراضي ،إلزا غودار، تر: سعيد بنكراد،المركز الثقافي للكتاب- الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠١٩
٢٣. الأنا والآخر من منظور قرآني،السيد عمر، تحرير:منى ابو الفضل ، نادية محمود مصطفى ، دار الفكر-دمشق ، ط١، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩ هـ

٢٤. الأنا والنحن،التحليل النفسي لإنسان مابعد الحداثة/راينر فونك/ تر:حميد لشهب/ جداول للنشر والتوزيع- بيروت/ ط١، ٢٠١٦
٢٥. الأنا والهو، سيجموند فرويد، إشراف:محمد عثمان نجاتي، دار الشروق –بيروت- القاهرة، ط٣، ١٩٦٦
٢٦. الإنثوية في الأدب ،النظرية والتطبيق، ابراهيم احمد ملحم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد- شارع الجامعة، ط١، ١٠١٦
٢٧. الانسان المستلب وآفاق تحرره، ايريك فروم ،تر: حميد لشهب ، تقديم : راينر فونك، شركة ندا كوم للطباعة والنشر، د.ط، د.ت
٢٨. الانسان المهدور– دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، مصطفى حجازي المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- المغرب ، بيروت- الحمرا، ط١، ٢٠٠٥
٢٩. الإنسان ورموزه – سيكلوجية العقل الباطن -، كارل غوستاف يونغ، تر: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين ، دمشق- سوريا ، ط١، ٢٠١٢
٣٠. أنسنة الشعر- مدخل إلى حداثة أخرى :فوزي كريم إنموجاً، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠٠٦
٣١. أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، مرشد أحمد، دار الوفاء للطباعة والنشر- الاسكندرية،ط١، ٢٠٠٣
٣٢. أنعام كجه جي بين أزمة الهوية وخطاب السخرية، محمد عبد الحسين هويدي، دار مسامير للنشر والتوزيع ، العراق- السماوة، ٢٠٢٠
٣٣. البحث عن الهوية (الهوية وتشتتها في حياة ايريك ايريكسون وأعماله)، peter cozon، تر: سامر جميل رضوان ، دار الكتاب الجامعي – الامارات ، د.ط، ٢٠١٠
٣٤. البنى الأسلوبية دراسة في إنشودة المطر للسياب، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠٠٢
٣٥. البنى الأسلوبية في شعر فوزي كريم،سامي ناجي،منشورات إيكار- بغداد، ط١، ٢٠٢٠
٣٦. البنية النفسية عند الإنسان ، كارل غوستاف يونغ، دار الحوار، د.ط، د.ت
٣٧. بول ريكور الهوية والسرد، حاتم الورفلي، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، د.ط ،٢٠٠٩
٣٨. ت.س إليوت الشاعر الناقد (مقال في طبيعة الشعر)، ف. أ ماثيسن، تر: إحسان عباس، المكتبة المصرية، بيروت- صيدا، د.ط ، د.ت
٣٩. تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ، دار العلم للملايين للترجمة والنشر ، بيروت – لبنان، ط٧، ٢٠٠٦، الجزء الثاني
٤٠. التأملات في الفلسفة الأولى،رينيه ديكارت ، تر: عثمان امين ، تصدير:مصطفى لبيب ، المركز القومي للترجمة- القاهرة ، د.ط، ٢٠٠٩
٤١. التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي الحديث، احمد ياسين السليماني ،إشراف : جابرأحمد عصفور ، دار الزمان للطباعة والنشر ، دمشق- سوريا، ط١، ٢٠٠٩
٤٢. تجييل الكتابة الشعرية في العراق بين التنظير والإجراء –دراسة في الجيل التسعيني، سعيد حميد كاظم، وزارة الثقافة، العراق- بغداد،ط١، ٢٠١٣

٤٣. تحليل النص الشعري(بنية القصيدة)، يوري لوتمان، تر: محمد فتوح أحمد، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط، د.ت
٤٤. التحليل النفسي والأدب ، جان بيلمان نويل ، تر: حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة ، د.ط، ١٩٩٧
٤٥. التحول الديمقراطي في العراق – المواريث التاريخية والاسس الثقافية والمحددات الخارجية، عبد الوهاب حميد رشيد ، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠٦
٤٦. التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكلوجية الانسان المقهور ، مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء - المغرب، بيروت –لبنان ، ط٩، ٢٠٠٥
٤٧. التخيل نظرية الشعر العربي، صلاح عيد، مكتبة الآداب-ميدان الاوبرا-القاهرة، د.ط، د.ت
٤٨. تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، عبد الناصر هلال، مركز الحضارة العربية- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥
٤٩. تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، نعيم اليافي ، صفحات للدراسات والنشر، سورية- دمشق، ط١، ٢٠٠٨م
٥٠. تعالي الأنا موجود، جان بول سارتر، تر: حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، ط١، ٢٠٠٥
٥١. التعريفات ، العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير- القاهرة، د.ط ، د.ت
٥٢. تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، يمنى العيد ، دار الفارابي ، بيروت- لبنان ، ط٣، ٢٠١٠
٥٣. تمثلات السلطة ومرجعياتها الثقافية في روايات فؤاد التكرلي، محمد عبد الحسين هويدي، دار شهريار،العراق- البصرة، ط١، ٢٠١٨
٥٤. التناص في الشعر العربي الحديث، حصة البادي، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع- عمان، ط١، ٢٠٠٩م- ١٤٣٠هـ
٥٥. تهافت الستينيين- أهواء المثقف ومخاطر الفعل السياسي، فوزي كريم، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا-دمشق، لبنان- بيروت،العراق- بغداد، ط١، ٢٠٠٦م
٥٦. الثقافة والهوية والتكنلوجيا، محمود الضبع مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، الاسكندرية-مصر، د.ط، ٢٠١٦
٥٧. الثنائيات الضدية- بحث في المصطلح ودلالته، سمر الديوب، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية- العتبة العباسية المقدسة، ط١، ٢٠١٧م -١٤٣٩ هـ
٥٨. الثور المجنح لاماسو رمز العظمة الاشورية ، حكمت بشير الاسود ، منشورات المركز الثقافي الاشوري- دهوك، ط١، ٢٠١١
٥٩. ثياب الامبراطور- الشعر ومرايا الحداثة الخادعة، فوزي كريم، منشورات المتوسط- إيطاليا، ط٢، ٢٠١٧
٦٠. جدل الهويات في العراق- الدولة والمواطنة، عبد الحسين شعبان، الدار العربية للعلوم ناشرون،بيروت-لبنان، ط١ ، ٢٠١٠ م ــ ١٤٣١هـ

٦١. جدلية الأنا واللاوعي ، كارل غوستاف يونغ ، تر: نبيل محسن ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية- سوريا، ط١، ١٩٩٧
٦٢. جماليات الحرية في الشعر، صلاح فضل، اطلس للنشر والانتاج الاعملامي- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥
٦٣. جماليات المكان، غاستوف باشلار، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٤م – ١٤٠٤هـ
٦٤. حديث الأحلام- رمزية الحلم، آنيا تيار ، تر: أديب الخوري، دار الطليعة الجديدة ، سوريا-دمشق، ط١، ١٩٩٨
٦٥. حديث النهايات ،فتوحات العولمة ومآزق الهوية، علي حرب، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب،ط٢، ٢٠٠٤
٦٦. حركة الحداثة في الشعر العربي المعاصر، كمال خير بك، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٦م- ١٤٠٦هـ
٦٧. الحياة النفسية للسلطة ، نظريات في الاخضاع ، جوديث بتلر، تر: نور حريري، دار نينوى للدراسات والنشر ، سورية- دمشق، ط١، ٢٠٢١م- ١٤٤٢هـ
٦٨. الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، مصطفى عبد اللطيف جياووك، منشورات وزارة الإعلام – العراق، سلسلة دراسات ، العدد ١٢٣، ١٩٧٧
٦٩. الحيوان في الأدب العربي ، شاكر هادي شكر، مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٩٨٥م – ١٤٠٥هـ
٧٠. خطاب الآخر في الشعر العراقي السبعيني التلقي والتأويل، علي هاشم طلاب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٤م
٧١. خطاب الهوية-سيرة فكرية، علي حرب،الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط٢، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ
٧٢. الخوف ، صموئيل حبيب ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، د.ط، د.ت
٧٣. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، علي الوردي، د.ن ، د.ط، د. ت
٧٤. الدولة والمجتمع- جدليات التوحيد والانقسام في الإجتماع العربي المعاصر، عبد الاله بلقزيز، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، الحمرا-بيروت، ط١، ٢٠٠٨
٧٥. دير الملاك- دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، محسن طميش ، دار الرشيد للنشر ،منشورات وزارة الثقافة والاعلام – سلسلة دراسات، د،ط ، ١٩٨٢
٧٦. الذات الجريحة –اشكالية الهوية في العراق والعالم العربي الشرقمتوسطي ، سليم مطر، مركز دراسات الامة العراقية- ميزوبوتاميا ،جينيف- بغداد، دار الكلمة الحرة- بيروت، ط٤، ٢٠٠٨
٧٧. الذات الشاعر في شعر الحداثة العربية، عبد الواسع الحميري، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩م- ١٤١٩هـ
٧٨. الذات تصف نفسها ، جوديث بتلر،تر: فلاح رحيم ، التنوير للطباعة والنشر- بيروت،ط١، ٢٠١٤

٧٩. الذات عينها كآخر ، بول ريكور ، تر: بول زيناتي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠٥
٨٠. ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، عبد الوهاب عزام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- مصر، ط٢، د.ت
٨١. الربع الخالي وقصائد اخرى ، فوزي كريم، المدى للاعلام والثقافة والفنون، بغداد-ابو نؤاس، بيروت – الحمرا، سورية- دمشق، ط١، ٢٠١٤
٨٢. الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث ١٩٩٩، محمد الصالح السليمان، منشورات إتحاد الكتاب العرب- ٢٠٠٠
٨٣. الرمز الشعري عند الصوفية، عاطف جودة نصر، دار الأندلس –بيروت، دار الكندي – بيروت، ط١، ١٩٧٨
٨٤. الرمز في الشعر الفلسطيني المعاصر، رلى يوسف صبحي عصفور، إطروحة دكتوراه كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية، ٢٠١٣
٨٥. الرمز في شعر أمل دنقل، سوزان مشير حمد كوردي، تموز ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، ط١، ٢٠١٨
٨٦. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، محمد فتوح أحمد ، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٤
٨٧. الرمز والسلطة ، بيير بورديو ،تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب، ط٣، ٢٠٠٧
٨٨. الرمزية والرومنسية في الشعر العربي، فايز علي، د.ن، د.ط، د.ت
٨٩. رهانات شعراء الحداثة، فاضل ثامر، الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق، د.ط، ٢٠١٩
٩٠. الروح الحية – جيل الستينيات في العراق ، فاضل العزاوي ، دار المدى للثقافة والنشر ، سورية- دمشق ، بيروت- الحمرا، ط٢، ٢٠٠٣
٩١. الزمان والسرد- الحبكة والسرد التاريخي ، بول ريكور، تر: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط١ ، ٢٠٠٦
٩٢. السرد والهوية، دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة/ جينيز بروكمبير، دونال كربو، تر: عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٥
٩٣. سرديات ثقافية ،من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، محمد بو عزة، دار الامان للنشر والتوزيع – الرباط، ط١، ٢٠١٤م- ١٤٣٥هـ
٩٤. سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور ،صاحب الربيعي، صفحات للدراسات والنشر، سورية- دمشق، ط١، ٢٠٠٧
٩٥. السلطة والفرد، برتران راسل ،تر: شاهر الحمود، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت، ط١، ١٩٦١
٩٦. سؤال الهوية ، الهوية وسلطة المثقف في عصر مابعد الحداثة/ شريف يونس/ ميريت للنشر والمعلومات – القاهرة/ ط١، ١٩٩٩
٩٧. سوسيولوجيا الهوية - جدلية الوعي والتفكك وإعادة البناء،عبد الغني عماد ، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠١٧

٩٨. سوشيولوجيا الثقافة والهوية، هارلمبس وهولبورن ، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق- سورية، ط١، ٢٠١٠
٩٩. سياسة جديدة للهوية- المباديء الاساسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل ، بيكو باريك، تر: حسن محمد فتحي ، مراجعة: محمود ماجد عبد الخالق، المركز القومي للترجمة – القاهرة، ط١، ٢٠١٣
١٠٠. السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، علي آيت أوشان ، دار الثقافة – الدار البيضاء ، ط١، ٢٠٠٠م ـ ١٤٢١هـ
١٠١. السيرة والعنف الثقافي، محمد غازي الاخرس. ، سلسلة دراسات فكرية جامعة الكوفة ، ط١، ٢٠١٧
١٠٢. سيمياء الكون، يوري لوتمان، تر: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- المغرب، ط١، ٢٠١١
١٠٣. السيميائيات – نحو علم دلالة جديد للنص، مصطفى شادلي، تر:محمد المعتصم،رؤية للنشر والتوزيع- القاهرة، ط١، ٢٠١٥
١٠٤. شاعر المتاهة وشاعر الراية- الشعر وجذور الكراهية، فوزي كريم ، منشورات المتوسط، ميلانو- ايطاليا، ط١، ٢٠١٧
١٠٥. الشخصية العراقية ، البحث عن الهوية، ابراهيم الحيدري،التنوير للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- مصر-تونس، ط١، ٢٠١٣
١٠٦. شخصية الفرد العراقي – بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث، علي الوردي ، منشورات دار ليلى – لندن ، ط٢، ٢٠٠١
١٠٧. الشخصية والهوية ، الشخصية التسلطية والهوية الوطنية العراقية/ لؤي خزعل جبر/دار مسامير للطباعة والنشر، العراق- السماوة/ ط١. ٢٠١٩
١٠٨. الشعر العراقي الحديث مرحلة تطور، جلال الخياط، دار الرائد العربي ، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٧م – ١٤٠٧ هـ
١٠٩. الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ، يوسف عز الدين، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، ١٩٦٥م – ١٣٨٥هـ
١١٠. الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهرة الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٣، د.ت
١١١. الشعر في إطار العصر الثوري، عز الدين إسماعيل، دار القلم ، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٧٤
١١٢. الشعر والتصوف –الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر- ،ابراهيم محمد منصور، ، دار الأمين للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت
١١٣. شعراء البيان الشعري، خالد علي مصطفى، دار ميزوبوتاميا، بغدا- المتنبي، ط١، ٢٠١٥
١١٤. شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، بطرس الحلاق،روبن أوستل،شتيفن فيلد، تر: نهى أبو سديرة، عماد عبد اللطيف،المركز القومي للترجمة، الجزيرة- القاهرة، ط١، ٢٠١٤

١١٥. الشغف بالهوية، دراسات ومقالات في السرد، صالح زامل، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر-العراق-بغداد/ط١، ٢٠٢٠
١١٦. صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت –لبنان، ط١، ١٩٩٩
١١٧. صورة الآخر في قصص سناء الشعلان- دراسة تحليلية، سناء جبار العبودي، أمل الجديدة للنشر والتوزيع ،سورية- دمشق، ط١، ٢٠١٨
١١٨. الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت-الحمرا، ط١، ١٩٩٤
١١٩. الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، نعيم اليافي، تقديم: محمد جمال طحان، صفحات للدراسات والنشر، سوريا- دمشق، ط١، ٢٠٠٨م
١٢٠. الطائفة، الطائفية، الطوائف المتخيلة، عزمي بشارة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات- قطر، ط١، ٢٠١٨
١٢١. الطبيعة البشرية، الفريد إدلر، تر: عادل نجيب شري، المجلس الاعلى للثقافة- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥
١٢٢. طروحات عن النهضة المعاقة، عزمي بشارة، رياض الريس للكتب والنشر ،ط١، ٢٠٠٣
١٢٣. عتبات النص البنية والدلالة ، عبد الفتاح الحجمري، شركة الرابطة –الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦
١٢٤. العراق –الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، حنا بطاطو، تر:عفيف الرزاز، منشورات فرصاد- المكتبة الوطنية الإيرانية، ط١، ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦ هـ
١٢٥. العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات/علي طاهر الحمود/ سلسلة دراسات اجتماعية-مؤسسة مسارات ، بغداد-بيروت/ د.ط، ٢٠١٢م- ١٤٣٣هـ
١٢٦. عشتار ومأساة تموز، فاضل عبد الواحد علي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع- سوريا- دمشق، ط١، ١٩٩٩
١٢٧. علم إجتماع وفلسفة، إميل دوركايم ، تر: حسن أنيس، المطبعة الفنية الحديثة، الناشر:مكتبة أنجلو المصرية- القاهرة، ط١، ١٩٦٦
١٢٨. علم نفس الشخصية، كامل محمد محمد عويضة، مراجعة: محمد رجب البيومي، دار كتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٦م- ١٤١٦هـ
١٢٩. العنف الاجتماعي –دراسة لبعض مظاهره في المجتمع العراقي مدينة بغداد انموذجاً، اسماء جميل ، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد- الاعظمية ، ط١، ٢٠٠٧
١٣٠. العودة إلى كارديا، فوزي كريم، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا- دمشق،بيروت- الحمرا، بغداد-ابونؤاس، ط١، ٢٠٠٤
١٣١. الغموض في الشعر العربي ، مسعد بن عيد العطوي، مكتبة الملك فهد الوطنية- تبوك، ط٢، ١٤٢٠هـ
١٣٢. الفقر والازمة الاقتصادية، اسماعيل سراج الدين- محسن اليوسف، اصدارات مركز ابن خلدون-القاهرة، دار الامين للنشر والتوزيع- القاهرة، د.ط، ١٩٩٧

١٣٣. الفقر والفساد في العالم العربي ، سمير التنير ، دار الساقي ، الحمرا- بيروت ،ط١، ٢٠٠٩
١٣٤. الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي ، عبد الرزاق الفارس ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠١
١٣٥. الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي، عبد الرزاق الفارس، مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا-بيروت،ط١، ٢٠٠١م
١٣٦. الفلسفة ، الهوية والذات ، مارتن هايدجر، تر:محمد مزيات ،مراجعة :محمد سبيلا، كلمة للنشر والتوزيع، أريانة- تونس، ط١، ٢٠١٥م – ١٤٣٦هـ
١٣٧. فنومينولوجيا الروح، هيغل، تر: ناجي العونلي، مركز دراسات الوحدة العربية- الحمرا- بيروت،ط١، ٢٠٠٦
١٣٨. الفولكلور قضاياه وتاريخه، يوري سوكولوف، تر: حلمي شعراوي- عبد الحميد حواس، راجعه: عبد الحميد يونس، مكتبة الدراسات الشعبية- القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠
١٣٩. القبيلة والقبائلية أو هويات مابعد الحداثة،عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- المغرب، بيروت –لبنان، ط٢ ٢٠٠٩
١٤٠. قراءة سيمائية في شعر ابي تمام، وليد شاكر النعاس، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠١٣
١٤١. قراءة سيميائية في شعر أبي تمام، وليد شاكر النعاس ، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣
١٤٢. قصائد لنهار غائم ، فوزي كريم ، دار المدى للثقافة والنشر ، سورية-دمشق، بيروت- الحمرا، بغداد-ابونؤاس ،ط١، ٢٠١٠
١٤٣. قصيدة الشعر من الأداء بالشكل إلى أشكال الأداء الفني ، رحمن غركان ، دار الرائي للدراسات والترجمة والنشر- دمشق، ط١، ٢٠١٠م
١٤٤. قضايا الانسان في الأدب المسرحي المعاصر، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي- القاهرة، د.ط، ١٩٨٠
١٤٥. كتابة الذات –دراسات في وقائعية الشعر، حاتم الصكر، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤
١٤٦. الكينونة والعدم ، بحث في أنطلوجيا الفنومينولوجية ، جان بول سارتر ، تر: نقولامتيني ،المنظمة العربية للترجمة- الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠٩
١٤٧. اللغة والهوية في الوطن العربي – إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية ،مجموعة مؤلفين ، المركز العربي للابحاث ودراسات السياسات، الدوحة – قطر ، ط١، ٢٠١٣
١٤٨. اللغة والهوية في الوطن العربي –إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، مجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات-بيروت، ط١، ٢٠١٣
١٤٩. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، علي الوردي ، د.ط ، د. ت
١٥٠. الماء والاحلام- دراسة عن الخيال والمادة، غاستون باشلار، تر: علي نجيب ابراهيم، تقديم: ادونيس، المنظمة العربية للترجمة، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠٠٧
١٥١. مافوق مبدأ اللذه، سيجموند فرويد، تر: اسحاق رمزي، دار المعارف ، ط٥، د.ت

١٥٢. مباديء فلسفة هيغل دراسة تحليلية عن الانسانية والالوهية في كتابات الشباب، يوسف حامد الشين، منشورات جامعة قان يونسن-بنغازي، ط١، ١٩٩٤
١٥٣. متون سومر(التاريخ ، الميثولوجيا ، اللاهوت، الطقوس)، خزعل الماجدي ، الأهلية للنشر والتوزيع، الاردن-عمان، ط١ ، ١٩٩٨
١٥٤. المثالية ، مفهومها، أنواعها وفلاسفتها، محمود كشانه ، المركز الاسلامي للدراسات الاسلامية- العتبة العباسية المقدسة، ط١، ٢٠١٨م – ١٤٣٩هـ
١٥٥. المجتمع العربي المعاصر –بحث استطلاعي اجتماعي ، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت- لبنان ،ط٦، ١٩٩٨
١٥٦. المجتمع العربي في القرن العشرين- بحث في تغير الأحوال والعلاقات، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، ط١، ٢٠٠٠
١٥٧. محنة الهوية مسارات البناء وتحولات الرؤية، رسول محمد رسول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط١، ٢٠٠٢
١٥٨. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، محمد عمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر-مصر،ط١، ١٩٩٩م
١٥٩. مدخل إلى الفلسفة، ويليام جيمس، تر: عادل مصطفى، مراجعة:يمنى طريف الخولي، المجلس الاعلى للثقافة- القاهرة، ط١، ٢٠٠٥
١٦٠. المدينة في الشعر العربي المعاصر، مختار علي ابو غالي، سلسلة كتب عالم المعرفة – الكويت، العدد ١٩٦، ١٩٩٠
١٦١. المرأة والسرد، محمد معتصم ، دار الثقافة – الدار البيضاء، ط١ ، ٢٠٠٤
١٦٢. مرايا الهوية(الأدب المسكون بالفلسفة) جان فرانسوا ماركيه ، تر:كميل داغر، مراجعة: لطيف زيتوني/ مركز دراسات الوحدة العربية ، الحمرا- بيروت/ ط١، ٢٠٠٥
١٦٣. المرايا والدخان- دراسة في شعر فوزي كريم ، ياسين النصير، ،الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق- بغداد، ط١، ٢٠١٧
١٦٤. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، عبد المنعم حنفي،مكتبة مدبولي- القاهرة ، ط٣ ٢٠٠٠م- ١٤٢٠ه
١٦٥. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم حنفي، مكتبة مدبولي – القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م – ١٤٢٠ هـ
١٦٦. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية / جميل صليبيا/ دار الكتاب اللبناني ، بيروت-لبنان/ د.ط ١٩٨٢
١٦٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عمر ، عالم الكتب للطباعة والنشر – القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، المجلد الأول
١٦٨. المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية – مصر، ط١، ١٩٨٠م- ١٤٠٠هـ
١٦٩. مفاتيح اصطلاحية جديدة ، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت- لورانس غروسبيرغ-ميغان موريس، تر: سعيد الغانمي، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت،ط١، ٢٠١٠

١٧٠. المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي ، فاضل ثامر ، دار ، سورية – دمشق، بيروت- الحمرا، بغداد- ابو نؤاس ، ط١ ، ٢٠٠٤
١٧١. ملامح الرمز في الغزل العربي القديم – دراسة في بنية النص ودلالته الفنية، حسن جبار محمد شمسي ، دار السياب- لندن ،دار اليقظة الفكرية- سوريا، ط١، ٢٠٠٨
١٧٢. من الصورة إلى الفضاء الشعري(العلائق، الذاكرة، المعجم، الدليل) ، ديزيرة سقال، دار الفكر اللبناني – بيروت، ط١، ١٩٩٣
١٧٣. من النسق إلى الذات ، عمر مهيبل، منشورات الاختلاف- الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٧م -١٤٢٨هـ
١٧٤. منابع الذات وتكون الهوية الحديثة، تشارلز تايلور، تر:حيدر حاج اسماعيل، مراجعة:هيثم غالب الناهي ، المنظمة العربية للترجمة- مركز دراسات الوحدة العربية، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠١٤
١٧٥. المواطنة والهوية الوطنية، علي وتوت،عامر عبد زيد،سعدون محسن ضمد،ثامر عباس، الناشر الحضارية للطباعة والنشر،العراق- بغداد، ط١، ٢٠٠٨م- ١٤٢٩هـ
١٧٦. الموت في الشعر العربي، محمد عبد السلام، تر: مبروك المناعي، مراجعة: حمادي صمود، مؤمنون بلاحدود للنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، ط١، ٢٠١٧م
١٧٧. الموجة الصاخبة- شعر الستينيات في العراق ، سامي مهدي ، دار ميزوبوتاميا ،بغداد- شارع المتنبي ،ط٢، ٢٠١٤
١٧٨. موجز تاريخ العراق ١٩١٤-٢٠٠٨، هالة فتاح- فرانك كاسو، تر: مصطفى نعمان احمد، دار المرتضى ، العراق- بغداد- المتنبي ، د.ط، د.ت
١٧٩. موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الامريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية ، كمال الديب ، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١٣
١٨٠. موسوعة العلوم الفلسفية ،هيغل ، تر:إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، ط٣ ٢٠٠٧
١٨١. موسوعة الفلسفة ، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١- ١٩٨٤
١٨٢. موسوعة الفلسفة العربية / بأشراف: معن زيادة/معهد الإنماء العربي/ ط١ ١٩٨٦
١٨٣. موسوعة لالاند الفلسفية / اندريه لالاند/ منشورات عويدات، بيروت – باريس / ط٢ ، ٢٠٠١/ المجلد الأول
١٨٤. النص نظرة للعالم والأشياء –دراسات نقدية في الشعر العراقي المعاصر ، سامي ناجي ، منشورات ايكار ، ط١، ٢٠١٩
١٨٥. نظرية الانفعال ، دراسة في الانفعال الفينومينولوجي ، جان بول سارتر، تر: هاشم الحسيني،منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت،-لبنان ، د.ط ، د.ت
١٨٦. النفس ، ارسطو طاليس، تر: احمدفؤاد الأهواني، مراجعة:الاب جورج شحاته، تصدير ودراسة: مصطفى النشار، المركز القومي للترجمة – القاهرة، ط٢، ٢٠١٥
١٨٧. النقد الثقافي –قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي، المغرب- الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٥

١٨٨. الهجرة إلى الانسانية ، فتحي المسكيني ، كلمة للنشر والتوزيع – تونس، دار الأمان – الرباط، منشورات الاختلاف- الجزائر ، منشورات ضفاف- بيروت، ط١، ٢٠١٦م – ١٤٣٨ هـ
١٨٩. الهويات القاتلة، امين معلوف، تر: نهلة بيضون ، دار الفارابي-بيروت- لبنان ، ط٣ ٢٠١٥
١٩٠. الهوية الثقافية بين العالمية والعولمة، عفيف البهنيسي، منشورات وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، د.ط، ٢٠٠٩
١٩١. الهُوية العربية صراع فكري وأزمة واقع، عهد كمال شلغين ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب- وزارة الثقافة- دمشق، د.ط، ٢٠١٥
١٩٢. الهوية العربية والأمن القومي، عبد السلام المسدي ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة- قطر، ط١، ٢٠١٤
١٩٣. الهوية العربية، برهان زريق، دار حوران للطباعة والنشر ، سورية – دمشق ، ط١، ٢٠١٢
١٩٤. الهوية العربية، صراع فكري وأزمة واقع-دراسة في الفكر العربي المعاصر ، عهد كمال شلغين، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،وزارة الثقافة- دمشق ،٢٠١٥
١٩٥. هوية الفكر العربي المعاصر وما قبل- دراسة وبحث، نزار يوسف ، ٢٠١٢
١٩٦. هوية المكان وتحولاته- قراءة في رواية طوق الحمام ، إيمان جريدان، دار الكافي للنشر والتوزيع والترجمة، ط٢، ٢٠٢١
١٩٧. الهوية الملتبسة –اللشخصية العراقية وإشكالية الوعي بالذات، ثامر عباس، الزمان للطباعة والنشر ، دمشق- سوريا، مكتبة عدنان ، بغداد- شارع المتنبي، ط١، ٢٠١٢
١٩٨. الهوية في شعر الجيل التسعيني العراقي، رائد حاكم شرار الكعبي، إطروحة دكتوراه في جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٧م- ١٤٣٨ هـ
١٩٩. الهوية والآخر – قراءات في ضفاف النص الشعري، صالح زامل،مكتبة عدنان للطباعة والنشر ،ط١، ٢٠١٢
٢٠٠. الهوية والحرية نحو أنوار جديدة، فتحي المسكيني،جداول للنشر والتوزيع ، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١١
٢٠١. الهوية والذاكرة الجمعية، إعادة إنتاج الأدب العربي قبل الإسلام- أيام العرب إنموذجاً، عبد الستار جبر، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ، ط١، ٢٠١٣
٢٠٢. الهوية والزمان تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن، فتحي المسكيني ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠١، هامش١١
٢٠٣. الهوية والسرد-دراسات في النظرية والنقد الثقافي،نادر كاظم، دار الفراشة للنشر والتوزيع – الكويت ط٢ ، ٢٠١٦
٢٠٤. الهوية والعنف ، وهم المصير الحتمي، إمارتيا صنو تر: سحر توفيق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب –الكويت،د.ط ، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ
٢٠٥. الهوية والمواطنة البدائل المتلبسة والحداثة المتعثرة، عبد الحسين شعبان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الحمرا- بيروت، ط١، ٢٠١٧

٢٠٦. الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر/ أحمد بعلبكي ..وآخ، تحرير: رياض زكي قاسم، مركز دراسات الوحدة العربية، الح٠مرا- بيروت، ط١، ٢٠١٣
٢٠٧. الهوية، اليكس ميكشيللي، تر: علي وطفة ، دار الوسيم – دمشق، ط١، ١٩٩٣
٢٠٨. الهوية، حسن حنفي، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط١، ٢٠١٢

الرسائل والاطاريح:

١. (أزمة الحداثة في المجتمع العربي والدولة في فكر برهان غيليون) ،يسري توفيق محمد خالد ، رسالة ماجستير في جامعة بيرزيت- كلية الآداب- فلسطين، ٢٠١١
٢. اسطورة الانبعاث عند أدونيس- أدونيس عند أدونيس، بغوس سامية ، رسالة ماجستير في كلية الاداب واللغات والفنون- جامعة وهران- الجزائر، ٢٠١١-٢٠١٢م
٣. الانساق الثقافية في شعر أديب كمال الدين، نور رحيم حنيوي ، رسالة ماجستير في كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة المثنى ، ٢٠١٨م – ١٤٣٩ هـ
٤. خطاب الرؤيا في الشعر العراقي الستيني ، مريم جابر عياش، رسالة ماجستير كلية التربية للعلوم الانسانية –جامعة المثنى ، ٢٠١٧م ـ ١٤٣٨هـ
٥. خطاب السلطة في الشعر العراقي الستيني عقد التأسيس اختيارا،دعاء حسين عودة، رسالة ماجستير في كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، ٢٠٢١م- ١٤٤٢ هـ
٦. شعرية القصيدة القصيرة عند شعراء البيان الشعري – فوزي كريم انموذجا ، عدنان حميد ياسين ،رسالة ماجستير في كلية العلوم الانسانية قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة المصطفى العالمية ، ٢٠١٧م -١٤٣٨ هـ

الصحف والمجلات

١. الاستبداد والعصبية(٥-٥) تعذيب وإعدام الاشقاء السبعة انموذجاً، عدنان سمير دهيرب، مقال في جريدة الزمان العراقية، العدد ٧١٣٦ ، ٢٠٢١م ـ ١٤٤٣ هـ
٧. تحولات الشعر الستيني في النقد العراقي (التحولات التشكيلية والبنائية-التحولات الدلالية- التحولات الايقاعية)، بشرى موسى صالح – بيداء عبد الصاحب عنبر الطائي، مجلة كلية التربية – الجامعة المستنصرية ، العدد الرابع، ٢٠١٧
٨. الثور المجنح في الحضارة الآشورية –قراءة سيميائية ، حيدر فاضل عباس، مجلة الباحث الإعلامي ،جامعة بغداد-كلية الآداب، العدد ٣٣-٣٤

٢. سوار الماضي وأسيجة الحاضر ، عدنان سمير دهيرب، جريدة الزمان –العراق، العدد ٧١٢٦ ، ٢٠٢١م -١٤٤٣هـ
٣. شعرية الإغتراب بالرموز عند شعراء الحداثة المعاصرين، عصام شرتح، مجلة رسائل الشعر ، العدد ٧، ٢٠١٦
٤. مجلة عمران للعلوم الإجتماعية والانسانية ،مي مسعد ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد ١ ، المجلد الأول، ٢٠١٢
٩. مستويات تشكل الهوية الإجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين- دراسة ميدانية/فريال حمود/ مجلة جامعة دمشق المجلد ٢٧ ، ملحق ٢٠١١
٥. الهوية التجييلية وتراكم الصورة في الشعر العراقي السبعيني (قراءة في ضوء نظرية الأنساق الثقافية)، رياض كريم العمري، المجلة الدولية للعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد ١٨، ٢٠٢١

المواقع الالكترونية

١. إستعادة الشاعر إبن الحجاج البغدادي خفة روح زمانه وهاجي المتنبي، محمد مظلوم ، موقع إندبندنت عربية www. Independentarabia. Com
٢. أسطورة طائر العنقاء ، موقع فنتازيا الألكتروني، http://fantasyh.net
٣. الثقافة المختلطة والهوية الثقافية،اوسفالد شفيمر، مجلة الأوان الألكترونية https://www.alawan.org
٤. رمزية الريح في ديوان أرض الفراشات السوداء، حميد لشهب ،موقع الوسط اليوم الألكتروني http://www.alwasattoday.com
٥. فوزي كريم: الاصوات الشعرية الفاعلة عضلياً هي التي ترقع كتب النقاد، عبد الرزاق الربيعي ، مجلة نزوى الألكترونية https://www.nizwa.com
٦. مقال بعنوان(الخبز أكثر من الورود)، آمال موسى، موقع جريدة الشرق الأوسط الالكتروني، ٢٠١٧م -١٤٣٩هـ، ، العدد ١٤٢٠١
٧. موقع ويكيبيديا
٨. الوشم رمز تراثي محمل بدلالات تختصر الحضارة الإنسانية ، محمد الجويلي، موقع العرب الألكتروني https//alarab-co-uk.cdn.ampproject.org/c/s

Abstract

The concept of identity has formed a considerable area of Fawzi Karim's poetry, revealing the warfare, conflicts, wars, as well as issues of repression and displacement that prevailed over the country and its people from the period of the Coup on the royal rule and the ensuing scourges and confusing social and political conditions. In addition to the self-suffering, the poet was experiencing the circumstances of alienation and the loss of parents and loved ones, which led to the formation of a fragmented and expatriate self-identity and community identity that is exiled and oppressed with the emergence of his apparent affiliation to his poetic generation and cultural direction.

The study is based on three chapters preceded by a preface dealing with (concept, roots, and founding) according to the opinions of philosophical, psychological, social, and monetary studies. The first chapter deals with (fragmented self-identity) to the extent to which it dominated most poetic texts. The second chapter is about the study of (community identity) the impact of violence in its formation, and the prevalence of oppressed identities, while the third chapter is related to the study of (figurative identity) i.e. the literary issues that the poet enjoys with the poets of his generation, such as cultural heritage, symbolic employment, and then a conclusion summarizing the most important findings we have reached, followed by the list of sources and references on which the study relied.

The study reveals the identity of the poet and his role in the knowledge arena of the 60-generation, as he represented the subjective and societal circumstances, starting from the political and social changes that accompanied his journey.

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Al-Muthanna University
College of Education for Humanities
Department of Arabic

The Identity In Fawzi Karim's Poetry

A Thesis

Submitted to the Council of the College of Education for Humanities, University of Al-Muthanna in Partial Fulfilment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language and its Literature

By
Shehad Kareem Mansour

Supervised by

Prof. Ali Hashim Tullab Al-Zerjaway,Ph.D

2022 A.D. **1443 A.H.**